



مجموعة مقالات مؤتمر
الإمام المهدي (عج)
ومستقبل العالم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجموعة مقالات

مؤتمر

الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)

ومستقبل العالم

(ج ٦)

النجف الأشرف - كربلاء المقدسة

هوية الكتاب

مجموعة مقالات

مؤتمر الإمام المهدي عليه السلام ومستقبل العالم / ج ٦

تأليف: مجموعة من المؤلفين

الناشر: مجمع اهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الأولى

سنة الطبعة: ١٤٣٤ هـ . ق

العراق - النجف الاشرف

فهرس المقالات

المقدمة	٧
نسب الإمام المهدي(عج) (عزّ الدين رضا نجاد)	١١
تثبيت العقيدة المهديّة (حميد البغدادي)	٥٥
وحدة الشيعة والسنة حول نسب المهدي وولادته (محمّد أمير الناصري)	٧٤
قضية الامام المهدي (عج) شكك فيها من لا منطق له (محمد علي تسخيري)	١١٥
المهدوية ومعطياتها الأخلاقية والاجتماعية عبر التاريخ	
(مهدي النيازي الشاهرودي)	١٢٧
الآفاق الرحبة أمام العقيدة المهديّة (محمّد حسين حكمت)	١٥٨
المهدوية رمز الإمامة العالمية المنتصرة (عبدالكريم آل نجف)	١٨١
العقيدة المهديّة في الزيارة الجامعة الكبيرة (محمّدفاكر ميدي)	٢٠٠
الانتظار الحقيقي لدولة الإمام المهدي (أيوب الحائري)	٢٣٣
الصبر والصمود في ثقافة الانتظار(نورالدين شريعتمدار الجزائري)	٢٥٥
باثولوجيا المجتمع المنتظر (ناصر رفيعي)	٢٨٢
المهدوية المفتراة الفتنة القديمة الجديدة (مجتبى المحمودي)	٣٠٣
الإمام المهدي(عج) عند علماء أهل السنة (أحمد نفيسي)	٣١٢
المهدي الموعود برواية المصادر الحديثية لأهل السنة والانتظار في اعتقاد المذاهب الإسلامية وتلائم الأديان (الحاج عبدالجبار أخوند الميرابي)	٣٣١
روايات و احاديث عن ظهور امام المهدي (عج) (الدكتور مهدي الصميدعي)	٣٣٩

المقدمة

لا شك أنّ الضرر والخسران الذي يلقاه الإنسان وتعنى منه الإنسانية من جرّاء غيبة ولي الله وحقّته ﷺ، ليس بالأمر الهين الذي يُمكن أن يُمرّ عليه مرور الكرام. إنّ كُنّا نؤمن ونُقرّ بأنّ جميع الخيرات والبركات التي ينعم بها عالم الوجود يعود الفضل فيها إلى هذه الدرة التي تضيء جبين الوجود (بوجوده ثبتت الأرض والسماء وبيمينه رزق الورى). إذا غيبته ينبغي أن تبعث في نفوسنا الهواجس، وتثير فينا الألم والأسى. والتأمل في هذا الخسران والحرمان يكشف لنا عن واقع الاضطراب والحاجة إلى ولي الله. إنّ ألم الانقطاع عن الرحمة الإلهية الواسعة يعني حيرة التيه وراء الظنون والتصوّرات الذهنية، والعوز الناجم عن عدم درك العروة الوثقى للهداية والسؤدد. ونحن إذا استطعنا استيعاب قضيتي (الاضطراب والفقر)، يكتسب الانتظار عندئذ معناه، وهو الانتظار الذي وصف بأنه أفضل العبادة «أفضل الأعمال انتظار الفرج»، والأمل بتحقق حكومة الحق، والسعي من أجل الوعد الحق الذي وعد به الله الصابرين ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة الروم: ٦٠)، والأخذ بالتدبير للمستقبل، والعمل على طريق رسم نظام جديد.

إنّ الاعتقاد بالاضطراب إلى وجود الحجّة يعني الانتظار الذي هو عبارة عن البقاء على منصّة العزّ والشرف وعدم الخضوع لدواعي الخنوع والتعاسة. ويعني في ما يعنيه الصلابة والصمود والتحمّل، وليس التراخي والخور والسذاجة. المؤمن بالإمام

الغائب منتظر في كل لحظة لوقوع حادثة إلهية على مستوى العالم لصالح الحق والعدالة.

وهذا ما سيقع حتماً على يد ذلك الرجل الإلهي من سلالة المعصومين، وهو خليفة الله، والمُنْتَظَر هو مَنْ يترقب كل لحظة سماع هذا الخبر المدوي، وهو يستنفر ذاته، ويستثير الآخرين، ويمهد الأرض للفتح النهائي. وفي ضوء هذه الرؤية يصبح كل موقف وكل مكان منطلقاً لإحياء وتبيين الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام، ويحمل منطلقات الانتظار الإيجابي الفاعل، ويقدم صورة مشرقة عن المستقبل والعالم، وما إلى ذلك.

إنّ هذا الأمر المهمّ والمنشود لا بدّ أن تتحمّل مسؤوليته المراكز العلمية الدينية «الحوزات المقدّسة» و«العلماء والمفكّرون الدينيّون». فالعالم اليوم يتطلّع إلى معالم واضحة وشفافة عن مستقبل ينعم بالأمن والرفق، ويحترم كرامته الإنسانية، ويهتم بعزّته وسعادته، ويوفّر له موجبات السعادة والاستقرار. هذه المهمّة إذا نهضت بها المراكز الدينية القويمة يمكنها أن تقدّم رسائل مقبولة ومباركة للباحثين عن الحقّ والتواقين إليه. والحوزة العلمية في النجف الأشرف موئل مبارك يشعّ إلى جانب الضريح النير لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والمعطيات العلمية الوفيرة وتربية العلماء والمفكّرين الورعين في الحوزة العلمية المقدّسة في قم هو ما جعل منها اليوم مركزاً محورياً لمعارف أهل البيت عليهم السلام، هما أولى وأصلح موضع يتكفل بالنهوض بهذه المهمّة، وهما الركيزة المقدّسة القادرة على إيصال أفكار المهدوية إلى أسمع العالم الإسلامي وإلى أسمع جميع شعوب العالم، وتوجب المزيد من التلاحم بين المسلمين، وترتقي بمقوّمات المعرفة والإيمان بالإمام المهدي عليه السلام، وتبّد جميع السلبات والانتكاسات التي نجمت عن دعوة أصحاب الباطل.

ولأجل النهوض بهذه المهمّة، كان من اللازم والضروري عقد مؤتمر علمي حول مباحث المهدوية - وخاصةً بنظرة تستشرف مستقبل العالم - بمشاركة الحوزات العلمية في النجف الأشرف وقم المقدّسة. وهذا ما أنجز - والحمد لله - من بعد مشاورات ومحادثات من قبل المراكز المختصّة والناشطين في مجال المهدوية، حيث حصلت الموافقة

وتمّ الإجماع والاتفاق المبارك لعقد هذا المؤتمر. وكلّنا أمل في أنّ ذلك سيؤدّي إلى حركة متواصلة ومستمرّة وواسعة في سائر مناطق العراق. في أعقاب الدعوة التي أطلقتها الأمانة العلمية المشرفة على عقد هذا المؤتمر، وصلت آثار قيّمة من الفضلاء، ومدّرسي المراحل الدراسية العليا في الحوزة العلمية، وأساتذة الجامعات، والباحثين من ذوي النظر وذوي الصيت الذائع، وخاصّة المتخصّصين في حقل البحوث المهدوية، من المراكز العلمية والتعليمية في إيران والعراق وغيرهما من البلدان الإسلامية، حيث جرى تبويب المقالات المختارة، وستُعرض في إطار المحاور الأربعة التي اعتمدها المؤتمر، من أجل الاستفادة منها على أفضل وجه.

لابد من الإشارة الى ان الجهود القيمة التي بذلها فضيلة الشيخ آية الله محمد مهدي الأصفى في رئاسة مؤتمر الامام المهدي (عج) ومستقبل العالم وكذلك فضيلة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ الدكتور علي سميّسم عميد كلية الفقه في جامعة الكوفة ورئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر وأعضاء اللجنة المحترمين الدكتور السيد رزاق حسين فرهود، الدكتور سيروان عبدالزهراء، الدكتور نصير الكعبي، الدكتور قاسم كتاب عطاءالله، الدكتورة سهام الكواز، الدكتور الشيخ كريم الشاتي شبوط، الدكتور السيد حمود بهية، الشيخ حسن كريم الربيعي، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد صادق فيض آبادي ، السيد رضا ميرابيان، السيدة حوراء مهدي عبدالصاحب والدكتور محمد الصريفي وكذلك اللجنة العلمية حجة الاسلام والمسلمين الشيخ رضا اسكندري، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ رحيم كارگر، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ مجتبي كلباسي، حجة الاسلام والمسلمين السيد منذر الحكيم، الدكتور حسن عيسى الحكيم، الدكتور يسار الشماع، الدكتور محمد كاظم البكاء، الدكتور صاحب نصار، الدكتور حاكم حبيب الكريطي، الدكتور صباح عباس عنوز، الدكتور رؤوف احمد الشمري وهكذا لجنة تسليم البحوث الدكتور حسين عبدالعال بعيوني، الدكتور ماجد حميد فرج، الدكتور مظاهر جاسم عبدالكاظم وكذلك اللجنة الفنية والاعلامية فراس الشمري، زكي شاكلي النهيري، المهندس رضوان الصغير،

محمد مهدي مؤمنيها وهكذا اعضاء اللجنة التقنية المحترمين وباحثوا مركز الدراسات المهدوية، ومحققي المركز التخصصي للمهدوية واطباء الهيئة العلمية لمركز ابحاث العلوم والثقافة الاسلامية ومحققي المجمع العالمي لأهل البيت(ع) في قم وهكذا العراق ومحققي جامعة المصطفى العالمية وحجة الاسلام والمسلمين الشيخ احسان الجواهري رئيس مؤسسة آل البيت المحترمة في النجف الاشرف وحجة الاسلام والمسلمين الشيخ مهدي القرشي مدير مكتبة الامام الحسن المجتبي(ع) للعلامة المرحوم محمد باقر القرشي وحجة الاسلام والمسلمين السيد محمد القبانجي رئيس مركز الدراسات التخصصية للامام المهدي(عج) في النجف الاشرف وأيضا السادة الاجلاء الذين ساهموا في امر الترجمة بالأخص فريق الترجمة بمؤسسة الاسراء في قم المقدسه وفريق الترجمة في المجمع العالمي لأهل البيت وجامعة المصطفى العالمية مكتب العراق كذلك نبلغ غاية شكرنا وتقديرنا لكافة اعضاء اللجنة العلمية لسكرتارية المؤتمر في ايران وكذلك مساهمة رئيس جامعة الكوفة السيد الدكتور عقيل عبد ياسين الكوفي ورئيس جامعة كربلاء السيد الدكتور منير حميد السعدي، وكذلك امين العتبة الحسينية سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ عبد المهدي الكربلائي وكذلك امين العتبة العلوية سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ ضياء زين الدين مشكورين على جهودهم المبذولة.

لاشك ان التوفيق في نشر المعارف المهدوية وإقامة المؤتمر تم بمساعدة ومساهمة حضرات السادة المسؤولين الذين شاركوا وواكبونا بوافر المحبة والاندفاع بإقرار وتنفيذ المؤتمر وهم: سماحة حجة الاسلام والمسلمين السيد علي قاضي عسكر المحترم رئيس بعثة الامام السيد الخاتمة في الحج والزيارة، وسماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ اختري المحترم المدير العام للمجمع العالمي لأهل البيت(ع)، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ علي رضا اعرفي المحترم رئيس جامعة المصطفى(ص) العالمية وقائم مقامه المحترم حجة الاسلام والمسلمين الشيخ مهدي مهر، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ احمد الواعظي المحترم رئيس مكتب التبليغ الاسلامي في الحوزة العلمية بقم المقدسه، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ حسين توسلي رئيس

مركز الابحاث العلمية والثقافة الاسلاميه ، حجة الاسلام والمسلمين محسن قرائتي رئيس مؤسسة الامام المهدي (عج) في ايران وحجة الاسلام والمسلمين الشيخ مجتبي كلباسي مدير المركز التخصصي للمهدوية في قم المقدسة. هذا وقد انجز المؤتمر و اعطى ثمره لذا ارى من المفروض علي ان اقدر واشكر جميع المساهمين فردا فردا كذلك المركز العلمي للمهدوية في قم المقدسة بنجاح باهر والحمد لله هذا ونخص بالذكر حجة الاسلام والمسلمين الشيخ رضا اسكندري المحترم مسؤول ممثلية سماحة السيد الخامنائي (حفظه الله) في شؤون الحج والزيارة في العراق، حيث بذل جهوداً جبارة لإنجاح مؤتمر الامام المهدي (عج) ومستقبل العالم مع وجود المصاعب والعقبات الكبيرة لكنه والفريق المرافق له من النخبة الحريصة والعامة بالمعارف المهدوية تابعوا بدقة مع التمعن بالأدلة والموجبات اقرؤا الابعاد العلمية للمؤتمر ثم شرعوا بتنفيذه بأطروحة مبرمجة متحدين المصاعب والعقبات في التعامل بين الحوزة العلمية في قم المقدسة والنجف الاشرف من جهة التعامل بين الحوزة والجامعة المتمثلة بالحوزة العلمية في النجف الاشرف وجامعتي الكوفة و كربلاء من جهة اخرى حيث استند هذا التنسيق بشكل دقيق وظريف حتى اقامة المؤتمر وكل هذا نابغ عن العقيدة والفناء العميق بالنظرية المهدوية وكان هذا العطاء بسواعد حضرات السادة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد صادق فيض آبادي، رضا ميرايبان، مسعود جمشيدى، محسن كشتكار وعلي جهانگيري؛ لذا علاوة على الشكر والامتنان لجهدهم نسأل العلي القدير لهم التوفيق والبركة الدائمة طيلة حياتهم كذلك نرى من المناسب ان نشكر من السادة حجة الاسلام والمسلمين نجف لكزايى معاون الثقافي للمجمع العالمي لأهل البيت(ع) وحجة الاسلام والمسلمين سالار معاون المجمع العالمي لأهل البيت(ع) في الشؤون الدولية وجناب السيد خاكرند مدير عام افريقيا - العربي للمجمع العالمي لأهل البيت(ع) وأيضا نشكر مساهمة وألطف ومسامحي حجة الاسلام والمسلمين السيد عبد الكريم الحيدري مدير شؤون العراق في جامعة المصطفى العالمية وسماحة حجة الاسلام والمسلمين السيد هاشم الفياض حيث قام مشكورا في تنقيح المقالات قبل الطباعة.

في النهاية نتقدم بالشكر الجزيل للجهود المخلصة المبذولة من قبل زملائنا في
سكرتارية المؤتمر حجة الاسلام والمسلمين الشيخ رحيم كارگر المسئول العلمي
للسكرتارية، السيد حامد شاهرخي المسئول التنفيذي في السكرتارية، محمد مهدي
رباني مسئول التنضيد والنشر، السيد حسين ميرخيلي مسئول الضيافة والارتباطات،
السيد حسين موسوي مجاب المشرف على الطباعة والنشر ومحمود نوراللهي مسئول
الدعم والإسناد، وفريق التقييم، وفريق الترجمة، والزملاء الكرام والعاملون
الدؤوبون، هي التي مهّدت السبيل أمام استحضار هذه المقالات والآثار. ولذلك
فنحن نرجو أن تكون موضع قبول من أنجز لأجله هذا العمل، وهو بقیة الله في
الأرضين، وأن نكون من المشمولين بدعائه، مع وافر الشكر والتقدير.

محمد تقي ربّاني

مدير معهد المهدوية

نسب الإمام المهدي عليه السلام

د. عز الدين رضا نجاد

خلاصة المقال

الإمام المهدي عليه السلام هو موعود الإسلام بل الأمم في آخر الزمان، هنا: سؤال اساسي يطرح بأنه من هو؟ و ابن من؟ و ماهي صفاته؟ و... هذه المقالة بصدد بيان نسب الإمام المهدي عليه السلام وفق الروايات المستفيضة بل المتواترة الموجودة في كتب الحديث و السنن والتاريخ عند الفريقين؛ و ايضاً تسعى إلى الإجابة عن التساؤلات والشبهات التي اثيرت حول نسبه عليه السلام نظير، أنه من نسل الإمام الحسن المجتبي عليه السلام لا الإمام الحسين الشهيد أو أنه من ولد العباس لا من ولد الامام علي عليه السلام و فاطمه الزهراء عليها السلام و رسول الأعظم.

نستخلص من هذه المقالة النتائج التالية:

(أ) إنّ المهدي الموعود من آل محمد وامته، بل من ذوي القربي والعترة الطاهرة، بل من ولد «علي» و «فاطمة» ومن «ولد الحسين الشهيد» و «تاسع الائمة من ولد».

(ب) صغف وارسال الروايات الدالة على أنه من ولد الامام الحسن المجتبي عليه السلام مع أنه يمكن قبولها على أنه من ولده أمّا.

(ج) الروايات الدالة على أنه من ولد العباس موضوعة، صغيفة ومجهولة وأيضاً معارضة مع الأحاديث والروايات الكثيرة من طرق الفريقين علي أنه من ولد الإمام الحسين الشهيد عليه السلام.

الكلمات المحورية: الإمام المهدي عليه السلام، نسب الإمام المهدي عليه السلام، ذرية النبي، ولد علي، ولد الحسين، ولد الحسن، ولد العباس.

مقدمة..

مسألة المهدي ليست مسألة شخصية وخاصة بطائفة أو فرقة من الفرق الإسلامية بل هي عامة يشترك فيها المسلمون وهم يتفقون في غالبيتهم، سنة وشيعة على أن المهدي عليه السلام رجلٌ من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وذريته، كما يشترك في الإيمان به باسم «منقذ» البشرية، سائر الأمم بحيث صحَّ أن يقال: المهدي هو موعود الأمم ليملا الأرض قسطاً وعدلاً وليدمر الأنظمة الفاسدة التي يزرع تحت وطأتها الإنسان، وأن حكومتها شاملة لمناهج الحياة البشرية، وتعدّ من أعظم الانتصارات والمكاسب التي تظفر بها الإنسانية على امتداد التاريخ.

والذي يدعونا إلى البحث والتحقيق في «نسب المهدي» هو أن بعض الكتاب لا يزال يثيرون شبهات تتعلق بهوية الإمام المهدي عليه السلام، كما زعم بعض أنه من ولد العباس! وبعض آخر أنه من ذرية الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأن اسم أبيه عبد الله، وأنه لم يولد بعد، وذهب بعض آخر إلى التوقف، وبعض رابع وافق الشيعة الإمامية في اعتقادهم المهدوية وهم أهل الكشف من أهل السنة^(١).

(١) وقد أشار إلى هذين القسمين الخافظ الفقيه أبو بكر البيهقي صاحب السنن المشوفى سنة ٤٥٨هـ فقال: «اختلف الناس في أمر المهدي فتوقف جماعة وأحالوا العلم إلى عالمه، واعتقدوا أنه واحد من أولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يخلقه الله متى شاء يبعثه نصرة لدينه».

وطائفة يقولون: إن المهدي الموعود ولد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٢٥٥هـ، وهو الإمام الملقب بالحجة القائم المنتظر محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، وهو مخفف عن أعين الناس، منتظر خروجه، وسيظهر فيملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، ولا امتناع في طول عمره وامتداد أيامه كعيسى بن مريم والخضر، قال: ووافقهم عليه

والذي يهمننا في هذا المقال بيان «نسب المهدي»، وأنه من:
«آل محمد» و«أمته».

بل من «ذوي القربى».
و«العترة».

و«أهل البيت».

بل من «ولد علي» و«فاطمة».
ومن «ولد الحسين».

و«التاسع منهم».

كما دلّت عليه الروايات المتواترة والأخبار المستفيضة من الفريقين كما يتفق عليه الإمامية بأن «المهدي» الذي وعد الرسول الأعظم ﷺ بظهوره في آخر الزمان، هو: ابن الإمام الحسن العسكري ابن الإمام علي النقي بن الإمام محمد التقي بن الإمام الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

هذا ما نحن بصدده، وسيوافيك الأحاديث والروايات الكثيرة من طرق الفريقين الدالة على ذلك، فلا مجال لقبول بعض الروايات الموضوعية بأنه من العباسيين فلا يتسبب إلى رسول الله! كما لا يصح القول بأنه من ولد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام (إلا على الوجه الذي سنذكره)، ولا يصح أيضاً التوقف في ذلك.

⇒

جماعة من أهل الكشف».

نقلًا عن السيد محسن الأمين، البرهان على وجود صاحب الزمان، ص ٧٩، المطبعة الوطنية، الشام، سنة ١٣٣٣ هـ، وهو عن شعب الإيمان للبيهقي.

فلا عذر ولا حجة بعد هذا، ونحن نقتصر هنا على ما قاله ابن حجر: «ينبغي لكلّ أحد أن يكون له غيرةٌ على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب إليه ﷺ أحد إلا بحق، ولم تزل أنساب أهل البيت النبوي مضبوطة على تطاول الأيام وأحسابهم التي بها يتميزون محفوظة عن أن يدعيها الجهّال واللثام قد أهدم الله من يقوم بتصحيحها في كل زمان، ومن يعتني بحفظ تفاصيلها في كل أوان...»^(١).

وما أوردناه في هذه المقالة فقد رتبناه في الفصول الأربعة التالية:
الفصل الأول في نسب المهدي عليه السلام.
وفيه خاتمه فيها ثلاث نكت.

الفصل الثاني في ذكر بعض المصرّحين (من أهل السنة) بنسب المهدي عليه السلام.

الفصل الثالث في بيان شبهة ان المهدي عليه السلام من ولد الحسن مجتبي عليه السلام إجابة عنها.

الفصل الرابع في بيان شبهة ان المهدي عليه السلام من ولد العباس الإجابة عنها.

الفصل الأول: في نسب المهدي عليه السلام

يجد المتتبع أنّ الروايات والأحاديث المنقولة في نسب المهدي عليه السلام متفرقة من حيث العناوين. وقد رتبناها في أبواب شتى وأوردنا في كل باب، الروايات المتعلقة به، ليسهل على الطالب الرجوع إليها والحصول على النتائج المقصودة.

(١) الصواعق المحرقة ص ١٨٥، الباب الحادي عشر.

والذي ينبغي ذكره، أنه اقتصرنا في كل باب برواية أو روايتين ثم ذكرنا في الهامش مصادرها المختلفة والمتعددة وذلك لأجل عدم التطويل؛ ولأنّ الروايات المتضاربة من طرق الفريقين تدلّ على أنّ المهدي الموعود بظهوره في آخر الزمان هو من أهل بيت الرسول الأعظم ﷺ فهو هاشمي، قرشي، ومن بني كنانة ومن ذوي القربى. هو من أولاد الإمام علي عليه السلام ومن ذرية فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ، فهذا كله يكفينا في المقصود.

فإليك نماذج من هذه الروايات:

١ / ١ - المهدي من «كنانة»^(١):

عن الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ في سننه، عن قتادة، قال: قلت لسعيد بن المسيب: المهدي حق؟ قال: حق. قلت: ممن؟ قال: من كنانة. قلت: ثمّ ممن؟ قال: من قريش. قلت: ثمّ ممن؟ قال: من بني هاشم. قلت: ثمّ ممن؟ قال: من ولد فاطمة^(٢).

١ / ٢ - المهدي من «قريش»:

عن الحافظ أبي عبد الله نعيم بن حماد في كتاب «الفتن»، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن طاووس، قال: ودّع عمر بن الخطاب (رض) البيت، ثمّ قال: والله ما أراني ادع خزائن البيت وما فيه من السلاح والمال لم أقسمه في سبيل الله، فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: امض يا أمير المؤمنين فلست

(١) المراد من كنانة، هو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن نضر بن نزار بن معد بن عدنان. وإليه يصل أجداد نبينا محمد ﷺ وقريش وذلك بهذه الصورة: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (وهو قريش) بن كنانة.

(٢) عقد الدرر، الباب الأول، ص ٢٢.

بصاحبه، إنما صاحبه فتى من قريش، يقسمه في سبيل الله تعالى في آخر الزمان^(١).

وأخرج أحمد، والماوردي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي»^(٢).

٣ / ١ - المهدي من «بني هاشم»:

عن الإمام أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي، والإمام أبي عبد الله نعيم بن حماد، عن قتادة، قال: قلت لسعيد بن المسيب: أحق المهدي؟ قال: نعم هو حق. قلت: ممن هو؟ قال: من قريش، قلت: من أي قريش؟ قال: من بني هاشم، قلت: من أي بني هاشم؟ قال: من ولد عبد المطلب، قلت: من أي ولد عبد المطلب؟ قال: من أولاد فاطمة، قلت: من أي ولد فاطمة؟ قال: حسبك الآن^(٣).

وأيضاً يدل على ذلك ما رواه سليمان بن بلال [هلال]، بإسناده عن علي بن الحسين^(٤).

٤ / ١ - المهدي من أولاد «عبد المطلب»:

عن جماعة من أئمة الحديث في كتبهم كالإمام أبي عبد الله ابن ماجه في سننه، وأبي القاسم الطبراني في معجمه، والحافظ أبي نعيم الاصفهاني، وغيرهم (رض)، عن أنس بن مالك (رض)، قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) عقد الدرر، الباب السابع، ص ١٥٤.

(٢) الصواعق، ص ٩٩. ومثله في إسعاف الراغبين، ص ١٣٦.

(٣) عقد الدرر، الباب الأول، ص ٢٣.

(٤) غيبة النعماني، ص ٢١٢. بحار الأنوار: ١١٥ / ٥١. عن غيبة النعماني. اثبات اخذاة: ٥٣٧ / ٣، عن غيبة النعماني.

منتخب الأثر، ص ٣٠٩، عن غيبة النعماني. موسوعة أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام: ٤٧ / ١ - ٤٩، عن المصادر المذكورة.

«نحن سبعة بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة: أنا وأخي علي وعمّي حمزة وجعفر والحسن والحسين والمهدي»^(١).

١ / ٥ المهدي من «أولاد أبي طالب»:

عن سيف بن عمير، قال: كنت عند أبي جعفر المنصور، فقال لي ابتداءً: يا سيف بن عمير! لا بدّ من منادي ينادي من السماء باسم رجل من ولد أبي طالب، فقلت: يا أمير المؤمنين! جعلت فداك تروي هذا؟ قال: أي والذي نفسي بيده لسمع أذناي له. فقلت: يا أمير المؤمنين! إن هذا الحديث ما سمعته قبل وقتي هذا. فقال: يا سيف: أنه الحق وإذا كان فنحن أولى من يجيبه، أما أن النداء إلى رجل من بني عمّنا. فقلت: رجل من ولد فاطمة؟ قال: نعم يا سيف! لولا أنّي سمعته من أبي جعفر محمد بن علي وحدثني به أهل الأرض كلّهم ما قبلته، ولكنه محمد بن علي عليه السلام^(٢).

١ / ٦ - المهدي من «آل محمد»:

عن علي عليه السلام أنّه قال للنبي صلى الله عليه وآله: «أمنّا آل محمد المهدي أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: «بل منّا، يَحْتُمُّ الله به كما فتح بنا ربّنا، يستنقذون من الفتنة كما انقذوا من الشرك»^(٣).

عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً منّي»^(٤).

(١) عقد الدرر، الباب السابع، ص ١٤٤. مطالب السؤل في مناقب آل الرسول، الجزء الثاني، الباب الثاني عشر. البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام، الباب الثالث، ص ١٠١.

(٢) عقد الدرر، الفصل الثالث من الباب الرابع، ص ١١٠.

(٣) كنز العمال، ١٤/٥٩٨-٥٩٩، رقم الحديث: ٣٩٦٨٢.

(٤) سنن أبي داود: ٤/١٠٦. وفي نفس المصدر، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي منّي».

وروي مثله أبو داود في سننه^(١).

أخرج الروياني، والطبراني، وغيرهما عنه عليه السلام: «المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير في الجو، يملك عشرين سنة»^(٢).

٧ / ١ المهدي من «العترة»:

عن أمّ سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٣).

أخرج أبو نعيم:

«ليبعثن الله رجلاً من عترتي أفرق الشيا، أجلى الجبهة، يملأ الأرض عدلاً يفيض المال فيضاً»^(٤).

أخرج أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، عنه صلى الله عليه وآله، مثله بتفاوت يسير^(٥).

وهناك روايات متضافرة أخرى دالة على أنه عليه السلام من العترة الطاهرة، نقلت في المصادر الروائية فراجع^(٦).

(١) سنن أبي داود: ٤/١٠٦، كتاب المهدي، رقم الحديث: ٤٢٨٢؛ وأيضاً في: ص ١٠٧، رقم الحديث: ٢٧٨٣ وأيضاً مثله رقم الحديث: ٢٤٨٥.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ١٦٤؛ ومثله في إسعاف الراغبين، ص ١٣٣، بتفاوت يسير. وعزاه بشطره الأول في الجامع الصغير: ٦/٢٧٩ للرواياني في مسنده عن حذيفة. وأنظر أيضاً: الميزان: ٣/٤٤٩، عقد الدرر، ص ١٨، كما روي مثله عن حذيفة بن اليمان في فردوس الأخبار: ٤/٤٩٦، رقم الحديث: ٦٩٤٠؛ البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام، الباب الثامن، ص ١١٨.

(٣) سنن أبي داود: ٤/١٠٧. وفي إسعاف الراغبين، ص ١٣٣ عن مسلم وأبي داود عن النسائي وابن ماجه والبيهقي وآخرين عنه صلى الله عليه وآله مثله. كما رواه أحمد محمد الخطّابي في معالم السنن في شرح سنن أبي داود، صفحة ٣٤٤، باب المهدي.

(٤) الصواعق المحرقة، ص ١٦٤.

(٥) إسعاف الراغبين، ص ١٣٣؛ سنن أبي داود: ٤/١٠٧.

(٦) ومنها المصادر التالية: ابن حماد، ص ٩-١٠.

٨ / ١ - المهدي من «ذوي القربى»:

وقد اتضح مما مرّ من الروايات والأحاديث، أنّ المهدي الموعود عليه السلام من آل محمد عليهم السلام، ومن العترة الطاهرة ومن أهل البيت، ومن أولاد علي وفاطمة ومن أولاد الحسن والحسين عليهما السلام، فيعلم أنّه كان من ذوي القربى الذين وجبت مودتهم على الناس أجمعين.

وفي صحيح البخاري ومسلم، أنه سأل ابن عباس عن آية القربى، فقال سعيد بن جبير: هي قرابة آل محمد عليهم السلام ^(١).

وعن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسيره، يرفعه بسنده إلى ابن عباس، قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ^(٢)، قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمرنا الله تعالى بمودتهم؟ قال: علي وفاطمة وأولادهما.

وبهذا المضمون وردت أحاديث وقع فيها السؤال عنه عليه السلام حول ذوي القربى، وجاء الجواب بمثل ما عرفت.

﴿

ملاحم ابن طاووس، ص ٢٢. برهان المثني، ص ١١١، عن عرف السيوطي، الخاوي. عقد الدرر، ص ٥٧، عن ابن حماد. جمع الجوامع ٢ / ٣٠، عن نعيم، وقال: وبسنده صحيح على شرط مسلم.

الخواوي: ٢ / ٦٧، عن ابن حماد وقال: بسند صحيح على شرط مسلم. موسوعة أمير المؤمنين (عليه السلام): ١ / ٥٩، عن المصادر المذكورة. كنز العمال: ١٤ / ٥٩٨، حديث (٣٩٦٨١). عقد الدرر، الباب الأول، ص ١٦. كمال الدين: ١ / ٢٤٠-٢٤١. بحار الأنوار: ٢٣ / ١٤٧، عن كمال الدين، والعيون ومعاني الأخبار؛ وأيضاً في: ٢٥ / ٢١٥، عن معاني الأخبار والعيون؛ وأيضاً في ٣٦ / ٣٦٣، عن العيون. أعلام النوري، ص ٣٧٥، كما في كمال الدين، عن ابن بابويه، اثبات الهداة: ١ / ٤٧٥، عن العيون؛ وأيضاً: ١ / ٤٩٩، عن كمال الدين. غاية المرام، ص ٢١٨-٢٣٢، عن العيون. مختصر اثبات الرجعة، لابن شاذان، ص ٤٤٨. البرهان: ١ / ١٣، عن كمال الدين. العوالم ١٥ / ٢٥٠، عن العيون، وأيضاً: ١٧ / ٦٧، عن العيون. العيون: ١ / ٥٧. كشف الغمّة: ٣ / ٢٩٩، عن إمام النوري.

منتخب الأثر، ص ٩٤، عن بحار الأنوار. موسوعة أحاديث أمير المؤمنين (ع): ١ / ٥٣، عن المصادر المذكورة.

(١) يتابع المودة، الباب الثاني والثلاثون، ص ١٠٦.

(٢) الشورى: ٢٣.

ومن الواضح أن درجات القربى متفاوتة، فكل من كان أقرب إلى رسول الله ﷺ كان السبب في حقه أقوى ودرجة الولادة راجحة على غيرها من درجات الباقيين، ولذا إذا وقف أو أوصى الرجل لأقرب الناس إليه ولم يكن له أب تقدم في الوقف والوصية أولاده على جميع أقاربه، وإن كان له أب هل تقدم الأولاد على الأب أو يستوي معهم؟ فيه خلاف، وبذلك تعرف أن فاطمة ؑ أعلى رتبةً في مادة القرابة وهي من هذه الناحية مقدّمة على غيرها من جهة المودة، ويحصل بسببها أيضاً للأئمة الاثني عشر ؑ زيادة المنقبة وعلو الدرجة^(١).

٩ / ١ - المهدي من «أهل البيت»:

روى الترمذي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي»؛ وقال: هذا حديث حسن، صحيح^(٢).

أخرج أبو داوود، عن علي (رض)، عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»^(٣).

(١) راجع: الإمام المهدي وظهوره، ص ٧٩-٧٠.

(٢) سنن الترمذي: ٢ / ٢٧٠، وروي أيضاً عن أبي داوود والترمذي عنه ﷺ مثله باختلاف يسير. انظر: إسعاف الراغبين، ص ١٣٣؛ الصواعق المحرقة، ص ١٦٥، جامع الأصول: ١١ / ٤٨-٤٩، رقم الحديث: ٧٨١٠ بتفاوت.

(٣) سنن أبي داوود: ٤ / ١٠٧.

وأيضاً أنظر إلى المصادر التالية: نفس المصدر: ٤ / ١٠٦؛ وفي نور الابصار، ص ١٧١ عن الطبراني وأبي داوود مثله، مصابيح السنة: ١ / ١٩٣، باب اشراط الساعة، بتفاوت.

سنن الترمذي، الجزء الرابع، باب ٥٢، رقم الحديث: ٢٢٣٠؛ ومثله أيضاً رقم الحديث: ٢٢٣١.

المعجم الكبير: الجزء العاشر، رقم الأحاديث ١٠٢١٣؛ ١٠٢١٤؛ ١٠٢١٥؛ ١٠٢١٦؛ ١٠٢١٧؛ ١٠٢١٨؛ ١٠٢١٩؛ ١٠٢٢٠؛ ١٠٢٢١؛ وهكذا إلى الرقم: ١٠٢٣٠ بتفاوت في السند وبتفاوت يسير في المتن.

المصنّف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة: ١٥ / ١٩٦، رقم الحديث: ١٩٤٨٥؛ وفي هامشه: أخرجه نعيم في الفتن، رقم الحديث: ١١٨٥ من طريق أبي معاوية؛ وأورده السيوطي في الدر: ٦ / ٨٥ من طريق ابن أبي شيبة. وأيضاً نفس

١٠ / ١ - المهدي من «وُلِدِ عَلِيَّ»:

عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال:

«صاحِبُ هذا الأمر من وُلْدِي هو الَّذِي يُقال مات أو هلك؟ لا، بل في أيِّ وادٍ سلك؟»^(١).

عن الأصبع بن نباتة، قال: أتيتُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فوجدته متفكراً ينكتُ في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين! مالي أراك متفكراً تنكت في الأرض أرغبت فيها؟

فقال: «لا والله ما رَغِبْتُ فيها ولا في الدُّنيا يوماً قطُّ، ولكن فكَّرت في مولودٍ يكون من ظهري، الحادي عشر من ولدي، هو المهديُّ يملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له حيرة وغيبة، يظلُّ فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون»^(٢).

⇨

المصدر، رقم الحديث: ١٩٤٨٧. ومثله ما روى الحاكم في المستدرک: ٥٥٧/٤. سنن ابن ماجة: ٢٢/٢، باب خروج المهدي، رقم الحديث: ٤٠٨٢.

وأيضاً نفس المصدر: ٢٣/٢، رقم الحديث: ٤٠٨٥. فردوس الأخبار: ٤٩٧/٤، وفي هامشه: رواه أحمد: ١/٨٤؛ العرف الوردی: ٥٨/٢؛ المقاصد، ص ٤٢٥؛ النهاية لابن كثير: ٥٢/١؛ البيان في أخبار صاحب الزمان (عج)، الباب الثاني، ص ١٠٠.

(١) غيبة النعماني، ص ١٥٦.

غيبة الطوسي، ص ٢٦١، بتفاوت يسير في السند والمتن.

بحار الأنوار: ١١٤/٥١، عن النعماني.

اثبات الهداة: ٣٠/٧، عن غيبة الطوسي وفي: ٦٧/٧ عن النعماني، بتفاوت يسير.

منتخب الأثر، ص ٢٦٢، عن البحار، وأشار إلى رواية غيبة الطوسي.

موسوعة أحاديث أمير المؤمنين (ع): ٦٧/١ عن المصادر المذكورة.

(٢) كمال الدين: ٢٨٨-٢٨٩. أعلام الوری، ص ٤٠٠، عن كمال الدين. كفاية الأثر، ص ٢١٢٩، كما في كمال السدين

بتفاوت. بحار الأنوار: ١١٧/٥١، عن كمال الدين بتفاوت يسير.

الكافي: ٣٣٨/١، بتفاوت يسير. الاختصاص، ص ٢٠٩، كما في الكافي، بتفاوت يسير. غيبة الطوسي، ص ١٠٣-١٠٤،

كما في الكافي، بتفاوت يسير. غيبة النعماني، ص ٦٠، كما في الكافي، بتفاوت يسير. دلائل الإمامة، ص ٢٨٩، كما في الكافي

⇨

١ / ١١ - المهدي من وُلد «فاطمة الزهراء» عليها السلام:

عن أمّ سلمة؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(١).

عن كتاب مشكاة المصابيح، عن أبي داود، عن أمّ سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:
«المهدي من عترتي من أولاد فاطمة»^(٢).

وعن علي بن هلال، عن أبيه، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله في مرضه وعنده فاطمة تبكي، فقال: ما يبكيك يا بنتي؟ فقالت: أخشى الضيعة من بعدك، فقال صلى الله عليه وآله: يا حبيبتي... [إلى أن قال]: والذي بعثني بالحق نبياً إن المهدي، من ولدك يملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً^(٣).
ومثلها روايات أخرى فراجع^(٤).

⇨

بتفاوت سير. اثبات الوصية، ص ٢٢٥، كما في الكافي بتفاوت سير. موسوعة أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام: ١/٦٨-٦٩، عن المصادر المذكورة. العرف الوردية، ص ٢١٩. كنز العمال: ١٤/٥٩١.

(١) صحيح أبي داود: ٤/١٠٧؛ وأخرج مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي مثله، كما في إسعاف الراغبين، ص ١٣٣؛ ومنهاج السنة: ٤/٢١١؛ وفي الصواعق المحرقة، ص ٢٣٧، أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه وآخرون مثله.

(٢) ينابيع المودة، الباب الواحد والسبعون، ص ٤٢٠.

(٣) ينابيع المودة، الباب السادس والخمسون، ص ٢٢٣؛ وفيه: أخرجه الحافظ أبو العلي الهمداني في الأحاديث الأربعين في المهدي (رضي الله عنه).

(٤) أنظر المصادر التالية:

ينابيع المودة، ص ٤٣٤؛ وفيه أيضاً، ص ٤٩٠: عن كتاب فضائل الصحابة لأبي المظفر السمعي عن أبي سعيد الخدري، في حديث دخول فاطمة (سلام الله عليها) على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقرب من ذلك.

أنظر أيضاً: البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام الباب الأول، ص ٩٠؛ بتفاوت؛ أيضاً: الباب الثاني، ص ٩٨-١٠٠. وانظر أيضاً: ابن حماد، ص ١٠٣. ملاحم ابن طاووس، ص ٧٥، عن ابن حماد. كنز العمال: ١٤/٥٩١، حديث (٣٩٦٧٥)، عن ابن حماد. منتخب كنز العمال: ٦/٣٤، عن ابن حماد. برهان المتقي، ص ٩٥، عن عرف السيوطي. جمع الجوامع: ٢/١٠٤، عن ابن حماد.

⇨

وروى ابن ماجه بسنده، عن سعيد بن المسيب، قال: كنا عند أم سلمة فتذاكرنا المهدي. فقالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المهديُّ من ولد فاطمة»^(١).

١ / ١٢ - المهدي من «ولد الحسين» ﷺ و«التاسع من ولده»:

عن الحافظ أبي نعيم في كتابه «صفة المهدي»، عن حذيفة ابن اليمان، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر لنا بها هو كائن، ثم قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي، اسمه اسمي، فقام سلمان الفارسي (رض) وقال: يا رسول الله! إنه من أيِّ ولدك؟

قال ﷺ: «هو من ولدي هذا»، وضرب بيده على الحسين ﷺ»^(٢).

عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، بإسناده، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه، قال: «التاسع من ولدك يا حسين! هو القائم بالحق، المظهر للدين، والباسط للعدل»^(٣).

⇨

عرف السيوطي، الحاوي: ٧٨/٢، عن ابن خرداد. منتخب الأثر، ص ١٩٣، عن منتخب كنز العمال، وملاحم ابن طاووس. موسوعة أحاديث أمير المؤمنين ﷺ: ٨٩/١، عن المصادر المذكور. بنابيع المودة: ٥١٢/٢.

(١) سنن ابن ماجه: ٢٤/٢، باب خروج المهدي، رقم الحديث: ٤٠٨٦. وروى الحاكم مثله في المستدرک ٥٥٧/٤. وسنن أبي داود: ١٠٧/٤، رقم الحديث: ٤٢٨٢ بتفاوت يسير. الجامع الصغير: ٢٧٧/٦. كنز العمال: ٢٦٤/٤، رقم الحديث: ٣٨٦٦٤. فردوس الأخبار: ٤٩٧/٤. مصابيح السنة: ١٩٣/١، باب أشراف الساعة. جامعه الأصول: ٤٩/١١، رقم الحديث ٧٨١٢. الفتوحات المكية، الجزء الثالث، الباب ٣٦٦، بتفاوت. عقد الدرر، الباب الأول، ص ٢٢ و٢١.

(٢) عقد الدرر، الباب الأول، ص ٢٤.

(٣) كمال الدين: ٣٠٤/١. بحار الأنوار: ١١٠/٥١. بشارة الإسلام، ص ٥٠. نور الثقلين: ٢٧١/٥. اثبات الهداة: ٣٩٥-٣٩٦. منتخب الأثر، ص ٢٠٥. أعلام الوري، ص ٤٠٠. كل هذه المصادر تنقل عن كمال الدين، بتفاوت

⇨

عن «المناقب» لموفق بن أحمد الخوارزمي أخطب خطباء الخوارزم، عن سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان الفارسي، قال: دخلت على رسول الله ﷺ وإذا الحسين بن عليّ عليّ فخذته وهو يقبل عينيه ويلثم فاه، وهو يقول: «أنت سيد ابن سيد أخو سيد، أنت إمام ابن إمام أخو إمام، أنت حجة ابن حجة أخو حجة وأنت أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم»^(١). وانظر أيضاً المصادر المذكورة في الهامش^(٢).

خاتمة المطاف

وفيه ثلاث نكات:

الأولى: إلى هنا تحصل أنّ المهدي ﷺ من: كنانة، ثمّ من قريش، ثمّ من بني هاشم، ثمّ من أمة نبينا محمد ﷺ، ثمّ من آله وذريته وعترته وأهل بيته، ثمّ من ولد عليّ وفاطمة الزهراء ﷺ، ثمّ من ولد الحسين الشهيد والتاسع منهم، وذلك بدلالة الروايات المتواترة والمستفيضة من طريق أهل السنة بأنّ المهدي ﷺ من ولد الإمام الحسن العسكري (وستأتي الإشارة إلى مصادرهم الحديثية في الفصول الآتية).

⇨

يسير. كشف الغمة: ٣/٣١١، عن أعلام الوري. موسوعة أحاديث أمير المؤمنين ﷺ: ١/٩٣، عن المصادر المذكورة. (١) ينابيع المودة، ص ٤٩٢؛ وأيضاً في، ص ٢٥٨، مثله عن كتاب: مودة القربى. في المودة العاشرة منه عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/٢٨٢. البيان في أخبار صاحب الزمان ﷺ، الباب التاسع، ص ١٢٠. ذخائر العقبى، [باب] ذكر ما جاء من ذلك مختصاً بالحسين. كفاية الأثر، ص ٣٠. وفي المجامع الروائية، أحاديث مختلفة عن الحسين بن علي أنه قال المهدي من ولده والتاسع منهم: فراجع: اثبات الهداة: ١/٣٩٧؛ بحار الأنوار: ٥١/١٣٤ و١١٠؛ تفسير نور الثقلين: ٢/٢١٣؛ كمال الدين: ١/١١٧ و٢٦٩؛ كفاية الأثر، ص ١٧٦؛ ينابيع المودة، ص ٣٩٣.

والجدير بالذكر أننا لم نذكر الروايات الدالة على أنه عليه السلام من ولد الإمام السجاد، ثم الباقر ثم الصادق و... عليه السلام، لوضوحه عندنا ولعدم اختلاف فيه عند الشيعة الإمامية، واقتصرنا في ذلك (من جهة آراء أهل السنة) بذكر مصادرهم الروائية والكتب المؤلفة حول نسب المهدي عليه السلام، كما سيأتي.

الثانية: نظرة إجمالية إلى الفصلين [الأول والثاني] من كتاب «منتخب الأثر»^(١)، والأبواب المختلفة فيها، تعطينا تواتر الروايات والأحاديث من الفريقين في نسب المهدي عليه السلام بأنه من الأئمة الاثني عشر وأنه من أهل البيت ومن ذرية الرسول صلى الله عليه وآله و...

فلننظر إلى عناوين الأخبار الواردة في هذا المجال، ونرى عدد الروايات المنقولة من المصادر الروائية للشيعة وأهل السنة، وهي كما يلي:

- ١ - الروايات الدالة على أن الأئمة اثنا عشر، وهي ٢٧١ حديثاً.
- ٢ - الروايات الدالة على أن عددهم عدد نساء بني إسرائيل، وهي ٤٠ حديثاً.
- ٣ - الروايات الدالة على أن الأئمة اثنا عشر، أولهم علي عليه السلام وهي ١٣٣ حديثاً.
- ٤ - الروايات الدالة على أن الأئمة اثنا عشر، أولهم علي عليه السلام، وآخرهم المهدي عليه السلام وهي ٩١ رواية.
- ٥ - الأحاديث الدالة على أن الأئمة اثنا عشر وآخرهم المهدي عليه السلام وهي ٩٤ حديثاً.

(١) لهذا الكتاب أثر كبير وقيم في معرفة الإمام الثاني عشر (عليه السلام) على ما جاء به الفريقان في مصادرهم الروائية فمن يريد التفصيل فليراجع إليه.

- ٦ - الأحاديث الدالة على أنّ الأئمة اثنا عشر وتسعة منهم من ولد الحسين عليه السلام وهي ١٣٩ حديثاً.
- ٧ - الأحاديث الدالة على أنّ الأئمة اثنا عشر، تسعة منهم من ولد الحسين وتاسعهم قائمهم عليه السلام وهي ١٠٧ حديثاً.
- ٨ - الأحاديث الدالة على الأئمة الاثني عشر بأسمائهم وهي ٥٠ حديثاً.
- ٩ - الروايات الدالة على أنّ المهدي من أهل البيت عليهم السلام وهي ٣٨٩ رواية.
- ١٠ - الأحاديث الدالة على أنّ اسم المهدي اسم رسول الله وكنيته كنيته وهو أشبه الناس به، وهي ٤٨ حديثاً.
- ١١ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي من ولد أمير المؤمنين علي عليه السلام وهي ٢١٤ حديثاً.
- ١٢ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي من ولد فاطمة عليها السلام وهي ١٩٢ حديثاً.
- ١٣ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي من أولاد السبطين عليهما السلام وهي ١٠٧ حديثاً.
- ١٤ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي من الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام وهي ١٦٠ حديثاً.
- ١٥ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام وهي ١٤٨ حديثاً.
- ١٦ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي من ولد علي بن الحسين عليهما السلام وهي ١٨٥ حديثاً.
- ١٧ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي من ولد محمد الباقر عليه السلام، وهي ١٠٣ حديثاً.

- ١٨ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي من ولد الصادق عليه السلام، وهي ١٠٣ حديثاً.
- ١٩ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي هو السادس من ولد الصادق عليه السلام، وهي ٩٩ حديثاً.
- ٢٠ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي من ولد موسى بن جعفر عليه السلام، وهي ١٠١ حديثاً.
- ٢١ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي هو الخامس من ولد موسى بن جعفر عليه السلام، وهو ٩٨ حديثاً.
- ٢٢ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي هو الرابع من ولد علي بن موسى الرضا عليه السلام، وهي ٩٥ حديثاً.
- ٢٣ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي هو الثالث من ولد محمد بن علي التقي عليه السلام، وهي ٩٠ حديثاً.
- ٢٤ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي من ولد علي الهادي عليه السلام، وهي ٩٠ حديثاً.
- ٢٥ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي هو ابن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، وهي ١٤٦ حديثاً.
- ٢٦ - الأحاديث الدالة على أنّ اسم أبيه الحسن، وهي ١٤٧ حديثاً.
- ٢٧ - الأحاديث الدالة على أنّ المهدي هو الثاني عشر من الأئمة وخاتمهم وهي ١٣٦ حديثاً.
- كما ترى هناك روايات متواترة (لفظية أو معنوية) تدلّ على نسب الإمام المهدي الموعود الذي وعده القرآن الكريم وصرّح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بظهوره في آخر الزمان ليملاً الله به الأرض قسطاً وعدلاً؛ فعلى المتتبع، مراجعة المصادر المذكورة.

فهل بعد هذا، يبقى أيّ شك وريب في نسبه عليه السلام؟! وهل بقي شيء بالنسبة إلى الروايات الموضوعة في عصر العباسيين الدالة على أن المهدي منهم؟!!

الثالثة: نظرة إلى المصادر الروائية والتاريخية لأهل السنة حول نسب المهدي عليه السلام؛

بما أن مسألة «نسب المهدي عليه السلام» عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية قطعية بلا أيّ خلاف، فيجب علينا أن نكشف الستار عن وجه هذه المسألة عند سائر المسلمين.

ومن المهمّ في هذا المجال ملاحظة الأدلة الروائية والتاريخية الدالة على أن المهدي الموعود في كلام النبي صلى الله عليه وآله والمتيقن عند المسلمين هو من عترته عليه السلام ومن ذريته وأهل بيته، وأنه من ولد ابنته فاطمة الزهراء ومن ولد علي بن أبي طالب و...

على هذا، نذكر هنا المصادر المهمة لأهل السنة والتي جاءت فيها مسألة نسب المهدي عليه السلام بما قلناه آنفاً، ولا يخفى أنه مرّت الروايات والأحاديث المروية عنهم، فلاحظ الأبواب والعناوين التي ذكرناها؛ كما سنذكر المصادر الروائية والكتب المؤلفة حول المهدي الموعود عليه السلام.

وها هي المصادر المعروفة عندهم المتعرّضة لهذه المسألة:

- ١ - مطالب السؤول، الباب الثاني عشر.
- ٢ - تذكرة الخواص، فصل في ذكر الحجة المهدي، ص ٣٦٣-٣٦٤.
- ٣ - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١/٢٨١.
- ٤ - مختصر سنن أبي داود: ٦/١٥٩-١٦٠، رقم الأحاديث: ٤١١٣، ٤١١٤، ٤١١٥.

- ٥ - البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام، الباب الأول، ص ٩٠، ٩١،
٩٢، ٩٣-٩٤؛ الباب الثاني، ص ٩٩، ١٠٠؛ الباب التاسع، ص ١٢٠؛
الباپ العاشر، ص ١٢٣.
- ٦ - عقد الدرر، الباپ الأول، ص ١٥ إلى ٢٣.
- ٧ - تذكرة القرطبي، باب منه، آخر في المهدي وصفته واسمه و...؛
وأتى بخمس روايات عن النبي صلى الله عليه وآله تدلّ على أنه من أمتة ومن أهل بيته
و....
- ٨ - ذخائر العقبي، باب ذكر ما جاء أن المهدي في آخر الزمان منها.
- ٩ - منهاج السنة: ٢١١/٤.
- ١٠ - فرائد السمطين، الباپ الحادي والستون، رقم الأحاديث: ٥٦١،
٥٦٢ إلى ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٥، ٥٨٩.
- ١١ - مشكاة المصابيح، الجزء الثالث، باب اشراط الساعة، رقم
الأحاديث: ٥٤٥٢ إلى ٥٤٥٧.
- ١٢ - تلخيص المستدرک على الصحيحين: ٥٥٧/٤-٥٥٨.
- ١٣ - خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ١٩٧، باب (ذكر الهاشمي
الذي يخرج من خراسان مع الرايات السود).
- ١٤ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف، فصل ٥، ص ١٤٢-١٤٧،
رقم الحديث: ٣٢٧-٣٣٥.
- ١٥ - الفتن والملاحم (كتاب النهاية) لابن كثير، الجزء الأول، ص ٢٥-
٢٧ (فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان).
- ١٦ - شرح المقاصد، الجزء الأول، ص ٣٠٧.
- ١٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الجزء السابع، (باب ما جاء في
المهدي).

- ١٨ - مورد الظمآن إلى زوائد ابن حيّان، باب ما جاء في المهدي، ص ٦٣٤-٤٦٤، رقم الأحاديث: ١٨٧٦ إلى ١٨٨١.
- ١٩ - الفصول المهمة، الفصل الثاني عشر.
- ٢٠ - العرف الوردی في أخبار المهدي (رسالة طبعت ضمن مجموعة الحاوي، الجزء الثاني) ص ١٢٣ إلى ١٣٣.
- ٢١ - اليواقيت والجواهر، الجزء الثاني، المبحث الخامس والستون، ص ٤١٠-٤١١.
- ٢٢ - الصواعق المحرقة، ص ٢٤٩-٢٥٤.
- ٢٣ - الفتاوى الحديثية، ص ٣٨ [مطلب: في ظهور المهدي والسفياني وشعيب التميمي وأن السفياني يذبحه المهدي عند بحيرة طبرية].
- ٢٤ - القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، المقدمة...، [قال بعض الأئمة: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته].
- ٢٥ - كنز العمال، الجزء الرابع عشر، رقم الأحاديث: ٣٨٦٥١ إلى ٣٨٧٠٩.
- ٢٦ - البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، ص ٧٢، ٧٨.
- ٢٧ - مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح، ص ١٧٩-١٨٠.
- ٢٨ - أخبار الدول وآثار الأول، الفصل الحادي عشر.
- ٢٩ - فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الجزء السادس، ص ٢٧٧ إلى ٢٧٩.
- ٣٠ - الإشاعة لأشراط الساعة، الباب الثالث، ص ٨٧-١٢٢.
- ٣١ - الاتحاف بحبّ الاشراف، ص ١٧٩-١٨٠.
- ٣٢ - لوائح الأنوار الإلهية، عند شرح هذا الشعر:

- منها الإمام الخاتم الفصيح محمد المهدي المسيح
- ٣٣ - إسعاف الراغبين، المطبوع في حاشية مشارق الأنوار.
- ٣٤ - ينابيع المودة، الجزء الثالث والسبعون، ص ٨٩-٩٣.
- ٣٥ - نور الأبصار، فصل في ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص.
- ٣٦ - مشارق الأنوار، ص ١١١، الفصل الثاني.
- ٣٧ - الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، باب في الفتن العظام والمحن التي تعقبها الساعة، ص ١١٥-١١٧.
- ٣٨ - العطر الوردية، ص ٤٥.
- ٣٩ - غالية المواعظ، الجزء الأول، ص ٧٧.
- ٤٠ - عون المعبود، شرح سنن أبي داود، الجزء الحادي عشر، ص ٣٦١-٣٧٥.
- ٤١ - نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص ١٤٤-١٤٦، رقم الحديث: ٢٨٩.
- ٤٢ - تحفة الأحوذى، الجزء السادس، [٤٤ - باب ما جاء في المهدي]، ص ٤٨٤-٤٨٧.
- ٤٣ - التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، الجزء الخامس، الباب السابع، ص ٣٤١-٣٤٣.
- ٤٤ - نظرة في أحاديث المهدي، مقالة، طبعت في مجلة التمدن الإسلامي، المجلد ١٦، ص ٨٢٧-٨٣٠.

الفصل الثاني: في ذكر بعض المصرّحين (من أهل السنة) بنسب المهدي عليه السلام بعد أن اوردنا نماذج من الروايات و الأحاديث التي جاءت في كتب الفريقين المصرّحة باسم المهدي و نسبه الشريف، بقي الكلام في ذكر بعض رجال الحديث والتأليف من أهل السنّة الذين صرّحوا بنسب المهدي الموعود والمولود في منتصف شعبان ٢٥٥هـ كما عليه الشيعة الإمامية ومنهم :

١ - قول الشيخ محي الدين «ابن العربي» حول نسب الإمام المهدي عليه السلام؛ في «الفتوحات المكية ص ٣٦»:

«اعلموا أنه لا بد من خروج المهدي عليه السلام، لكن لا يخرج حتى تمتلأ الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً، وهو من عترة الرسول صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة (رضي الله تعالى عنها)، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده الإمام الحسن العسكري ابن الإمام علي النقي بالنون، ابن الإمام محمد التقي بالتاء، ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله تعالى عنهم)، يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله يبايعه المسلمون بين الركن والمقام»^(١).

(١) إسعاف الراغبين، ص ١٤١، في حاشية نور الابصار.

وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه (اليواقيت والجواهر) هذه الجملات الثمينة نقلاً عن الشيخ محي الدين في «الفتوحات المكية» في باب (٤٦٣) وأيضاً ذكرها غير واحد من علماء السنة عن اليواقيت والجواهر عن الفتوحات المكية ومن الواضح أن تطبيقه المهدي الموعود (سلام الله عليه) (على الإمام الثاني عشر) شاهد صدق على أنه كان يعتقد ذلك. ويؤيد ذلك أنه ذكر في مورد آخر من كتابه هذه الآيات:

٢ - محمد بن طلحة الشافعي مؤلف «مطالب السؤل في مناقب آل الرسول» (الجزء الثاني، الباب الثاني عشر) في الإجابة عمّن طرح اشكالات عديدة على تطبيق الأحاديث والروايات الواردة على المهدي الحجة المولود، وأحسن فيه.

وصرح باسم المهدي وآبائه وذكر تاريخ ومكان مولده، (راجع نفس المصدر: ٧٩/٢).

٣ - أبو المظفر سبط البن الجوزي الحنفي (٥٨١-٦٥٤هـ) في «تذكرة الخواص» (ص ٣٦٣، فصل في ذكر الحجة المهدي).

قال في: ص ٣٦٥، فصل. وقد جمع الأئمة عليهم السلام أبو الفصل يحيى بن سلامة الحصكفي قصيدته المشهورة. وفيها:

وسائل عن حب أهل البيت هل	أقر أعلناً به أم أجحد
هيهات ممزوج بلحمي ودمي	حبهم وهو الهدى والرشد
حيدرة والحسنان بعده	ثم علي وابنه محمّد
جعفر الصادق وابن جعفر	موسى ويتلوه على السيد
أعنى الرضي ثم ابنه محمّد	ثم علسي وابنه المسدد
الحسن التالي ويتلوه	محمّد بن الحسن المفتقد

⇒

وعين أمسام العالمين فقيسد
هو الصارم الهندي حسين يبيد
هو الوابل الوسمي حين يجرد

ألا أن ختم الأولياء شهيد
هو السيد المهدي مسن آل أحمد
هو الشمس يجلو كل غم وظلمة

٤ - الشيخ إبراهيم بن سعد الدين الحموي الخراساني (٦٤٤-٧٣٢هـ) في فرائد السمطين، المجلد الثاني، رقم الحديث: ٥٧١، وفي الحديث أشير إلى المعراج وما رآه النبي ﷺ وجاء فيه بالتفصيل أسماء الأئمة وأهل البيت المعصومين. وراجع أيضاً رقم الحديث: ٥٧٢، (وهو حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المشتمل على عدد الأئمة من ولده، وأن الثاني عشر منهم المهدي عليه السلام).

٥ - نور الدين علي بن محمد (ابن الصباغ المالكي ٧١٤-٨٥٥هـ) في الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، الفصل الثاني عشر: «في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلق الصالح ابن أبي محمد الحسن الخالص».

٦ - شمس الدين محمد بن علي (ابن طولون) الحنفي (٨٨٠-٩٥٣هـ) في «الأئمة الاثنا عشر»، [الباب] ١٢، الحجة المهدي بعد أن صرح المؤلف بأسماء الأئمة عليه السلام قال:

«... وعند شيعة مدينة تبريز الآن يقدّمون ويؤخرون بحسب الأفضلية، وقد نظمتهم على ذلك فقلت:

عليك بالأئمة الاثني عشر	من آل بيت المصطفى خير البشر
أبو تراب حسن حسين	وبغض زين العابدين شين
محمد الباقر كم علم دري	والصادق أبو جعفر بين الوري
موسى هو الكاظم وابنه علي	لقبه الرضا وقدره علي
محمد التقي قلبه معمور	علي النقي دره منشور
والعسكري الحسن المطهر	محمد المهدي سوف يظهر

٧ - عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشافعي (٨٩٨-٩٧٣هـ) في اليواقيت والجواهر، الجزء الثاني، المبحث الخامس والستون، ص ٤١٠-٤١١: «من الأمور التي تحدث قبل القيامة، خروج المهدي وهو ابن الإمام

الحسن العسكري، وولادته في منتصف شعبان عام ٢٥٥هـ وهو باق حتى يجمع مع عيسى بن مريم».

٨ - ابن خلّكان، أخبار الدول وآثار الأول، ص ١١٧، الفصل الحادي عشر (في ذكر الخلف الصالح الإمام أبي القاسم محمد بن حسن العسكري (رض)).

٩ - الشيخ الشبلنجي في: نور الأبصار، ص ١٥٢ «فصل في ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص...».

١٠ - الشيخ حسن الدوي المصري (١٢٢١-١٣٠٣هـ) في مشارق الأنوار، ص ١١٣، الفصل الثاني في المهدي وبيان أنه هل هو من ولد الحسن أو الحسين و...

١١ - الشوكاني في: التوضيح فيما تواتر عن الدجال والمنتظر والمسيح.
١٢ - أبو عباس بن عبد المؤمن المغربي في: كتاب الوهم المكنون في الردّ على «ابن خلدون».

١٣ - المتقي الهندي في: البرهان في ما جاء في صاحب الزمان^(١).
١٤ - الشيخ صلاح الدين الصفدي، قال: «إنّ المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر من الأئمة، أولهم سيّدنا عليّ عليه السلام وآخرهم المهدي»^(٢).

١٥ - خير الدين الزركلي، قال: «محمّد بن الحسن العسكري (الخالص بن عليّ الهادي، أبو القاسم: آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية وهو المعروف عندهم بالمهدي، وصاحب الزمان، والمنتظر والحجة...»^(٣).

(١) راجع: كشف الأستار، للمحدث النوري، ص ١٠-١٢، ٤١-٤٥ و...

(٢) ينابيع المودة، ص ٤٧١، نقلاً عن شرح الدائرة.

(٣) الأعلام: ٨٠/٦.

١٦ - سليمان بن خواجه (الحنفي، وهو صوفي المشرب كما في ينابيع المودة).

١٧ - الشيخ سراج الدين محمد الرفاعي، في صحاح الأخبار، قال: «في ترجمة الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام، ولقبه التقي، والعالم، والفقير، والأمير، والدليل والعسكري... وكان له خمسة أولاد: الإمام الحسن العسكري، والحسين ومحمد وجعفر وعائشة، فأما الحسن العسكري فأعقب صاحب السرداب، الحجّة المنتظر ولي الله الإمام المهدي عليه السلام».

١٨ - الذهبي، صاحب تاريخ دول الإسلام: ١١٥ / ٥.

١٩ - القرماني، (كما في أخبار الدول، ص ١١٧): «الإمام أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري كان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكمة كما آتاها يحيى».

٢٠ - نقل الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (١٢٢٠ - ١٢٧٠هـ) في «ينابيع المودة»، ص ٤٩١ [وأيضاً ٤٥٢] من المصادر المعتبرة لأهل السنة أنّ الخلف الصالح من أبناء الحسن بن علي العسكري هو صاحب الزمان وهو مهدي آخر الزمان.

وفيما يلي نذكر أسماء جماعة من علماء أهل السنة ومشايخ التصوف الذين يعترفون بولادة الإمام المهدي عليه السلام ووجوده حتى يأذن له الله بالظهور، ملخصاً كما جاء في كشف الأستار للمحدث النوري:

٢١ - الحافظ محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي في كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام».

٢٢ - الشيخ حسن العراقي.

٢٣ - الشيخ علي الخواص.

٢٤ - الشيخ عبد الرحمن الجامي.

- ٢٥- الحافظ محمد البخاري (من أعيان علماء الحنفية).
- ٢٦- ابن الفوارس الرازي.
- ٢٧- السيد جمال الدين المحدث.
- ٢٨- الحافظ أحمد البلاذري (غير البلاذري صاحب أنساب الأشراف).
- ٢٩- ابن الخشاب البغدادي.
- ٣٠- ملك العلماء الدولة آبادي.
- ٣١- الشيخ علي متقي الهندي (صاحب كنز العمال).
- ٣٢- ابن روزبهان الشيرازي.
- ٣٣- الناصر لدين الله العباسي.
- ٣٤- الشيخ عبد الرحمن البسطامي.
- ٣٥- الشيخ عبد الرحمن صاحب مرآة الأسرار.
- ٣٦- صرح الدين الصفوي.
- ٣٧- الشيخ قطب مدار.
- ٣٨- الشيخ جواد الساباطي.
- ٣٩- الشيخ سعد الدين الحموي.
- ٤٠- الشيخ عامر البقري.
- ٤١- الشيخ صدر الدين القونوي.
- ٤٢- الشيخ جلال الدين الرومي.
- ٤٣- الشيخ عطار النيسابوري.
- ٤٤- الشيخ شمس الدين التبريزي.
- ٤٥- السيد نعمة الله الولي (من مشايخ الصوفية).
- ٤٦- السيد السنيمي.
- ٤٧- السيد علي الهمداني.

- ٤٨ - الشيخ عبد الله العطيري.
٤٩ - الشيخ محمد الضبان الحصري.
٥٠ - الحافظ عبد الرحمن السيوطي الشافعي.
٥١ - محمد بن شحته الحنفي (في روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر: ١/٢٩٤).
٥٢ - الحافظ محمد بن مسعود البغوي.
٥٣ - الحافظ أبو بكر البيهقي الشافعي (كما في: شعب الإيمان).
٥٤ - ابن خلكان المؤرخ المشهور.
٥٥ - الحافظ أبو نعيم (رضوان العقبي).
٥٦ - علي بن حسين المسعودي (صاحب مروج الذهب).
٥٧ - ابن الأثير الجزري (صاحب كامل التواريخ).
٥٨ - أبو الفداء المؤرخ المشهور صاحب «المختصر في أخبار البشر».
٥٩ - محمد خواند أمير (صاحب روضة الصفا).
٦٠ - خواند أمير (صاحب حبيب السير).
٦١ - حسين بن محمد الديار بكري (صاحب تاريخ الخميس).
٦٢ - الشيخ ابن العماد الحنبلي (صاحب شذرات الذهب).
٦٣ - جلال الدين السيوطي (في: علامات المهدي).
٦٤ - أبو نعيم (في: أخبار المهدي).
٦٥ - ابن حجر الهيتمي (في: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر). و... وعشرات الأشخاص الآخرين.

الفصل الثالث: في بيان شبهة أنّ المهدي عليه السلام من ولد الحسن المجتبي عليه السلام

بعد أن بينا نسب الامام المهدي عليه السلام وفقاً للروايات المروية ، لا بد أن نجيب بعض التساءلات حول نسبة عليه السلام وها هي:

١ / ٣- هل المهدي من ولد «الحسن» عليه السلام:

استدلّت طائفة قليلة من المسلمين بأنّ المهدي عليه السلام من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بثلاث روايات تالية:

الأولى: أخرجها نعيم بن حماد، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: نظر علي عليه السلام إلى الحسن عليه السلام، فقال: إنّ ابني هذا سيّد كما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله، ويخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً^(١).

والثانية: رواها تمام في فوائده، وابن عساكر، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «ويخرج رجل من ولد حسن من قبل الشرق لو استقبل بها الجبال هدمها واتخذ فيها طرقاتاً»^(٢).

والثالثة: مثل الرواية الأولى بتفاوت يسير، أخرجها الترمذي في جامعه، وأبو داود في سننه، عن ابن إسحاق السبيعي.

ملاحظات في الروايات الثلاث سنداً ومضموناً:

أما الرواية الأولى:

(١) فلانند الدرر في أخبار المهدي المنتظر، ص ٨٢.

(٢) البرهان، المتقي الهندي، ٢ / ٥٨١.

فهي أولاً: مروية عن عبد الله بن بحير الصنعاني المكنى بأبي وائل، وحسبنا في إسقاطها ما نصّوا عليه من كونه قاصاً^(١) من جند معاوية، والقاصون بصورة عامة متهمون بعدم الدقة والتزيد بخاصة من كان منهم في عهد معاوية بالذات، فقد كانوا من جملة من اعتمدتهم في تحريف الأحاديث بما يوافق أغراضه، قال ابن حيان عن أبي وائل: «يروى العجائب التي كأنها معمولة لا يحتج به»^(٢).

وثانياً: إنَّها معارضة بروايات صحيحة ومستفيضة الدالة على أن المهدي من ولد الحسين عليه السلام كما مرّت.

وأما الرواية الثانية:

أولاً: ومع غرض النظر عن الكلام في عبد الله بن عمرو بن العاص، المناصر لمعاوية في صفين، فإن راويها ابن هبيعة عبد الله بن عقبة الحضرمي، ضعيف كما ذكر الذهبي^(٣)، وهو رواها عن أبي قبيل حي بن هاني المعافري، قال البخاري: فيه نظر. وقال أحمد: أحاديثه مناكير^(٤).

وراويها عن ابن هبيعة رشد بن سعد بن مفلح المهري، ضعفه أبو زرعة وغيره، قال حرب: سألت أحمد فضعه؛ وقال ابن معين: لا يكتب حديثه^(٥).

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي: ٣٩٥ / ٢.

(٢) نفس المصدر.

(٣) ميزان الاعتدال: ٤٧٥ / ٢.

(٤) التهذيب، ابن حجر: ٧٢ / ٣؛ المغني في الضعفاء، الذهبي: ١١٩ / ١؛ التقريب: ٢٠٩ / ١.

(٥) المغني في الضعفاء: ٢٣٢ / ١؛ تهذيب التهذيب: ٢٧٧ / ٣.

ثانياً: وهي معارضة برواية عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمر، قال: «يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق لو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقاتاً»^(١).

وأما الرواية الثالثة:

فيرد عليها أولاً: بأن السبيعي توفي سنة ١٢٩هـ والإمام علي عليه السلام استشهد سنة ٤٠هـ فلو حسبنا عمره من سنة مقتل الإمام عليه السلام كان ٨٩ عاماً فكم يكون قد عاش إذا لم يكن أن يرى الإمام عليه السلام ويسمع منه ويحفظ عنه، ولو أخذنا بقول من روي أن ولادته كانت في عهد عثمان، ولا بد أن يكون في آخرها إن صحت هذه الرواية، فإن عمره عند عهد الإمام عليه السلام حتى في آخره مما لا يقبل معه أن ينقل عنه شيئاً، لذلك نصّر المنذري على أنه حديث منقطع.

ثانياً: إن الحديث عن السبيعي مُعَارَضٌ بنقل آخر عن السبيعي يذكر فيه اسم الحسين عليه السلام مكان اسم الحسن عليه السلام؛ ففي الجمع بين الصحاح الستة عن أبي اسحاق السبيعي، قال: قال علي عليه السلام ونظر إلى ابنه الحسين عليه السلام: إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ وسيخرج الله من صلبه رجلاً باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق، يملأ الأرض عدلاً^(٢). روي ذلك عن أبي اسحاق صاحب مشكاة المصابيح^(٣).

(١) البيان، الكنجي الشافعي، ص ٥١٣، وقال: رواه الطبراني وأبو نعيم.

(٢) بحار الأنوار: ١١٦/٥١، نقلاً عن الطراف.

(٣) ينابيع المودة، ص ٤٣٢.

ثالثاً: أنّ السبيعي اختلط في آخر عمره، ومن حاول نفي الاختلاط عنه نصّ على أنه شاخ ونسي^(١)، وقد يكون وضع اسم الحسن عليه السلام مكان اسم الحسين عليه السلام بسبب ذلك.

رابعاً: من الممكن أن تكون هذه الروايات من وضع دعاة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى المكنى بأبي عبد الله، والذي لقب نفسه أو لقبوه بذِي النفس الزكية^(٢)، فقد كان يتغيب ويستخفي، ويدّعي المهديّة، وقد أعلن شاعر من أتباع ذلك فقال:

إنّ الذي يروي الرواة لبيّنٌ إذا ما ابن عبد الله فيهم تجردا^(٣)

وتدلّ أقواله ومواقفه مع الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام وقاتله لإسماعيل بن عبد الله بن جعفر، وكان شيخاً في التسعين، حين أيا مبايعته^(٤) على أنه قليل الورع لا يستبعد عليه الإذعاء والوضع، وقد ثار محمد هذا في المدينة المنورة، ولم يجاوزها حتى قتل في عهد أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ^(٥).

وربما كان دعواته أيضاً وراء إضافة «اسم أبيه أبي أو كنيته أبو عبد الله»^(٦). وأضف إلى ذلك كله، أنه يمكن السهو في الكتابة مع أنه لم ينقط، وكثيراً ما كان يتفق بدل حرف عن حرف أو نقطة تحته أو فوقه وغير ذلك.

(١) ميزان الاعتدال: ٢٧/٣؛ تقريب التهذيب: ٧٣/٢.

(٢) تدلّ الأخبار أن ذا النفس الزكية قُتِلَ عنوي يُقتل جوار الكعبة قبل خروج المهدي بـ ١٥ يوماً.

(٣) مقاتل الطالبين، ص ١٦٤ و ١٦٥.

(٤) بحار الأنوار: ٤٧/٢٨٠-٢٨٦.

(٥) مقاتل الطالبين، ص ١٧٤-١٨٣.

(٦) راجع: الإمام المهدي المنتظر، السيد عدنان البكاء ص ٥٧-٦٠، وقد نقلنا عنه بتفاوت يسير.

وأيضاً سنقول، أنّه يمكن أن يكون المهدي من ولد الحسن من جهة الأمّ، فتأمل.

٣ / ٢ - هل المهدي من «ولد السبطين»؟:

عن كتاب «صفة المهدي» للحافظ أبي نعيم الاصبهاني، عن علي بن علي الهلالي، عن أبيه، قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو في الحالة التي قبض فيها، فإذا فاطمة عند رأسه - وذكر الحديث بطوله، وفي آخره - قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة! والذي بعثني بالحق أن منها - يعني الحسن والحسين عليهما السلام - مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عز وجل عند ذلك منها من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلقاً، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان ويملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً»^(١).

وهذا الحديث رواه أكثر الحفاظ في كتبهم مع اختلاف يسير في اللفظ وفي بعضها: «وإن منّا مهدي هذه الأمة بدل وإنّ منها».

وستكلم حول الحديث المذكور [إن المهدي من «ولد السبطين»] على فرض صحته، وقد مرّ عليك وسترى بعد هذا أيضاً، إنّ هذا الحديث مع الروايات الكثيرة التي صرّحت بأنّه من ولد الحسين عليه السلام.

(١) عقد الدرر، الفصل الثالث من الباب التاسع، ص ٢١٧؛ وقد ذكر تمام الحديث في نفس المصدر، الباب السابع،

٣ / ٣ - سؤال وجواب:

يطرح هنا سؤال، وهو: أنه كيف يكون المهدي عليه السلام من ولد الحسن المجتبي عليه السلام مع أنه من ولد أخيه الحسين الشهيد عليه السلام ولم يعقب الحسن عليه السلام إماماً معصوماً على ما اعتقده الإمامية؟

كما أنه يُسأل كيف نسميهم عليهم السلام ذرية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مع أن الذرية في صلب الابن لا الابنة؟

الجواب:

أن المهدي عليه السلام كما هو من ولد الحسين عليه السلام وذريته يكون من ذرية الحسن السبط الأكبر عليه السلام أيضاً، لأن والدته الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر زوجة الإمام علي بن الحسين زين العابدين هي فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، فأبو جعفر محمد الباقر علوي بين علويين وهاشمي بين هاشميين وذريته عليهم السلام من ذرية الحسن والحسين عليهما السلام، فالمهدي الموعود من هذه الدوحة الميمونة^(١).

ومما يدل على هذا احتجاج موسى بن جعفر عليه السلام مع الرشيد في خبر طويل... [وفيه] أنه لما أحضره الرشيد وأدخل عليه، سأله الرشيد: ويقولون لكم يا بني رسول الله وأنتم بنو عليٍّ وإنما ينسب المرء إلى أبيه وفاطمة إنما هي وعاء والنبي صلى الله عليه وآله جدكم من قبل أمكم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين لو أن النبي صلى الله عليه وآله نُشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تحببه؟

فقال: سبحان الله ولم لا أجيبه بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

(١) راجع: الإمام المهدي عليه السلام وظهوره، ص ٨١-٨٢.

قلت: لكنه ﷺ لا يخطب إلي ولا أزوجه.

فقال: ولم؟

فقلت: لأنه ولدني ولم يلدك.

فقال: أحسنت يا موسى!

ثم قال: كيف قلتم إنا ذرية النبي ﷺ والنبي ﷺ لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للإثني، وأنتم ولد الابنة ولا يكون لها عقب؟

فقلت: أسألك بحق القرابة ومن فيه إلا ما أعفيتني عن هذه المسألة.

فقال: لا أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم كذا أنهم إلى ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله، فأنتم تدعون معشر ولد أنه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلا وتأويله عندكم واحتججتكم بقوله عز وجل: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾^(١)، وقد استغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تآذن لي في الجواب.

قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى...﴾^(٢)، من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟!

فقال: ليس لعيسى أب.

فقلت: إنها الحقناه بذراري الأنبياء ﷺ من طريق مريم ﷺ، وكذلك ألحقنا بذراري النبي ﷺ من قبل أمنا فاطمة ﷺ^(٣).

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

(٢) سورة الأنعام: ٨٤.

(٣) بحار الأنوار ٢٨/١٢٧.

نعم، إنَّ الله نسب المسيح عيسى بن مريم إلى خليله إبراهيم بأمّه مريم البكر البتول التي لم يمّسها بشر، كما نسب داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى بأبائهم وأمهاتهم، فالمهدي عليه السلام أيضاً من ذرية النبي صلى الله عليه وآله من ناحية فاطمة عليها السلام كما يكون من ولد الحسن المجتبي عليه السلام أمّا.

الفصل الرابع: في بيان شبهة ان المهدي عليه السلام من ولد العباس والإجابة عنها

توجد أحاديث في بعض الكتب تقول: إنَّ المهدي عليه السلام من ولد العباس فهناك تعارض بينها وبين الروايات التي قدّمناها فعلينا الإجابة عنها:

١/ ٤ - روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «يا أمّ الفضل: إنك حامل بسلام، فقالت: يا رسول الله وكيف وقد تحالف الفريقان أن لا يأتوا النساء؟ قال: هو ما أقول لك، فإذا وضعته فأتيني به [كذا]. قالت: فلما وضعته أتيت به رسول الله صلى الله عليه وآله فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، وقال: اذهبي بأبي الخلفاء، قالت: فأتيت العباس فأعلمته، فكان رجلاً جميلاً لباساً، فأتى النبي صلى الله عليه وآله فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قام إليه فقبل بين عينيه ثم أقعده عن يمينه، ثم قال: هذا عمّي فمن شاء فليباه بعمه، قالت: يا رسول الله بعض هذا القول، فقال: يا عباس! لم لا أقول هذا القول وأنت عمّي وصنو أبي وخير من أخلف بعدي من أهلي؟

فقلت: يا رسول الله! ما شيء أخبرتني به أمّ الفضل عن مولودنا هذا؟ قال: نعم يا عباس! إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي»^(١).

(١) الطبراني، الأوسط: على ما في مجمع الزوائد. ابن حبان: على ما في ذخائر العقبى. أبو نعيم الاصبهاني: على ما في الخصائص الكبرى. تاريخ بغداد: ٦٣/٢، وفيه: أخبرنا القاسم الأزهري قال: نبأنا محمد بن المظفر الحافظ قال: نبأنا أبو سهل محمد بن علي الزعفراني، قالوا: نبأنا أحمد بن راشد الهلالي، قال: نبأنا سعيد بن خيثم، عن حنظلة، عن طاووس،

٢ / ٤ - وروي أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا عباس، قال: لبيك يا رسول الله! فقال: يا عمّ النبي! إنّ الله ابتدأ بي الإسلام وسيختمه بسلام من ولدك وهو الذي يتقدم لعيس (عيسى) بن مريم»^(١).

٣ / ٤ - كما أنه روى عنه أيضاً:

«والله إنّ منّا بعد ذلك السّفاح، والمنصور، والمهدي، يدفعها إلى عيسى بن مريم»^(٢).

⇒

عن ابن عباس، قال: حدثني أم الفضل بنت الحارث الهلالية، قال: مررت بالنبي ﷺ وهو في الحجر فقال: وانظر أيضاً: ٣ / ٣٤٣. تاريخ دمشق: ٤ / ١٧٨-١٧٩. تهذيب ابن عساکر: ٧ / ٢٤٧. ذخائر العقبى، ص ٢٣٦. مجمع الزوائد: ٥ / ١٨٧. الخصائص الكبرى: ٢ / ١١٩. لوائح السفاريني: ٢ / ٣.

(١) الهيثم بن كليب «على ما في المغربي». الغيلانيات، أبو بكر الشافعي، على ما في جمع الجوامع. الأفراد، الدارقطني: على ما في كنز العمال. ابن عدي: على ما في اللئالي المصنوعة. تاريخ بغداد: ٣ / ٣٢٣، بتفاوت. تاريخ دمشق: ٤ / ١٢٦، بتفاوت. تهذيب ابن عساکر: ٧ / ٢٣٦، بتفاوت. ذخائر العقبى، ص ٢٠٦، مرسلاً، بتفاوت. ميزان الاعتدال: ١ / ٨٩، حديث ٣٢٨، بتفاوت. اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: ١ / ٤٣٤-٤٣٥، بتفاوت. جمع الجوامع: ٢ / ٩٥. تاريخ الخميس: ٢ / ٢٨٨. صواعق ابن حجر، ص ٢٣٧. القول المختصر، ص ٢. كنز العمال: ٤١ / ٢٧١، رقم الحديث: ٣٨٦٩٣ وأيضاً الرقم: ٣٨٦٩٤ وفي: ص ٥٨٤، الحديث: ٣٩٦٥٥ بتفاوت في كل منها. مشارق الأنوار، ص ١١٢. المغربي، ص ٥٦٦، الحديث: ٤٧ وفي: ص ٥٦٧، الحديث: ٤٨.

لوائح السفاريني: ٢ / ٣، عقيدة أهل السنة، ص ٢٥. إسعاف الراغبين، ص ٩٦. الإذاعة، ص ١٣٥. تصريح الكشميري، ص ٢١٤، الحديث: ٤٢.

(٢) ابن حماد، ص ١١٠ و١١١ و١٢٢، بتفاوت في السند عيون الأخبار، ابن قتيبة: ١ / ٣٠٢. الحاكم: ٤ / ٥١٤. دلائل النبوة: ٤ / ٥١٣-٥١٤، وفي: ص ٥١٤، بسند آخر. تاريخ بغداد: ١ / ٦٢-٦٣، وفي ص ٦٣، بسند آخر، كما في: ٥ / ٣٩١ وفي: ٩ / ٣٩٩ وفي: ١٠ / ٤٨. بأسناد أخرى. ذخائر العقبى، ص ٢٠٥. عقد الدرر، ص ١٣٧، الباب ٦، ص ١٥٠، الباب ٧. البداية والنهاية: ٦ / ٤٤٦. مقدمة ابن خلدون، ص ٢٥٣، الباب ٥٣. الخصائص الكبرى: ٢ / ١٢٠. صواعق ابن حجر، ص ٢٣٧. كنز العمال: ١٤ / ٢٧٠، الحديث: ٣٨٦٨٨. إسعاف الراغبين، ص ١٥١-١٥٢. الإذاعة، ص ١٣٤.

المغربي، ص ٥٤٣، وفي ص ٥٦٦، الحديث ٤٥ و٤٦ وفي: ص ٥٧٧، الحديث: ٨٠، بتفاوت في كل منها. كشف النوري، ص ١٨٥، الباب ٢. منتخب الأثر، ص ٤٧٢، الفصل ٧، الباب ٣، الحديث ٤.

٤ / ٤ - روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المهدي من ولد العباس [عمي]»^(١).

٤ / ٥ - وروي أيضاً عنه ﷺ أنه قال: «لي النبوة ولكم الخلافة، بكم يفتح هذا الأمر وبكم يختم»^(٢).

(١) ابن حماد، ص ١٠٣. ذخائر العقبى، ص ٢٠٦. خريدة العجائب: ص ١٩٩. عرف السيوطي، الحاوي: ٨٥ / ٢. تاريخ الخميس: ٢٨٨ / ٢. صواعق ابن حجر، ص ١٦٦، الباب ١١، الفصل ١. كما في ذخائر العقبى، عن ابن عدي، وقال: ولكن قال الذهبي: تفرد به محمد الوليد مولى بني هاشم، وكان يضع الحديث. ولا ينافي هذا الحمل وصف ابن عباس للمهدي في كلامه بأنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وتأمين البهائم والسباع في زمنه، وتلقى الأرض أفلاذ كبدها، أي أمثال الاسطوانات من الذهب والفضة، لأن هذه الأوصاف يمكن تطبيقها على المهدي العباسي، وإذا أمكن حمل كلامه على ما ذكرناه لم يناف الأحاديث الصحيحة السابقة: أن المهدي من ولد فاطمة، لأن المراد بالمهدي فيها الآتي آخر الزمان الذي يأتي به عيسى (صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم).

ملاحظة:

لا ندري كيف يمكن تطبيق صفات المهدي الموعود كتباً على المهدي العباسي؟ وكيف يمكن تفسير أحاديث المهدي بأنها تقصد مهديين بنفس الصفات، أحدهما عباسي والثاني من ذرية فاطمة وعلي في آخر الزمان؟! وهل ذلك إلا تكلف تأباه الأحاديث وأئمة الحديث؟

وفي: ص ٢٣٧، كما في ذخائر العقبى، مرسلاً، وقال: «سند كل منها ضعيف وعلى تقدير صحتها لا ينافي كون المهدي من ولد فاطمة المذكور في الأحاديث التي هي أصح وأكثر، لأنه مع ذلك فيه شعبة من بني العباس، كما أن فيه شعبة من بني الحسين». برهان المتقي، ص ٩٥، الباب ٢، الحديث ٢٤ و ٢٥. كنز العمال: ١٤ / ٢٦٤، الحديث: ٣٨٦٦٣. إسعاف الراغبين، ص ١٥١، كما في ذخائر العقبى، عن ابن عدي، وقال: «وفي إسناده وضاع لم يسمعهم، فيض التقدير: ٢٧٨ / ٦، الحديث: ٩٢٤٢، عن الجامع الصغير، وقال: قال ابن الجوزي: فيه محمد بن الوليد المقرئ، قال ابن عدي: يضع الحديث ويصله ويسرق ويقلب الأساتيد والمتون. وقال ابن أبي معشر: هو كذاب وقال السمهودي: ما بعده وما قبله أصح منه، وأما هذا ففيه محمد بن الوليد وضاع، مع أنه لو صح حمل علي المهدي ثالث العباسيين». المغربي، ص ٥٦٣، الحديث: ٣٢، عن الأفراد، وقال: (وهو غريب متكرر، وقد جمع بأنه عباسي الأم، حسني الأب، وليس بذلك، بل الحديث لا يصح). الإذاعة، ص ١٣٥، عن الأفراد، والجامع الصغير، وقال: «قال الشوكاني في التوضيح: قلت ويمكن الجمع بين هذه الثلاثة أحاديث وبين سائر الأحاديث المتقدمة بأنه من ولد العباس من جهة أمه، فإن أمكن الجمع بهذا، وإلا فالأحاديث الدالة أنه من ولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أرجح».

ملاحظة:

قال ابن عروبة في محمد بن الوليد المقرئ: «كذاب» وكذا تناولته بالذم كتبه نقد الحديث وبيان الضعفاء والمتروكين والوضاعين».

(٢) تاريخ بغداد: ٣ / ٣٤٨ / ٣٤٩.

مهديب ابن عساكر: ٧ / ٢٤٦ - ٢٤٧، كما في تاريخ بغداد، وقال: «وأخرجه من طريق الخطيب أيضاً عن ابن عباس؛

٦ / ٤ - ومن طرائف الأحاديث المروية في امتداد ملك بن العباس إلى ظهور المهدي عليه السلام، ثم إلى يوم القيامة: ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ١٧٩ / ٢، وفي تهذيبه: ٢٤٧ / ٧، قال:

«أخبرنا أبو الحسن علي ابن أحمد الفقيه، وعلي بن الحسن بن سعيد، قالوا: حدثنا أبو النجم بدر بن عبد الله، حدثنا أبو بكر الخطيب، حدثنا القاضي أبو أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاصبهاني، حدثنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن علي بن فراس العدل بمكة، حدثنا أبو عبد الله جعفر بن إدريس القزويني، حدثنا أبو الطيب عبد الله بن عمرو بن الحكم البغدادي، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، حدثني أبي أحمد بن عامر بسرّ من رأى في يوم الذي مات فيه الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا، حدثنا أبو الحسن بن علي بن موسى الرضا، قال: حدثني أبي

﴿

وفيه: ثم قال للعباس: من أحبك نالته شفاعتي، ومن أبغضك فلا نالته شفاعتي..

ذخائر العقبى، ص ٢٠٥، عن عقبة بن عامر الجهني، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أخذاً بيد العباس ثم قال: يا عباس! إنّه لا يكون نبوة إلا وكانت بعدها خلافة، وسبيلي من ولدك في آخر الزمان سبعة عشر، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي، ومنهم الجموع، ومنهم العاقب، ومنهم الراهن من ولدك، وويل لأمتي منه، كيف يهلكها ويذهب بأمرها..

وعن ابن عباس قال: أقبل العباس يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أقبل إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض، وسيلبس ولده من بعده السواد، ويتملك منهم اثنا عشر رجلاً - يعني ملكاً - ولا ينازع فيه. وقال: أخرجهما ابن حبان، والملا في سيرته.

مجمع الزوائد: ١٨٧ / ٥ - ١٨٨، كما في ذخائر العقبى، بتفاوت، وفيه: ومنهم المهدي، وليس بمهدي. ومنهم الراهن. كيف يعقرها ويهلكها ويذهب بأموالها هو وأتباعه على غير دين الإسلام فإذا بويع لصلبه، فعند الثامن عشر - انقطاع دولتهم، وخروج أهل المغرب من بيوتهم - وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الأول بن عبد الله المعلم ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

جمع الجوامع: ٢ / ٢٦٣، عن ابن عساكر، عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) عن ابن عباس، قال: قال لي حذيفة بن اليمان، كعب الأحبار: إذا ملك الخلافة بنوك لم تزل الخلافة فيهم حتى يدفعوها إلى عيسى بن مريم.. كنز العمال: ٤٥٧ / ١٣، الحديث: ٣٧١٨٨، عن جمع الجوامع.

موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: هبط عليّ جبرئيل وعليه قباء أسود وعمامة سوداء، فقلت: ما هذه الصورة التي لم أرك هبطت عليّ فيها قط؟

قال: هذه صورة الملوك من ولد العباس عمك. قلت: وهم علي حق؟ قال جبرئيل: نعم. وقال النبي ﷺ: «اللهم اغفر للعباس ولولده حيث كانوا وأين كانوا». قال جبرئيل: ليأتين على أمتك زمان يعزّ الله الإسلام بهذا السواد، قلت: رياستهم ممن؟ قال: من ولد العباس، قلت: وأتباعهم؟ قال: من أهل خراسان، قلت: وأي شيء يملك ولد العباس؟ قال: يملكون الأصفر والأخضر، والحجر والمدر، والسريبر والمنبر، والدنيا إلى المحشر والملك إلى المنشر».

٧/٤ - ومن طرائف ما روي في أن المهدي عليه السلام من بني أمية وعبد شمس: روايتان أوردهما ابن حماد: ص ١٠٢ و ١٠٣، أولاهما بسندها إلى محمد بن الحنفية تقول في جواب سؤال عن المهدي «إنه إذا كان فإنه من ولد عبد شمس»، والثانية بسندها إلى ابن عباس تقول: مهديان من بني عبد شمس، أحدهما عمر الأشجّ ولم نعثر على من روى أن المهدي عليه السلام من بني أمية غيره».

كما توجد روايتان تذكران أن اسمه محمد بن عبد الله، وتشيران إلى أنه ابن الحسن المثنى المعروف، روى أولاهما أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين: ص ١٦٣ و ١٦٤، بسنده إلى أبي هريرة، قال: إن المهدي اسمه محمد بن عبد الله».

والثانية في عرف السيوطي، الحاوي: ٢/٦٦، مرسله، عن ابن أبي جرير في تهذيب الآثار، تقول: «واسمه محمد بن عبد الله، يخرج إليه الأبدال من

الشام والعصب من العراق، كأن قلوبهم زبر الحديد، رهبان بالليل ليوث بالنهار».

كما توجد رواية تذكر أنه من أولاد عمر، رواها في حلية الأولياء: ٢٥٤ / ٥، بسنده إلى عبد الله بن عمر أنه كان كثيراً ما يقول: «ليث شعري من هذا الذي في وجهه علامة من ولد عمر، يملأ الأرض عدلاً؟» وقد رواها عنه، وعن ابن عساكر الحنفي في كنز العمال: ٢٦ / ١٤، الحديث: ٣٧٨٤٧، بتفاوت يسير.

وقد حاول بعضهم أن يطبقها على عمر بن عبد العزيز باعتباره من ولد عمر من جهة الأم، ولكن لم نجد أن عمر بن عبد العزيز كان في وجهه علامة، كما أنه لم يملأ الأرض عدلاً، بل قتل بعد مدة قليلة من خلافته.

هذا، وقد أعرض العلماء والمحدثون عن هذه الروايات الغريبة في نسب المهدي عليه السلام، ولم يقفوا عندها طويلاً ما عدا روايات: أن المهدي عليه السلام من أولاد العباس، لأنها أكثر وأشهر، وبهذا تعرف مدى نفوذ العباسيين وتأثيرهم على مصادر الحديث حتى في مثل نسب المهدي عليه السلام الذي وردت فيه أحاديث كثيرة صحيحة ومتواترة.

ولكن الذي يهون الخطب أن العلماء نقدوا أسانيدنا واحداً واحداً، ولم يخل سند فيها من راوٍ مجهول، أو مشهود عليه بالوضع والكذب، أو متهم في حديثه لغلوه في بني العباس.

فمثلاً محمد بن جابر اليمامي السحيمي الوارد في سند رواية الخطيب البغدادي، قال عنه الخباري: «ليس بالقوي»، وقال أحمد: «لا يحدث عنه إلا

شر منه»، وقال ابن حبان: «كان أعمى يلحق في كتبه ما ليس من حديثه، ويسرق»^(١).

وقال الذهبي عن حديث الخطيب الثاني: «وفي سنده عبد الله بن أحمد بن عامر، عن أبيه، عن علي الرضا، بتلك النسخة الموضوعة الباطلة، ما تنفك عن وضعه أو وضع أبيه».

قوال الواعظ البغدادي: يروي عن أهل البيت نسخة باطلة^(٢).

وقال الذهبي: «وفي السند أحمد بن راشد الهلالي، عن سعيد بن خيثم، بخبر باطل في ذكر بني العباس، من رواية خيثم عن حنظلة، عن أحمد بن راشد فهو الذي اختلقه بجهل»^(٣).

ومع قطع النظر عن نقد أسانيد هذه الأحاديث، فهل تصلح أن تكون معارضة للأحاديث الصريحة المتواترة بأن المهدي من علي وفاطمة عليهما السلام؛ والتي رواها أئمة الحديث كافة كما تقدم، وبلغت طرقها بل طرق بعضها عشرات من أصح الطرق وأعلاها، بحيث يكفي عند العلماء والمحدثين طريق واحد منها لإثبات حكم شرعي أو موضوع.

ومضافاً إلى ذلك فقد وردت عدة أحاديث، خاصة في مصادرنا الشيعية، تنفي أن يكون المهدي عليه السلام من ولد العباس.

نعم، يحتمل أن يكون صدر عن ابن عباس قوله: «منا المهدي» ناقلاً ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله أو مفتخراً به، ويكون قصده أنه من بني هاشم لا من ذرية

(١) الضعفاء: ١٠٣/٢؛ ميزان الاعتدال: ٤٩٨/٣.

(٢) ميزان الاعتدال: ٣٩٠/٢؛ الضعفاء: ١١٥/٢.

(٣) ميزان الاعتدال: ٩٧/١.

العباس، وفي أحاديث ابن عباس أحاديث كثيرة يفتخر بها بأنه من بني هاشم في مقابل بني أمية أو غيرهم، ويتكلم فيها بصيغة جمع المتكلم^(١).
وكما - قيل - من الممكن أن تكون هذه الروايات من وضع دعاة أبي عبد الله محمد بن عبد الله المنصور الملقب بالمهدي وهو ثالث الخلفاء العباسيين، فقد ادّعت له المهدوية ووضعت لصالح دعواه أحاديث تجعل المهدي من ذرية العباس.

اللهم عجل لوليك الفرج وسهل مخرجه، واجعلنا من أنصاره
ومنتظريه.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) راجع: معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، الجزء الأول، تم إعداده في مؤسسة المعارف الإسلامية، تحت إشراف سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الكوراني، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

تثبيت العقيدة المهدوية

الشيخ حميد البغدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

اهتمت الشريعة المقدسة بمستقبل الإنسانية لتصل إلى الأمل المنشود الذي يحقق لها العيش الكريم والسعادة الحقيقية الحياة التي تسود فيها العدالة والكرامة والرقى في سلم العروج إلى العشق الإلهي والكدح إلى الرب، فكانت العقيدة المهدوية ركن مهم، وأساس من أركان الدين الإلهي والسعادة الحقة التي وعدت بها السماء البشرية في الوصول الحتمي لها، ونجد ذلك بوضوح في القرآن الكريم: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (سورة القصص: ٥)

بل صرح القرآن الكريم بحتمية هذا اليوم وأنه آت بلا شك: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٥).

وأشار إلى أن هذا اليوم تتحقق فيه آمال المؤمنين في الخلافة وتمكين الدين الحق والأمن الحقيقي بعد الخوف: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة النور: ٥٥).

ونجد أيضاً الاهتمام البالغ في الروايات الشريفة بهذا اليوم المبارك، حيث ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم

حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي، اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

وفي حديث آخر: «سيخرج رجل من ولدي يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً»^(٢).
وغير ذلك من الروايات الجممة.

عالمية العقيدة المهدوية :

تمثل قضية الموعود المنتظر عليه السلام واحدة من أهم المفردات المطروحة على الساحة الفكرية بجميع مفاصلها وبمختلف مذاهبها وايدولوجياتها الفكرية واتجاهاتها الفلسفية، فالجميع يعتقد باليوم الموعود الذي يعم في عهده العدل والرخاء والسعادة للإنسانية جمعاء، ولكنها تختلف تبعاً لمدارسها الفكرية (بغض النظر عن مدى الموضوعية فيها) في المصداق والشاخص الذي يمثل المحور لهذه الحركة العالمية، والقطب الذي يجمع البشرية تحت قيادة لوائه.

ونستطيع القول: إن أطروحة أتباع أهل البيت عليهم السلام في تشخيص هوية ذلك المحور هي الأطروحة الوحيدة التي تنسجم مع الفطرة الإنسانية من جهة والنصوص المتواترة من جهة أخرى.

١ - راجع: سنن أبي داود: ٢ / ٣٠٩ الحديث ٤٢٨٢، سنن الترمذي: ٣ / ٣٤٣ الحديث ٢٣٣١ - ٢٣٣٢، الدر المنثور للسيوطي: ٦ / ٥٨، كنز العمال: ١٤ / ٢٦٤ الحديث ٣٨٦٦١...

٢ - انظر: مسند أحمد، ج ١: ٢٧٦، سنن أبي داود، ج ٢: ٣٠٩، سنن الترمذي، ج ٣: ٣٤٣، المستدرک للحاكم، ج ٤: ٤٤٢.

قال المفكر الإسلامي الكبير الشهيد السيد محمد باقر الصدر: (ليس المهدي تجسيدا لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري)^(١).

وجاء في حديث للسيد الخامثي قائد الجمهورية الإسلامية: (إن قضية المهدوية من القضايا الأساسية في الإسلام، ولا ينفرد بها الشيعة دون سواهم، وإنما تذهب الفرق الإسلامية بأجمعها إلى أن المهدي عليه السلام من النسل الطيب الطاهر لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه سيملا العالم قسطاً وعدلاً، وسيظهر لإقامة دين الله وبسط الحق. كما ويعتقد غير المسلمين على نحو أو آخر بمستقبل مشرق للبشرية يتحقق خلال قضية المهدوية)^(٢).

ويحسن التنبه إلى ان الديانات الأخرى لم تصرح باسم الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، بل أشارت إليه.
الديانة اليهودية والمسيحية:

جاء في كتاب المزامير: (الصدّيقون يرثون الأرض إلى الأبد، أما الأشرار فيبادون جميعاً عقب الأشرار ينقطع)^(٣).

ثم يقول: (ثبت للقضاء على كرسيه وهو يقتضي للمسكونة بالعدل ليالي الشعوب بالاستقامة)^(٤).

وفي إنجيل متى: (وإنما الذي عندكم تمسكوا به إلى أن يأتي من يغلب ويحفظ أعماله إلى النهاية، فسأعطيه سلطاناً على الأمم)^(٥).

١ - بحث حول المهدي، محمد باقر الصدر، ص ٧.

٢ - الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة، الطبعة: آذار ٢٠١٠م - ١٤٣١هـ جديدة ومنقحة.

٣ - المزمور السابع والثلاثين كتاب المزامير.

٤ - المزمور التاسع من مزامير داود.

٥ - إنجيل متى، الإصحاح الرابع والعشرين.

وفي كتاب أشعيا: (إلى ان تصير المدن خربة بلا ساكن، والبيوت بلا إنسان، وتخرّب الأرض وتقفّر ويبعد الأرض الإنسان، ويكثر الخراب في وسط الأرض، وان يبقى فيها عشر بعد، فيعود ويصير للخراب، ولكن كالبطمة والبلوطة التي - وان قطعت - فلها ساق يكون ساقه زرعاً مقدساً^(١)).

وجاء أيضاً: (يقيم إله السماء مملكة لن تنقرض ابداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفني كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد... طوبى لمن انتظر)^(٢).
وفي أعمال الرسل: (إن يسوع - هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء - سيأتي إليكم كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء)^(٣).

الديانات والمعتقدات الأخرى

يعتقد المجوس برجوع إنسان باسم بهرام الذي لا يختلف في معناه وصفاته عن المهدي^(٤).

ويعتقد الزرادشتيون أن قوى الشر ستُغلب آخر الأمر ويكون مصيرها الفناء بعد أن يمر العالم بأربعة عهود طوال، كل منها ثلاثة آلاف عام، يسيطر عليه فيها على التوالي أهورا مزدا وأهرمان. ويومئذ ينتصر الحق في كل مكان، وينعدم الشر فلا يكون له من بعد وجود، ثم ينضم الصالحون إلى أهورا مزدا في الجنة، ويسقط الخبيثون في هوة مظلمة... يُطعمون فيها أبد الدهر سماً زُعافاً^(٥).

كما يعتقد البراهمة (الهنود) بظهور (كرشنا)^(٦).

١ - كتاب أشعيا، الإصحاح السادس.

٢ - كتاب دانيال - الإصحاح الثاني.

٣ - كتاب أعمال الرسل، العهد الجديد، الإصحاح الأول.

٤ - راجع: المدرسي، محمد تقي، المهدي قدوة وأسوة، ص ٦٠، مؤسسة الوفاء.

٥ - ديورانت، ول، قصة الحضارة، مج ٢، ص ٤٣٤.

٦ - راجع: المدرسي، محمد تقي، المهدي قدوة وأسوة، ص ٦٠.

بل حتى أن الماركسية تؤمن وتصرّح بأن البشرية في سيرها هذا، سوف تمرّ بمراحل إلى أن تصل إلى مرحلة السعادة القصوى التي تسود الأرض كلها.

ويستفاد من بعض كلمات الفلاسفة الغربيين أمثال «كانت»: أن البشرية سوف تصل - وذلك مرحلة من المراحل في نهاية مطافها - إلى مجتمع بشري سعيد، لا ظلم فيه، ولا فساد، يسوده العدل^(١).

ويقول الفيلسوف الإنجليزي (برتراند راسل): (إن العالم في انتظار مصلح يوحد العالم تحت علم واحد وشعار واحد)^(٢).

ويقول العالم الشهير (آينشتاين): (إنّ اليوم الذي يسود العالم كله الصلح والصفاء، ويكون الناس مُتَحَابِّين مُتَأَخِّينَ ليس ببعيد)^(٣).

و بشرّ الفيلسوف الإنجليزي (برناردشو) بمجيء المصلح في كتابه (الإنسان والسوبرمان)، وحسب ما نقله د. محمد العقار في كتابه عن (برناردشو) في وصفه المصلح بأنه: (إنسان حي ذو بنية جسدية صحيحة وطاقة عقلية خارقة، إنسان أعلى يترقى إليه هذا الإنسان الأدنى بعد جهد طويل، وأنه يطول عمره حتى يصل على ٣٠٠ سنة، ويستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة)^(٤).

١ - كانت، نقد العقل العلمي، ص ٥.

٢ - المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه، السيد عبد الرضا الشهرستاني: ٦.

(٣) المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه: ٧.

(٤) برناردشو، عباس محمود العقاد: ١٢٤ - ١٢٥.

كيف نستطيع أن نثبت هذه العقيدة الإلهية المهمة؟

إنّ العقيدة المهدوية والإيمان بالمنقذ الوحيد للعالم من الجور والظلم من العقائد الأساسية التي قام عليه الفكر الإسلامي^(١).

قال الحافظ العسقلاني في «تهذيب التهذيب»: (وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى ﷺ في المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين ويملا الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يوم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه في طول من قصته وأمره)^(٢).

وقال الشبلنجي: (تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وتواترت الأخبار على أنه يعاون عيسى على قتل الدجال)^(٣).

وهو أمر قامت عليه الدلائل الواضحة وصرّحت به الروايات الشريفة، وباعتبار ارتباطها بالمولى (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وهو الإمام الذي في أعناقنا الولاء والعهد والبيعة له في عصرنا الحاضر، الإمام الذين نعيش بركة وجوده، مما يعطي لهذه العقيدة أهمية قصوى، ويخرجها عن البحث العقيدي المجرد، بل يجعل منها عقيدة حياتية ينبغي أن نعيشها بالشعور والإحساس المفعم، وأن نعمل بكل ما نتمكن منه لتحويلها إلى شعور حقيقي وفعلي بوجوده المقدس، وأن نهيب لهذا اليوم المبارك الذي يتمنى كل مؤمن أن تكتحل عينه بجماله الباهر، كلنا أمل أن نعيش اليوم الذي تشرق الأرض بنور ربها.

(١) يقول ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) في مقدمة الفصل الثاني والخمسين من مقدمته: (إعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى به (المهدي...)).

٢ - تهذيب التهذيب، الحافظ العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، ج ٩ ص ١٤٤، وذكره السيوطي بعينه في الحاوي للفتاوي.

٣ - نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، سيد مؤمن بن حسن الشبلنجي (بعد ١٢٩٠ هـ) ص ١٧١، طبعة الشعبية، مصر.

إنّ العمل لشرح وتوضيح وترشيد هذه العقيدة المباركة - والتي هي الهدف الذي عمل لتحقيقه الأنبياء والرسل والذي كان اليوم الموعود للسماء - هو واجبنا الفعلي والذي نتشرف ان نكون من العاملين لتحقيقه. ولا يفوتني ان أشير إلى أن هذا التكليف الإلهي يحتاج إلى اهتمام كبير في هذا الزمن الذي يحاول فيه الشرق والغرب أن يعمل ما بوسعهم لمحاربة الإسلام الأصيل والفكر الطاهر لأهل البيت عليهم السلام.

لا بد من التساؤل:

كيف تأخذ العقيدة المهدوية طريقها إلى عقول وقلوب ملايين المسلمين من الشيعة الإمامية الاثني عشرية وغيرهم في مختلف أرجاء المعمورة؟ كيف نفلح بجعلها عقيدة راسخة وقوية؟

أهمية التبليغ و الإعلام للمهدوية:

ولا يخفى على أحد الدور الذي تبوّأه الإعلام في عصرنا الحاضر والذي شكل مصدراً معرفياً مهماً، ونافذة لشرائح المجتمع لفهم الفكر والعقيدة، ويمثل موجهاً لأفراد المجتمع في مجال التربية.

وهذا يلقي الضوء على المهمة الكبرى التي يمكن أن يؤديها الإعلام والتبليغ بمعناه الأوسع الشامل للقنوات الفضائية الملتزمة في هذا المجال وأفق الانترنت الرحب بما في ذلك مواقع التواصل الاجتماعي، فضلاً عن الكتاب والمقالة والمحاضرات والمؤتمرات والفعاليات الثقافية والفنية وغير ذلك.

الخطوط العامة

هناك خطوط عامة لا بد من الحفاظ عليها لأداء الدور الرسالي المتوقع من المبلّغين والإعلاميين الرساليين:

١- اعتماد النظرية الصحيحة والابتعاد عن الخرافات وكل ما من شأنه تشويه هذه النظرية المباركة بالاعتماد على الأدلة الصحيحة، وهذا يحتاج إلى جهد علمي معمق، وبحث متواصل لإرساء أسس عقيدة صحيحة معتمدة على الأدلة الشرعية الواضحة من منابع الأصيلة للإسلام المتمثلة بالقرآن والسنة الشريفة المقدسة على ضوء منهج للبحث المهدوي، توضح أسسه ومبادئه؟ ليشكل منهجاً أساسياً للبحث الفكر المهدوي.

٢- السعي الجدي لتنقية العقيدة المهدوية من الخرافات التي لحقتها من عمل الدجالين الذين يوظفون الدين لخدمتهم، فقد مرت هذه العقيدة بمراحل حاول فيها أتباع المصالح الخاصة وضعاف النفوس الدس لتحرفها، هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك ضعاف العقول والبسطاء الذين حملوا هذه العقيدة الأثقال الخطرة التي شكلت في النهاية تراكم من الخرافات والخزعبلات وحقل من الألغام التي تهدد هذا البناء المبارك.

إن العمل في هذا المجال من أهم الواجبات التي ينبغي أن يضطلع بها العلماء وأصحاب الاختصاص وان التأخر في البدء به سيؤدي إلى نتائج وخيمة.

٣- عرض العقيدة المهدوية بشكل واضح وشفاف يمكن عموم المؤمنين من فهمها وهضمها واستيعابها، فإن الساحة العريضة من المجتمع لها الحق أن تستوعب أبعاد اليوم الموعود، وان تساهم في الإعداد لذلك اليوم المشهود.

أن توضيح العقائد للأمة والاستدلال عليها بشكل مبسط أمر بالغ الأهمية، فهو يؤدي إلى تهيئة الأرضية لاستيعابها ومن ثم الإيمان بها، وقد بدأت بعض الجهود المشكورة، ولكن الحاجة لازالت شديدة.


ومن ذلك الاهتمام بعرض هذه العقيدة المباركة بالسنة مختلفة تناسب الأطفال والأحداث والشباب.

٤- الاستفادة الجادة من العنصر الشبابي سواء في مجال البحث والدراسة أو مجال النشر والتوضيح لأن العنصر الشاب يمتلك الحيوية والعزم والإرادة والتصميم، الشباب هم قادة المستقبل، فحري بنا إعدادهم لهذه المهمة.

مجالات التبليغ والإعلام:

إن السعي لتحقيق طموحات المؤمنين في نشر عقيدة المهدي والانتظار لا يكون ذلك إلا بسبب عملية إعلامية وتبليغية كبرى منسقة ومدروسة، ولذلك مجالات واسعة يمكن أن تكون في عدة أمور هي:

١- الاهتمام بحضور الإمام المهدي في وجدان الأمة، باعتباره إمام العصر والحجة الذي يمثل استدامة إمامة آل البيت عليهم السلام التي هي الثقل الآخر الذي أوصى به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الأمة الإسلامية عند رحيله مع الثقل الأول (القران الكريم) ^١.

١- قال ابن كثير - وذلك مع تعصبه - في تفسيره: وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال في خطبته بغدير خم «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي... وإنهما لم يفترقا حتى يردا علي الخوض». تفسير ابن كثير: ١٢٢/٤. ونقل القول بصحته عن الذهبي، حيث قال: (قال شيخنا أبو عبد الله السهيمي: وهذا حديث صحيح). السيرة النبوية: ٤١٦/٤. والبداية والنهاية في ٢٢٨/٥ ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت. وشهد بصحته الشيخ ناصر الدين الألباني المعاصر، صحيح الجامع الصغير ٢: ٢١٧ ح ٢٤٥٤. وقال الهيثمي: (رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات). مجمع الزوائد: ١/ ١٧٠. وقال في موضع آخر: (ورواه أحمد وإسناده جيد). مجمع الزوائد: ٩/ ٢٥٦. وحكم بصحته ابن حجر 

٢ - نشر الأحاديث النبوية الشريفة وأحاديث أهل بيت النبوة عليهم السلام عن الإمام المهدي عليه السلام، والأحاديث التي توضح هذه العقيدة، وأنها من أصل الإيمان، وأن إنكارها إنكار للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وتكذيبه وجحد بنبوته، وأن من يموت ولا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، مع التأكيد على أن تعتمد الرواية الصحيحة - وما أكثرها - والآيات الشريفة خصوصاً الروايات المشتركة بين المذاهب الإسلامية.

٣ - الارتباط العملي بقيادة الإمام المهدي عليه السلام من خلال الرجوع للعلماء الأعلام المعروفين بالعدالة والتقوى والصلاح والأهلية، والذين كان لهم الدور البارز ولا يزال في تحمّل المسؤولية الشرعية وحفظ تعاليم الإسلام الأصيل من الانحراف والضياح^(١)، وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه...»^(٢).

فهم القيادة النائية عن الإمام المنتظر عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى والتي بدأت سنة (٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ)، و انتهت الغيبة الصغرى التي بدأت سنة (٢٦٥هـ). وكان الإمام يمارس وظيفته في عصر الغيبة الصغرى من خلال سفرائه الأربعة، وبوفاة علي بن محمد السمري السفير الرابع انتهت الغيبة الصغرى وانتهت السفارة، ورد عنه عليه السلام إلى وكيله الخاص في الغيبة

⇒

المكي في كتابه الذي ألفه ردّاً على الشيعة قائلين: (روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً، وإن كثيراً من طرقه صحيح وحسن). الصواعق المحرقة: ١٢٢.

١ - والوظائف الرئيسية للفقهاء المؤهلين: الإفتاء، وبيان الأحكام الشرعية، والقضاء، والولاية.

٢ - وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٠١، الاحتجاج للشيخ الطبرسي، ج ٢ ص ٢٦٢.

الصغرى محمد بن علي السمرى: «وسياتي على شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر»^(١).

٤ - نشر الأدعية والزيارات المرتبطة بالمولى، وهي من الأعمال الإعلامية التي ساهمت في ترسيخ النظرية المهدوية بين الشيعة، وذلك لما لهذه الأدعية والزيارات من دور حيوي مؤثر في حياة الناس، وقد دأب الشيعة بتربية من أئمتهم عليه السلام على قراءة الأدعية عقب الصلوات وفي المناسبات الدينية المختلفة، مع الحرص الشديد على استفادة ذلك من الكتب المعتمدة والروايات الصحيحة.

وقد ورد الحث على الدعاء في عصر الغيبة في الأحاديث والروايات، كالإكثار من هذا الدعاء: «اللهم، كن لوليك الحجة بن الحسن في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصرأً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً»^(٢) وغير ذلك^(٣).

فهذه الممارسات من الأدعية والأذكار والزيارات لها أهمية كبيرة، حيث تصنع في داخلنا حالة الانصهار الروحي والوجداني مع الإمام الحجة عليه السلام،

(١) الاحتجاج للشيخ الطبرسي، ج ٢ ص ٤٧٨، بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٥١ ص ٣٦١، الخرائج والجرائج لتقطب السديد الراوندي، ج ٣ ص ١١٢٨، الغيبة للشيخ الطوسي ص ٣٩٥، كمال الدين للشيخ الصدوق، ج ٢ ص ٥١٦.

(٢) الكافي لثقة الاسلام الكليني، ج ٤ ص ١٦٢، الخ ٦٦٥٦٤. وأضاف في الكافي: وعوناً بعد كلمة وعيناً. وذكره بدون هذه الكلمة في البلد الأمين للشيخ الكفعمي، ص ٢٠٣، وذكر (فلان بن فلان) وذكرنا الحجة بن الحسن، وهكذا اشتهر على ألسن المؤمنين الحجة بن الحسن بدل ذكر كلمة فلان بن فلان، وهي معناها. مصباح التهجد للشيخ الطوسي، ص ٦٣٠.

(٣) وورد الإكثار من هذا الدعاء في غيبة القائم (عج): "اللهم، عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك.. اللهم، عرفني نبيك، فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك، الله عرفني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك ظلمت عن ديني. اللهم، لا تمنني ميتة جاهلية ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني". والاهتمام ببعض الأدعية كدعاء الغريق، ودعاء العهد، ودعاء الندبة، والسلام على صاحب الأمر وزيارته في كل يوم وخاصة بعد صلاة الفجر، والإكثار من الدعاء والتضرع لله تعالى بتعجيل الفرج وظهور الإمام ورفع كربته؛ لأنه أطول الناس مهنةً وأشدهم كربةً.

وهو عنصر مهم من عناصر الانتظار، ومن الوسائل المهمة لتعميق الارتباط والالتحام الروحي والوجداني مع الإمام عليه السلام.

ثمرات الارتباط

وهذا الارتباط الروحي والنفسي مع الإمام المنتظر عليه السلام، وتهذيب الجانب السلوكي في الممارسات الاجتماعية، له ثمرات كبيرة منها:

أ - خلق الأمل في داخل نفوس المؤمنين المنتظرين، فلا يصابوا باليأس والإحباط، رغم ما يعانیه واقعهم من إرهابات ومحن وفتن وتحديات جمة.

ب - الامتلاء بالقوة والعزيمة والصمود والثبات، فرغم المواجهات القاسية، واستنفار القوى الطاغوتية ضد المؤمنين، إلا أنهم لا يصابون بالضعف، لارتباطهم القوي والفاعل بإمامهم الذي يعتقدون بوجودهم بين ظهرانيهم.

ج - خلق حالة الانضباط والاستقامة، فحينما تعيش الأمة إحساساً نفسياً عميقاً بأن الإمام المنتظر عليه السلام يعيش معها، يرقب مسيرتها، يتألم حينما يراها تمارس أي لون من ألوان الانحرافات أو المخالفات أو التجاوزات الشرعية، فشعور الأمة بأن هذه المخالفات والمفارقات تشكل إزعاجات وألماً عند إمامها وقائدها يجعلها معنية بشكل جدي بمراقبة تلك الممارسات والسلوكيات والتصرفات بالشكل الذي يمنحها رضا الإمام وارتياحه.

٥- دفع الشبهات عن العقيدة المهدوية، وتوضيحها، والإجابة عن التساؤلات بأساليب مختلفة.

فهناك الكثير من الشبهات والتساؤلات ، أكثرها قديمة، وبعضها حديث، ومنها: مسألة طول العمر، ولماذا هذه الغيبة؟ وما الفائدة من إمام غائب؟ وأين يعيش المهدي؟ ومتى يظهر؟ وما هو تكليف المؤمنين تجاهه

وتجاه الأحكام الشرعية في زمن الغيبة؟ وما هي الحوادث الكائنة عند ظهوره وبعد ظهوره؟ ومسألة الرجعة. وقد تكون هناك شبهات أخرى، وأسئلة أخرى.

٦ - أهمية الانتظار والعمل على إحياءه في الأمة من خلال الاهتمام بتعميق الجانب الروحي لدى الفرد المؤمن فيما بينه وبين ربه تعالى، وتهذيب الجانب السلوكي في ممارساته الاجتماعية، ليكون بذلك مستعداً ومنتظراً لظهوره عليه السلام، والانضمام لزمرة أنصاره وأوليائه. فالانتظار الحقيقي أمر بالغ الأهمية، فقد ورد عنهم عليهم السلام: «أفضل الأعمال انتظار الفرج»^(١)، يتطلب تحمل مسؤوليتين:

الأولى: مسؤولية مرحلة ما قبل الظهور

وتتلخص في الحرص على اعتماد الشرعية والاستقامة في العقيدة والمواقف والسلوك، ليبرهن ذلك على صدقه في انتظار الإمام المهدي عليه السلام الذي يمثل الحق والشرعية، وتوقع الفتن والامتحان.

١ - وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «المنتظر لأمرنا كالمنسحق بدمه في سبيل الله». وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم عليه السلام»، وقد ورد في آخر التوقيع الشريف عن صاحب الأمر عليه السلام على يد محمد بن عثمان: «وأكثرُوا الدعاء بتعجيل الفرج، فإن ذلك فرجكم. وعن الفيض بن مختار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم عليه السلام في فسطاطه». قال: ثم مكث عليه السلام هنيئاً ثم قال: «لا، بل كمن قارع معه بسيفه» (ثم قال): «لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». وعن الفضل بن عمر، قال: ذكرنا القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قام أي المؤمن في قبره فيقال له: يا هذا، إنه قد ظهر صاحبك، فإن نشأ أن تلحق به فالحق، وإن نشأ أن تقسم في كرامة ربك فأقم». وعن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام، قال: سألته عن شيء في الفرج، فقال: «أوليس تعلم أن انتظار الفرج؟! من الفرج إن الله يقول: ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾». وروي أيضاً عنه عليه السلام أنه قال: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج! أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وارتقبوا إني معكم رقيب﴾، وقوله عز وجل: ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾؟ فعليكم بالصبر، فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم».

قال تعالى: ﴿الم ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (سورة العنكبوت: ١-٣).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة».

ومن مراجعة الروايات الشريفة يُرى بوضوح أنها بيّنت الموقف في المستقبل، ونبهت على عدة أمور، لتجنب الأمة والمؤمنين الانحراف، وترشدها إلى الموقف الصحيح بالتأكيد على عدة نقاط:

النقطة الأولى: أن الحاسم للشبهة والقاطع للريب في صحاح أدعياء الصيحة الخاصة ونحوها هو الصيحة السماوية والنداء من السماء باسم المهدي عليه السلام، وأما قبل ذلك فهو من الأباطيل والفتن المضللة.

النقطة الثانية: أن هناك سلسلة ومجموعات سوف تنحل وتتقمص اسم المهديّة والأسماء المشاركة في حدث الظهور، وظاهر الروايات أن الانتحال تارة (يكون) بنحو الاسم العلمي، وأخرى بنحو الاسم النعتي والوضعي وله عليه السلام:

(منها): التوقيع الشريف الذي خرج على يد السفير الرابع الشيخ محمد علي السمرى: «بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك؛ فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من

شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(١).

و(منها): رواية المفضل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام: «ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة، لا يدري أي من أي» قال: فبكيت، فقال لي عليه السلام: «ما يبكيك؟ فقلت: وكيف لا أبكي وأنت تقول: ترفع اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدري أي من أي، فكيف نصنع؟ قال: فنظر عليه السلام إلى شمس داخله في الصفة، فقال عليه السلام: «ترى هذه الشمس؟ قلت: نعم، قال عليه السلام: «والله لأمرنا أبين من هذه الشمس»^(٢).

وكثير من الروايات بهذا المعنى، ولذا ترى قيام الضرورة لدى الطائفة الإمامية وتسالمهم على انقطاع النيابة الخاصة والسفارة.

النقطة الثالثة: النهي عن التوقيت، وتكذيب من يوقت، وأن وقت الظهور من الغيب المستور، ومن هذه الروايات ما ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «يا محمد، من أخبرك عنا توقيتاً فلا تهابن أن تكذبه، فإننا لا نوقت لأحد وقتاً»^(٣).

النقطة الرابعة: لزوم الثبات والاستقامة في مختلف ظروف التمحيص والامتحان في الغيبة، فعن أبي بصير، سمعت أبا جعفر محمد بن علي

١ - والظاهر أن المراد من ادعاء المشاهدة هو السفارة والنيابة (الخاصة). بقرينة السياق والصدور على يد النائب الرابع. إكمال الدين للشيخ الصدوق، ج ٢ ص ٥١٦، والغيبة للشيخ الطوسي: ٣٩٥، الاحتجاج للشيخ الطبرسي، ج ٢ ص ٤٧٨. إعلام الوري للشيخ الطبرسي ص ٤٤٥، الخرائج والجرائح للقطب الراوندي، ج ٣ ص ١٢٨ و ١٢٩.

٢ - كمال الدين وثام النعمة للشيخ الصدوق، ص ٣٤٨ ح ٣٥ ب ٣٣.

٣ - الغيبة للشيخ النعماني، ص ٢٨٩ ب ١٦ ح ٣.

الباقر عليه السلام يقول: «والله لتميُّزَن، والله لتمحُّصُن، والله لتُغربَلُن، كما يغربل الزؤان»^(١) من القمح»^(٢).

النقطة الخامسة: التحذير من أتباع والسير خلف أدعياء النيابة الخاصة والارتباط بالإمام عليه السلام، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام يقول: «إلزم الأرض ولا تحركن يدك ولا رجلك أبداً حتى ترى علامات أذكرها لك في سنة» ثم عدد الإمام عليه السلام العلامات المحتومة مع تفاصيل كل منها، وقال عليه السلام: «وإياك وشذاذ من آل محمد عليه السلام، ولا تتبع منهم رجلاً أبداً حتى ترى رجلاً من ولد الحسين معه عهد نبي الله ورايته وسلاحه»^(٣).

الثانية: مسؤولية التهيؤ لمرحلة ما بعد الظهور

باعتبار أن ظهور المهدي المنتظر عليه السلام يعني بداية مسؤولية جديدة يتحملها المؤمنون في عصره بما يتخللها من مصاعب ومواجهات وتضحيات في سبيل نشر راية الإسلام الأصيل خفاقة في أنحاء المعمورة، فلا بد للمؤمن أن يكون بمستوى هذه المرحلة الحساسة، كي لا تفوته الفرصة التي انتظرتها الأجيال طويلاً، وقد اشرنا سابقاً

إلى هذه المسؤولية وما يتوجب على المؤمنين من المسؤوليات والواجبات. وهكذا يلعب الإعلام المهدوي بكل فقراته وفروعه دوراً كبيراً في تعزيز النظرية المهدوية، وترسيخها بين أوساط الشيعة، وتحويلها من عقيدة نظرية

١ - الزؤان هو: الحب الذي يشبه الخنطة ويصغر عنه حجماً، يثبت بين الخنطة.

٢ - الغيبة للشيخ النعماني، ص ٢٠٥، ح ٨.

٣ - الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٣٥٩، غيبة الشيخ الطوسي، ص ٢٦٩، إعلام النوري للشيخ الطبرسي، ص ٤٢٧ ب

إلى واقع يعيشه المؤمنون حقيقة، والتركيز على إمام العصر الحجة بن الحسن عليه السلام، وشرح فلسفة الانتظار، وتفعيل ثقافتها بين أبناء المجتمع. تنبيه لأخطار فعلية:

يشهد عراق العتبات المقدسة ومحبو أهل البيت عليهم السلام - والأسف الشديد يعتصر قلوبنا - ظهور دعاوى واتجاهات منحرفة غريبة عن ثقافة المجتمع العراقي المتدين المعروف بولائه للأئمة الأطهار عليهم السلام والعلماء الصالحين والمراجع الكرام هذه الاتجاهات المنحرفة لها ارتباط بموضوع الإمام المهدي عليه السلام ودعوى النيابة أو المهدوية مستغلين عواطف المؤمنين الجياشة والقوية، خاصة شريحة الشباب تجاه الإمام عليه السلام وانطلاقهم للتعبير عن ولائهم لآل البيت عليهم السلام، خاصة الإمام المنتظر عليه السلام، خصوصاً بعد سنوات القهر والقمع والاستبداد والحصار إبان حكم الطاغية المتجبر والمتسلط على الأمة.

ونرى تركيز هؤلاء المنحرفين على طبقة الشباب واليافعين التي تتميز بالحيوية والحماس والعاطفة الجياشة معتمدين خطاب يرتكز على الإثارات الحماسية وعمومات يطبقونها بتوهم على مصاديق غير صحيحة بعيدة عن الدليل والبرهان وروايات أهل البيت عليهم السلام. ولذلك نجد أن العلماء الأعلام السابقين والمعاصرين داخل العراق وخارجه يرفضون جميعاً هذه الأباطيل، كما أن الشيعة في أنحاء العالم يزدرون بعض الادعاءات وأصحابها، ولكن مثل هذه الظواهر خطيرة جداً ويجب الاهتمام بمعرفة أسبابها ومحاولة معالجتها بسرعة وبجدية، ولا يصح الاعتماد على أن هذه ظواهر زائلة، فليس من الصحيح السماح لتلك الانحرافات أن تظهر في مجتمعاتنا الإيمانية ومعالجتها والوقوف بوجهها مسؤولية الجميع وخصوصاً الحوزة العلمية

المباركة، وعلى رأسهم المراجع الكرام، فهم نواب الإمام عليه السلام، وهم المدافعون عن حريم الدين والإسلام والمذهب بحق.

وسنشير بشكل موجز وعابر إلى بعض أسباب تلك الظواهر:

١- ابتعاد المجتمع بسبب الظروف القاهرة التي مر بها تحت سلطة الجور عن الارتباط الكافي بالعلماء وقلة المبلغين والكتب الإسلامية ومحاربة الدين بشكل شرس، أدى بالنهاية إلى قلة الوعي الإسلامي الصحيح والواعي.

٢- هناك شواهد على ارتباط هؤلاء الأعداء بجهات مشبوهة من بقايا أزام النظام السابق وغيرهم من أعداء المؤمنين بهدف تمزيق وحدة الصف للمجتمع الشيعي الناهض توأ وإبعاد الشباب عن رموزهم ومرجعياتهم الدينية الأصلية، ولذلك نرى الإمكانيات المادية الهائلة التي يتمتع بها هؤلاء الأعداء، واستخدام بعضهم أساليب القتل والقمع لمخالفهم، وهو أسلوب مدرسة الطاغية التي حكم به العراق طيلة عدة عقود وما زال أتباعه يمارسونه يومياً.

٣- إن هذه الادعاءات والترويج لها كما تكون بسبب دوافع مشبوهة أو مصلحة غير نزيهة، قد تنشأ - لدى البعض - عن حسن نية وغفلة عن الحقيقة بسبب التباس بعض الإيحاءات والانبهار بآثارها.

٤- إن كثيراً من هذه الادعاءات سببها فراغ أو ضعف الجانب الروحي والارتباط العاطفي بالرسول وآل بيته (صلوات الله عليهم) أو عدم القدرة على حفظ التوازن الفكري والسلوكي بين العاطفة الدينية الجياشة، والضوابط الشرعية المعتبرة.

المعالجة:

١ - دعوة المؤمنين إلى التروي في الحكم عليهم ، وحفظ الضوابط الشرعية في التعامل معهم، وتجنب أسلوب التشهير والتسقيط، وانتهاج

الحوار الهادئ، والرجوع لأعلام الأمة العلماء الذين أمضوا سنوات طوالاً في انتحال العلوم الإسلامية والتخصص فيها؛ ليوضحوا الحقائق الدينية، ويرسموا الخط المستقيم لهم.

٢ - أهمية تعميق الجانب الروحي والارتباط العاطفي للأمة بهم عليه السلام ومواجهة التيارات التي تفرغ الإيمان من هذين البعدين، كما تؤكد على ضرورة ارتباط الأمة بالحوزة العلمية وأعلامها الأتقياء الذين استطاعوا المحافظة على استقامة الأمة ونقاء عقيدتها خلال أكثر من ألف عام رغم الفتن والظروف العصيبة التي تناوبت عليها في فترات مختلفة.

٣ - الاهتمام بالاطلاع الكافي والصحيح على العقيدة المهدوية من مصادرها الصحيحة، وقد تقدم ذكره.

والمأمول بالمؤمنين عامة وشبابنا المؤمن عدم الوقوع فريسة لمصالح هؤلاء الأذعياء ومن يقف وراءهم من الأشرار، فيخسروا دنياهم وآخرتهم، وقد ورد من وصايا النبي صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، شرّ الناس من باع آخرته بدنياه، وشرّ من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره»^(١). وأخيراً نختم بدعائه عليه السلام: «اللهم، ارزقنا توفيق الطاعة وبُعد المعصية وصدق النية وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهدى والاستقامة»^(٢).

١ - من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٣٣.

٢ - جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية المشتهر بالمصباح، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الحسن بن محمد بن صالح العاملي الكفعمي، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت. ونشير إلى أنّ الكثير من الآراء المطروحة في هذه المقالة منتشرة في كثير من المقالات والبحوث والدراسات ومنها ما هو منشور على الانترنت، ولم نأت بشيء ندعيه لأنفسنا إلا الجمع والترتيب وشيء من التعليق.

وحدة الشيعة والسنة

حول نسب المهدي وولادته عليه السلام

محمد أمير الناصري

الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام من ضروريات الدين الإسلامي لدى الشيعة والسنة ، ومن هذ المنطلق يلزم أن نخطو على نمط وحدوي وتقريبي من الروايات والأخبار والكتب المختلفة لدى الفريقين. ونعرضها علي قسمين: أ- عن طريق الإمامية، ب- عن طريق أهل السنة.

قد أجمعت فرق المسلمين من الشيعة والسنة على القول والإيمان بخروج المهدي عليه السلام في آخر الزمان ، حيث الظلم والاضطهاد ، من قتل وسجنٍ و سلبٍ وغيره مما يملأ المعمورة، ليغير ذلك كله الى العدل والأمان و القسط. وفي هذالسطور نرى وحدة المسلمين حول نسب الإمام المهدي عليه السلام وولادته عليه السلام ، و نبدأ بأخبار متظافرة بأسانيد وطرق معتبرة وآثار كثيرة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين وكل السلف الصالح في تراثنا الديني الحديثي، حول الإمام المهدي عليه السلام، فنراها قد بلغت حد التواتر المعنوي أو اللفظي، ولذلك ما لم يبق أي شك في أصالة المهديوية في الاسلام، والطرق والأسانيد والمدلولات جداً كثيرة من كل الطوائف الفقهية والكلامية و... من المسلمين، مما يدعم حججة هذا التواتر، حتى أننا نقرأ في مصادر وطرق حديث من أهل السنة (قال النبي صلى الله عليه وآله: من أنكر المهدي قد كفر) حيث أخرجه الإمام أبوبكر الإسكافي في فرائد الأخبار.

الباب الأوّل: وحدة شيعة والسنة في نسب المهدي عليه السلام:

١- الإمام المهدي عليه السلام من عترة النبي محمد صلى الله عليه وآله:

اتفق المسلمون على عقيدة المهدي، وبأنه من نسل النبي محمد صلى الله عليه وآله حيث نصّت على ذلك الأحاديث المسلمة من طريق أهل السنة:

الحديث الأوّل:

أخرج ابن حماد في كتابه الموسوم بالفتن: «حدثنا الوليد بن مسلم، عن إسماعيل بن رافع، عمن حدثه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستكون بعدي فتن: منها فتنة الأحلاس، يكون فيها حرب وهرب، ثم بعدها فتن أشد منها، ثم تكون فتنة كلما قيل انقطعت تمادت، حتى لا يبقى بيت إلا دخلته ولا مسلم إلا صكته، حتى يخرج رجل من عترتي».

دراسة مختصرة حول الحديث:

المفردات: الأحلاس: جمع حلس، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، شبهت به للزومها ودوامها. صكته: ضربته مباشرة بشدة.
المنابع:

أخرج الحديث آنف الذكر جملة من أئمة الحديث، منهم:

١- فتن ابن حماد^(١): هو نعيم بن حماد المروزي المتوفى سنة ٢٢٨هـ من كبار وأجلاء مشايخ الحديث، وكان استاذاً للبخاري.

وأيضاً ذكر مرة ثانية في طريقه شخص آخر ابن حماد: في: ص ٩ من كتابه، حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عمير

١ - فتن ابن حماد، أبي عبدالله نعيم بن حماد المروزي متوفى ٢٢٨هـ، نسخة مصورة من مخطوطات مكتبته المتحف البريطاني في ٢٠١ ص: ١٠.

بن هاني، قال : قال رسول الله ﷺ : بتفاوت، فيه «ثم تكون فتنة الدهيم ، كلما قيل انقطعت تمادت، حتى لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، يقاتل فيها الرجل، لا يدري على حق يقاتل أم على باطل، فلا يزالون كذلك حتى يصيروا إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا هما اجتمعا فأبصر الدجال اليوم أو غد».

٢ - مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل من أئمة الحديث ومؤسس المذهب المعروف باسمه وهو أول من قال بالتربيع. أي أن الخلفاء الراشد هم أربعة، رابعهم علي عليه السلام.
درجة أحاديث المسند:

كان الإمام أحمد يحفظ ألف ألف حديث عن ظهر قلب، وقد انتقى المسند من هذا العدد الهائل من محفوظة، ولم يدخل فيه إلا ما يحتج به، وبالغ بعضهم، فأطلق أن جميع ما فيه صحيح، وقد زعم بعض العلماء أن بعض الأحاديث فيه موضوعة، قال بعضهم: هي تسعة أحاديث، وقال آخرون: هي خمسة عشر. وقد وصف الإمام علي عليه السلام بأوصاف حقيقية، فانتقده ابن تيمية. قال ابن تيمية في «كتاب منهاج السنة»: «شرط أحمد في المسند أنه لا يروي عن المعروفين بالكذب عندهم، وإن كان في ذلك ما هو ضعيف... زاد ابن الإمام زيادات على المسند ضمت إليه، وكذلك زاد القطيعي، وفي تلك الزيادات كثير من الأحاديث الموضوعات، فظن من لا علم عنده أن ذلك من رواية الإمام أحمد في مسنده».

وقد ألف الحافظ ابن حجر كتاباً سماه «القول المسدد في الذب عن المسند»، حقق فيه نفي الوضع عن أحاديث المسند، وظهر من بحثه أن غالبها جيد وأنه لا يتأتى القطع بالوضع في شيء منها، بل ولا الحكم بكون

واحد منها موضوعاً إلا الفرد النادر، مع الاحتمال القوي في دفع ذلك. وقيل عنه: وأيضاً أخرج في ما نحن فيه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده^(١).

٣- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي، وسيستان وبلوتشستان (محافظة)، المشهور بأبي داود (٢٠٢-٢٧٥ هـ) إمام أهل الحديث في زمانه، وهو صاحب كتابه المشهور بسنن أبي داود. وهو من أهم منابع الحديث واحد الصحاح الستة.

وأيضاً نرى هذ الحديث في «سنن أبي داود» هكذا: حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، ثنا أبو المغيرة ، ثنا عبد الله بن سالم ، حدثني العلاء بن عتبة الحمصي أو اليحصبي ، عن عمير بن هاني العنسي ، سمعت عبد الله بن عمر يقول : كنا عند رسول الله ﷺ قعوداً ، فذكر الفتن . فأكثر ذكرها ، حتى ذكر فتنة الأحلاس ، فقال قائل : يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال كما في رواية ابن حماد الثانية بتفاوت، حيث أخرجها الإمام أبو داود في سننه^(٢)، كما في «مسند أحمد، بتفاوت يسير، بسند آخر. وفي توضيح هذه الإضافة الأخيرة قال صاحب «معالم السنن» في كتابه^(٣): عن أبي داود، وقال: «إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه هو جلس بيته، لأن المجلس يفترش فيبقى على المكان ما دام لا يرفع، وقد يحتمل أن تكون هذه الفتنة إنما شُبِّهت بالأحلاس

١- (الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد، دار الفكر، بيروت، ج ٦، ص ٢ ص ١٣٣.

٢- سنن أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، دار أحياء السنة النبوية ج ٤، في ١٣٨١ ص : ج ٤ ص ٩٤ ح ٤٢٤٢.

٣- أبو سليمان حمد محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ، المكتبة العلمية، بيروت، ف ٤، ص ١٥٢٠ في معالم السنن : ج ٤ ص ٣٣٧ - ٣٣٦.

لسواد لونها وظلمتها، والحرب ذهاب المال والأهل، يقال: حرب الرجل فهو حريب، إذا سلب أهله وماله، والدخن: الدخان.

٤- المستدرك على الصحيحين للنیشابوري:

وذلك ذكره الحاكم في كتابه المشهور في علم الحديث^(١): بسند آخر، كما في «مسند أحمد» بتفاوت، ونقص، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

كذلك ذكره في حلية الأولياء: ج ٥ ص ١٥٨^(٢) كما في مسند الإمام أحمد بتفاوت يسير، وبسند آخر، عن عمير بن هاني العنسي، قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول، إلى آخر الحديث.

٥- مصابيح السنة:

وورد أيضاً في «مصابيح السنة»، حسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ، ج ٣ ص ٤٧٤ ح ٤١٦٤^(٣)، كما في «سنن أبي داود» بتفاوت يسير، من حسانه، عن عبد الله بن عمر.

٦- عقد الدرر لأخبار المنتظر:

وأيضاً نرى هذا الحديث في: عقد الدرر لأخبار المنتظر، ليوسف ابن يحيى على المقدسي السلمى الشافعي من علماء القرن السابع، ٤٦٨ ص: ص

١- المستدرك على الصحيحين في الحديث، للحاكم النيسابوري، أبي عبدالله محمد بن عبدالله المتوفى سنة ٤٠٥هـ، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ص ٢٤٦١، ج ٤ ص ٤٦٦.

٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، أحمد بن عبدالله المتوفى سنة ٤٣٠هـ، نشر: مركز اطلاعات ومدارك اسلامي.

٣- مصابيح السنة، حسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ، دارالمعرفة، بيروت ١١ ج: ج ٣ ص ٤٧٤ ح ٤١٦٤.

٤٩٥٠ ب ٤ ف ١^(١) كما جاء في فتن ابن حماد، وقال أيضاً: «أخرجه الحافظ أبو محمد الحسين في كتاب المصابيح هكذا، وأخرجه الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن بمعناه» ولكن العكس هو الصحيح. النتيجة: تلقى جلّ أئمة الحديث هذا الخبر «المهدي من عترتي» عن الرسول ﷺ بالقبول وأيدوا ذلك في كتبهم الحديثية في علم الحديث، و ينتج من آرائهم صحة الحديث الذي مرّ عليكم.

الحديث الثاني:

أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي هارون، عن معاوية بن قرة، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة «حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي فيملأ به الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلى صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلا أخرجته، حتى تتمنى الأحياء الأموات. يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان أو تسع سنين».

المنابع:

المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ: ج ١١ ص ٣٧١ ح ٢٠٧٧٠ أ^(٢).

مصنّف عبد الرزاق: هو أحد كتب الحديث عند أهل السنة والجماعة. وهو من أوائل كتب رواية الحديث في تاريخ الإسلام. جمع أحاديثه ورواها

١- عقد الدرر لأخبار المنتظر، ليوسف بن يحيى على المقدسي السلمى الشافعي من علماء القرن السابع، مكتبة علم الفكر، القاهرة، ف، ج ١، ٤٦٨، ص: ص ٤٩٥٠ ب ٤ ف ١.

٢- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ، المكتب الإسلامي - بيروت ف ١١ ج ١١ ص ٢٢٥٨٢: ج ١١ ص ٣٧١ ح ٢٠٧٧٠ أ.

الإمام عبد الرزاق الصنعاني (المتوفى سنة ٢١١ هـ). ورتب أحاديثه على ترتيب أبواب الفقه، فقسم الكتاب على ٣١ كتاباً فقهياً متفرعة إلى أبواب، اشتملت على ١٩٢٠٢ من النصوص المسندة. ولقد بدأها المصنف بكتاب الطهارة، واختتمها بكتاب أهل الكتابين. ونظراً لأهميته الشديدة، فقد وصف الحافظ الذهبي هذا الكتاب بأنه "خزانة علم".

دراة حول هذا الحديث ومنابعه:

١- فتن ابن حماد:

ذكره أبو عبدالله نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٢٨ هـ)، نسخة مصورة من مخطوطات مكتبة المتحف البريطاني في ٢٠١ ص: ص ٩٩ بسند عبد الرزاق من قوله: «يرضى عنه»، إلى قوله: «الأموات»، وفيه: «ولا الأرض من نباتها».

٢- مستدرك الحاكم:

أخرجه في المستدرك على الصحيحين في الحديث، الحاكم النيسابوري، وهو عبدالله محمد بن عبدالله المتوفى سنة ٤٠٥ هـ، ج ٤ ص ٤٦٥^(١) بسند آخر، عن أبي سعيد الخدري: وفيه: «ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة، وحتى تملأ الأرض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأً يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله عزوجل رجلاً من عترتي، لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، إلا صبه الله عليهم مدراراً. يعيش فيهم سبع سنين أو ثمان أو تسع، تتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله عزوجل بأهل الأرض من خيره». وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم

١- المستدرك على الصحيحين، في الحديث، للحاكم النيسابوري، أبي عبدالله محمد بن عبدالله المتوفى سنة ٤٠٥ هـ، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ص ٢٤٦١ ص ٤ ص ٤٦٥.

يخرجاه»، وقد رواه ابن حجر في صواعقه عن الحاكم في صحيحه ، بهذا اللفظ: «يحلُّ بأمّتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلاطينهم ، لم يسمع بلاء أشد منه ، حتّى لا يجد الرجل ملجأ ، فيبعث الله رجلاً من عترتي أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، يحبه ساكن الأرض وساكن السماء، وترسل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها، لا تمسك فيها شيئاً سبع سنين أو ثمانياً أو تسعاً، يتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله بأهل الأرض من خيره»، وروى الطبراني والبخاري نحوه، وفيه: «يمكث فيكم سبعاً أو ثمانياً فإن أكثر فتسعاً».

٣- تذكرة القرطبي^(١): ج ٢ ص ٧٠٠ عن عبد الرزاق ، وفيه: بلايا تصيب، من عترتي أهل بيتي، قسطاً وعدلاً، من نباتها، أن الأموات، أو ثمانى. وقال: «ويروي هذا من غير وجه عن أبي سعيد الخدري أبو داود».

٤- عقد الدرر:

ذكره في «عقد الدرر لأخبار المنتظر»، ليوسف بن يحيى علي المقدسي السلمي الشافعي من علماء القرن السابع، ج ١، ٤٦٨ ب ١. وأيضاً ذكره في «تذكرة الحفاظ»^(٢): ج ٣ ص ٨٣٨ كما في عبد الرزاق بتفاوت يسير، بسنده إليه ، وفيه: «فيبعث الله من عترتي رجلاً».

الحديث الثالث:

حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا عوف ، عن أبي الصديق الناجي ، عن أبي سعيد الخدري، قال : قال رسول

١- مختصر تذكرة القرطبي شعرائي ، عبد الوهاب بن أحمد (٨٩٨-٩٧٣ق) ١٩٣٦٩- نشر دمشق : دار اسامة.

٢- تذكرة الحفاظ: صحح عن النسخة القديمة المحفوظ في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية، الذهبي ، محمد بن أحمد، ٦٧٣ - ٧٤٨ق، الناشر: مركز اطلاعات ومدارك إسلامي.

الله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً » ، قال: « ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً » .

مسند أحمد: ج ٣ ص ٣٦.

دراسة حول الحديث:

١ - مسند أبي يعلى:

مسند أبي يعلى الموصلي: هو أحد كتب الحديث عند أهل السنة والجماعة، صنفه الإمام أبو يعلى الموصلي. تناول الكتاب مرويات الإمام أبي يعلى مرتبة على مسانيد الصحابة.

عدد الصحابة الذين أخرج لهم ٢١٠ صحابي، وعدد أحاديثه ٧٥٥٥ حديثاً، أغلبها من المرفوع.

طريقة ترتيبه:

أقدم الإمام أبو يعلى المرويات على مسانيد الصحابة، ورتب مرويات المكثرين منهم على حسب الرواة عنهم في الغالب، حيث:

سيرة أبي يعلى في ترتيبه للأحاديث:

بدأ الرجال بمرويات العشرة المبشرة - إلا عثمان - ثم بمرويات مجموعة من الصحابة المقلين، ثم المكثرين من الصحابة، وهم: جابر بن عبد الله، ثم عبد الله بن عباس، ثم أنس بن مالك، ثم عائشة، ثم عبد الله ابن مسعود، ثم ابن عمر، ثم أبو هريرة، ثم بمجموعة من قرابة النبي ﷺ وآل بيته، وهم: الفضل بن العباس، وفاطمة، والحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، ثم بمجموعة من الصحابة المقلين أيضاً. والذي يظهر أنه اعتبر أهل القبائل منهم، وذكر معهم بعض المبهمين، ثم عاد إلى النساء وبدأهن بأمهات المؤمنين - في الغالب - إلا عائشة - حيث تقدمت مع المكثرين، ثم ببقية النساء، والمبهات، ثم عاد إلى الرجال.

رتب مرويات المكثرين بحسب الرواة عنهم، وهذا يظهر في مسند جابر بن عبد الله وأنس بن مالك مثلاً ، وقد ترجم بالرواة عن أنس في مسنده بعنوان ظاهر.

بدأ مسانيد العشرة المبشرين بالجنة، بتقديم الخلفاء الأربعة - إلا أنه لم تذكر مرويات عثمان - ثم أورد مرويات بقية الرجال من الصحابة، والذي يظهر أنه اعتبر فيهم بعض الأوصاف في الغالب، مثل: كثرة المرويات، والقبائل، وأهل القرابة، وآل البيت.

وضع مسند عائشة في مسانيد المكثرين، وأما بقية النساء فذكرهن مجتمعات في أواخر الكتاب تقريباً، وبدأهن بأمهات المؤمنات في الغالب. ترجم لمسانيد المبهمين والمبهات، ومن ذلك قوله: (رجل غير مسمى عن النبي ﷺ ١٢ / ٢١٦)، وختم الكتاب بمرويات مجموعة من رجال الصحابة، بعد نهاية مرويات النساء.

أهم مميزاته:

١- يعتبر من المصادر الحديثية الأصيلة المسندة التي لها أثر في علوم الحديث إسناداً و متنأً.

٢- إثبات صحبة عدد من الصحابة، إذا ثبت الإسناد إليه.

٣- احتواؤه على مجموعة من الأحاديث الصحيحة والزائدة على مرويات الكتب الستة.

أخرج أبو يعلى الموصلي حول مبحثنا في عترة الرسول وأن المهدي ﷺ من العترة، الحديث الثالث في مسنده: ج ٢ ص ٢٧٤ ح ٩٨٧:

حدثنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثني الموصلي ، حدثنا زهير حدثنا يحيى بن سعيد، عن عوف ، حدثنا أبو الصديق ، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال، كما في أحمد بتفاوت يسير وتقديم وتأخير.

٣- صحيح ابن حبان :

صحيح ابن حبان: هو أحد كتب الحديث المشهورة ، وقد احتوى على أحاديث شريفة عن رسول الله محمد ﷺ ، يرى صحتها ابن حبان ، وهو مطبوع في (١٢) مجلداً.

شروطه في راوي الحديث:

اشترط ابن حبان في صحيحة توفر خمسة أشياء في كل راوي من رواته لكي يحكم بصحة الحديث أو ضعفه، وهي:

- ١- العدالة في الدين بالستر الجميل.
- ٢- الصدق في الحديث بالشهرة فيه.
- ٣- العقل بما يحدث من الحديث.
- ٤- العلم بما يحيل من معاني ما يروي.
- ٥- المتعري خبره عن التدليس.

وقد شرح في مقدمة صحيحة الطريقة التي اتبعتها لمعرفة الخصال الخمسة في الراوي بالتفصيل.

وأخرج ابن حبان الحديث المرقم فوقاً، في صحيحه ج ٨ ص ٢٩١ ٢٩٠ ح ٦٧٨٤ كما في أحمد بتفاوت يسير ، بسند آخر ، وفيه: « ثم يخرج رجل من أهل بيتي أو عترتي». وفي : ص ٢٩١ ح ٦٧٨٦ كما في أحمد بتفاوت ، بسند آخر ، عن عبد الله، قال : قال النبي ﷺ: « يخرج رجل من أمتي يواطئ اسمه إسمي وخلقه خلقي ، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

٤- المستدرک علی الصحیحین:

أخرج الحديث الثالث الحاكم في مستدرکه في : ج ٤ ص ٥٥٧ بسندين آخرين عن أبي سعيد الخدري ، يلتقيان مع سند أحمد من عوف، وقال:

«هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ، والحديث المفسر بذلك الطريق ، وطرق حديث عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما أصلته في هذا الكتاب ، بالاحتجاج بأخبار عاصم بن أبي النجود إذ هو إمام من أئمة المسلمين».

حول أهمية المستدرک على الصحيحين يلزم أن نُعلن أنه أحد الكتب المهمة في الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة. جمعها الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. وجمع فيه الأحاديث التي اعتقد أنها صحيحة وعلى شرط الشيخين (البخاري ومسلم) أو على شرط أحدهما، ولم يروها الشيخان (البخاري ومسلم) في صحيحيهما، ولكن قاما بالتخريج لرواياتها في كتابيهما، ثم أضاف بعض الأحاديث التي أداه اجتهاده إلى تصحيحها. وقام الحافظ الذهبي باختصار الكتاب، وأضاف بعض التعليقات عليه. الكتاب مطبوع ومتداول، ومن أشهر طبعاته طبعة (دار الكتب العلمية) بيروت بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ووقعت في أربعة أجزاء^(١).

الحديث الرابع:

حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، ثنا عبد الصمد ، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا مطرف المعلى ، عن أبي الصديق ، عن أبي سعيد ، أن رسول الله ﷺ قال: «تملأ الأرض ظلماً وجوراً ، ثم يخرج رجل من عترتي ، يملك سبعاً أو تسعاً، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً».

عقد الدرر :

١ - (الباحث الخليل بشرح اختصار علوم الحديث) لابن كثير.

ص ١٦ ب ١ وقال: «أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده» وفيه:
«حتى تملأ، من يملؤها».

دراسة حول الحديث:

مسند أحمد: كتاب مسند في الحديث النبوي، من أشهر كتب الحديث وأوسعها، يحتوي على ما يزيد على ٢٦ ألف حديث نبوي، وفيه الكثير من الأحاديث الصحيحة التي لا توجد في الصحيحين، ومؤلفه هو الإمام أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي.

وضع الإمام أحمد هذا الكتاب ليكون مرجعاً للمسلمين وإماماً وجعله مرتباً على أسماء الصحابة الذين يروون الأحاديث كما هي طريقة المسانيد، فجاء كتاباً حافلاً كبير الحجم، تبلغ عدد أحاديثه أربعين ألفاً تقريباً، تكرر منها عشرة آلاف حديث، ومن أحاديثه ثلاثمائة حديث ثلاثية الإسناد (أي بين راويها وبين النبي ثلاثة رواة). وقد رتب كتابه على المسانيد، فجعل مرويات كل صحابي في موضع واحد، وعدد الصحابة الذين لهم مسانيد في مسند الإمام أحمد (٩٠٤) صحابي.

ولكن (ابن تيمية) أورد على الإمام أحمد بأن فيه ضعافاً.

وفي جواب من ادعى الضعف على الإمام أحمد بن حنبل ألف الحافظ ابن حجر العسقلاني كتاباً سماه «القول المسدد في الذب عن المسند»، حقق فيه نفي الوضع عن أحاديث المسند وظهر من بحثه أن غالبها جيد، وأنه لا يتأتى القطع بالوضع في شيء منها، بل ولا الحكم بكون واحد منها موضوعاً إلا الفرد النادر مع الاحتمال القوي في دفع ذلك. وقيل عنه:

«وكل ما كان في مسند أحمد فهو مقبول، فإن الضعيف فيه يقرب من الحسن^(١)»، راجع في هذا، الإمام السيوطي، «الجامع الكبير». وفي مبحثنا هنا اخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده هذا الحديث: مسند أحمد، ج ٣ ص ٢٨ وفي : ص ٧٠ حدثنا عبد الله ، حدثني أبي قال: الحسن بن موسى قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن أبي هارون العبدى ومطر الوراق ، عن أبي الصديق الناجي ، عن أبي سعيد الخدرى، قال قال رسول الله ﷺ، كما في روايته الأولى بتفاوت يسير وتقديم وتأخير. والحاكم : ج ٤ ص ٥٥٨ كما في أحمد ، بتفاوت يسير وتقديم وتأخير، إلى قوله «من عترتي»، بسنده : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا حجاج بن الربيع بن سليمان، ثنا أسد بن موسى، ثنا حماد بن سلمة، عن مطر وأبي هارون، عن أبي الصديق الناجي ، عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :... وقال: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». (أربعون أبي نعيم : على ما في عرف السيوطي ، وكشف الغمة). حدثنا أبو بكر بن خلاد، قال : ثنا الحارث بن أبي أسامة، قال : ثنا هوذة، قال : ثنا عوف الاعرابي، عن أبي الصديق ، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : « لتملأن الأرض ظلماً وعدواناً ، ثم ليخرجن من أهل بيتي (أو قال) من عترتي من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً».

مسند الحارث بن أبي أسامة : على ما في سند حلية الأولياء ، وعرف السيوطي ، والجامع الصغير ، وكنز العمال. وقال هذا: «مشهور من حديث

أبي الصديق ، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه ، ورواه من التابعين عن أبي الصديق مطر الوراق ، وعنه حماد بن زيد .

حلية الأولياء : ج ٣ ص ١٠١ .

صفة المهدي ، أبو نعيم : على ما في عقد الدرر ، وفرائد فوائد الفكر (أربعون أبي نعيم : على ما في كشف الغمة ، وحلية الأبرار).

عقد الدرر : ص ١٩ ب ١ كما في حلية الأولياء بتفاوت يسير، عن صفة المهدي وليس فيه «ظلماً»، وفيه: «رجل من أهل بيتي»، وقال: أخرجه الحافظ أبو نعيم في صفة المهدي.

عرف السيوطي ، الحاوي : ج ٢ ص ٦٣ كما في عقد الدرر بتفاوت يسير، وقال: «وأخرج الحارث بن أبي أسامة ، وأبو نعيم» وفيه «ظلماً».

الجامع الصغير : ج ٢ ص ٤٠٢ ح ٧٢٢٩ كما في عرف السيوطي، الحاوي، عن الحارث.

الرواية الخامسة:

حدثنا حمزة بن علي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا علي بن الحسين الجهني بدمشق ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا عطا بن عجلان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «يقوم في آخر الزمان رجل من عترتي شاب حسن الوجه أجلى الجبين أقنا الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك كذا سبع سنين» .

دراسة حول الحديث :

المفردات: كذا : يعني وجود كلمة أو فقرة في الحديث وقد تقدم ويأتي أنه ﷺ عقد بيديه للدلالة على مدة بقاء المهدي عليه السلام .

الداني : ص ٩٤ .

عقد الدرر : ص ٣٩ ب ٣ عن الداني ، وليس فيه « أجلى الجبين » ، وفيه « كذا وكذا سبع سنين » .

عن طريق الإمامية

٦- (محمد بن إسحاق) المقرئ ، عن علي بن العباس المقانعي ، عن علي بن بكار بن أحمد ، عن الحسن بن الحسين ، عن سفيان الجريري ، عن عبد المؤمن ، عن الحارث بن حصيرة ، عن عمارة بن جوين العبدي ، عن أبي سعيد الخدري (قال) ، سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : « إن المهدي من عترتي ، من أهل بيتي يخرج في آخر الزمان ، ينزل الله له من السماء قطرها ، ويخرج له (من) الأرض بذرهما ، فيملا الأرض عدلاً وقسطاً ، كما ملأها القوم ظلماً وجوراً » .

دراسة حول الحديث :

غيبة الطوسي : ص ١١١

إثبات الهداة : ج ٣ ص ٥٠٢ ب ٣٢ ف ١٢ ح ٢٩٤ عن غيبة الطوسي بتفاوت يسير ، وفي سنده «عمار بن جرير» ، بدل «عمارة بن جوين» .

عن طريق الإمامية:

١- حدثنا الوليد ، وقال أبو رافع ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ ، قال : «هو من عترتي» .

دراسة حول منابع الحديث لدى الشيعة :

غيبة الطوسي : ص ١١٢ عنه (محمد بن إسحاق المقرئ) ، عن علي ، عن بكار ، عن علي بن قادم ، عن فطر ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود (قال) : قال رسول الله ﷺ ، كما في (أبي داود) بتفاوت يسير .

ملاحم ابن طاووس : ص ١٣٢ ب ٥٢ عن فتن السليلي : بسنده عن حذيفة بن اليمان فذكر الملاحم وقال في آخرها : « ويباع الأحرار للجهد الذي يجل بهم ، يقرون بالعبودية ، الرجال والنساء ، ويستخدم المشركون المسلمين ، ويبعونهم في الأمصار ، لا يتحاشى لذلك بر ولا فاجر . يا حذيفة ، لا يزال ذلك البلاء على أهل ذلك الزمان حتى إذا آيسوا أو قنطوا وساءوا الظن ، ألا يفرج عنهم ، إذ بعث الله رجلاً من أطائب عترتي وأبرار ذريتي ، عدلاً مباركاً زكياً ، لا يغادر مثقال ذرة ، يعز الله به الدين والقرآن والإسلام وأهله ويذل به الشرك وأهله ، يكون من الله على حذر ، لا يغتر بقربته ، لا يضع حجراً على حجر ، ولا يقرع أحداً في ولايته بسوط إلا في حد ؛ ليمحوا الله به البدع كلها ويميت به الفتن كلها . يفتح الله به باب (كل) حق ، يغلق به كل باب باطل ، يرد الله به سبي المسلمين حيث كانوا . قلت : فسم لنا هذا العبد الذي اختاره الله لأمتك وذريتك ؟ فقال : « إسمه كاسمي ، وإسم أبيه كاسم أبي ، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لجعل الله مقدار ما يكون فيه ما ذكرت . »

وفي : ص ١٣٩ ب ٦٥ عن فتن السليلي ، بسنده عن عثمان بن عبد الله : وفيه « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ، حتى يملك رجل يواطئ اسمه اسمي وخلقته خلقي واسم أبيه اسم أبي يملؤها . » وفي : ص ١٥١ ١٥٠ ب ٨٠ كما في رواية عقد الدرر الثالثة بتفاوت ، عن فتن السليلي ، بسنده عن عبد الله بن مسعود ، وفيه : « يملك هذه الأمة ، ويعيد الله الغنى في قلوب هذه الأمة فيجيئه الرجل فيسأله فيقول : انطلق به إلى السادن - يعني الخازن - فيحثوله في حجره ، قال : يقول حسبي ما وسع (في) أمة محمد ﷺ ، فيرده فيقول : لا حاجة فيه ، فيقال له : إنا لا نرجع في شيء أمضيناه ، فيمكث تسعاً أو سبعاً ، ثم لا خير في عيش الحياة بعده . »

* : العمدة : ص ٤٣٢ ح ٩٠٧ كما في أبي داود ، عن الجمع بين الصحاح الستة .

* : كشف الغمة : ج ٣ ص ٢٢٨ عن أبي داود ، والترمذي . وفي : ص ٢٦٤ كما في رواية عقد الدرر الثالثة ، عن أبي نعيم . وفي : ص ٢٦٦ عن بيان الشافعي

* : إثبات الهداة : ج ٣ ص ٥٩٨ ب ٣٢ ف ٢ ح ٥٣ عن كشف الغمة.

٢- حدثنا الوليد ، عن شيخ ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ ، قال : « هو رجل من عترتي يقاتل على سبتي كما قاتلت أنا على الوحي ».

دراسة حول الحديث :

المفردات : أي يقاتل لتحكيم سنة النبي ﷺ وتطبيقها ، كما قاتل النبي ﷺ من أجل القرآن.

أمالي الطوسي : ج ٢ ص ١٢٦ أخبرنا جماعة ، عن أبي المفضل ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن يسار ابن أبي العجوز السمسار ، قال : حدثنا مجاهد بن موسى الختلي ، قال : حدثنا عباد بن عباد ، عن مجالد بن سعيد ، عن خمر بن نوف أبي الوداك ، قال : قلت لأبي سعيد الخدري : والله ما يأتي علينا عام إلا وهو شر من الماضي ، ولا أمر (أمير) إلا وهو شر من كان قبله ، فقال أبو سعيد : (لولا ما) سمعته من رسول الله ﷺ يقول (لقلت) ما يقول ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يزال بكم الأمر حتى يولد في الفتنة والجور من لا يعرف عندها حتى يملأ الأرض جوراً ، فلا يقدر أحد يقول الله ، ثم يبعث الله عز وجل رجلاً مني ومن عترتي ، فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً ، ويخرج له الأرض أفلاذ كبدها ، ويحثو المال حثواً ولا يعده عداً ، وذلك حتى (حين) يضرب الإسلام بجراحه ».

* : العمدة : ص ٤٢٤ ص ٨٨٥ وح ٨٨٧ وح ٨٨٨ عن مسلم.

١ - المهدي عليه السلام من ولد علي و فاطمة و الحسين عليهم السلام :
عن طريق أهل السنة:

الحديث الأول:

سنن أبو داود:

قال عبد الغفار بن داود ، حدثنا أبو المليح الرقي ، سمع زياد بن بيان ،
وذكر من فضلة ، سمع علي بن نفيل جد النفيلي ، سمع سعيد بن المسيب ،
عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ، عن النبي صلى الله عليه وآله : «المهدي حقّ، وهو من ولد
فاطمة».

دراسة علمي حول الحديث :

المنابع والمصادر التي تؤيد الحديث :

١ - سنن أبي داود

أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي
السجستاني المشهور بأبي داود (٢٠٢-٢٧٥ هـ) في سننه.

هو إمام أهل الحديث في زمانه، وهو صاحب كتابه المشهور بسنن أبي
داود. وتنقل بين العديد من مدن الإسلام، ونقل وكتب عن العراقيين
والخراسانيين، والشاميين، والمصريين. وجمع كتاب السنن وعرضه على
الإمام أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه، ولم يقتصر في كتابه على
الحديث الصحيح بل شمل على الحديث الحسن والضعيف والمحتمل وما لم
يجمع على تركه، وقد جمع فيه ٤٨٠٠ حديث انتخبها من ٥٠٠ ألف
حديث، وقد وجه أبو داود همه في هذا الكتاب إلى جمع الأحاديث التي
استدل بها الفقهاء، ودارت بينهم، وبنى عليها الأحكام علماء الأمصار،
وتسمى هذه الأحاديث: أحاديث الأحكام، وقد قال المؤلف في رسالته

لأهل مكة: «فهذه الأحاديث أحاديث السنن كلها في الأحكام، فأما أحاديث كثيرة في الزهد والفضائل، وغيرها من غير هذا فلم أخرجها». وقد رتب كتابه على الكتب، وقسم كل كتاب إلى أبواب، وترجم على كل حديث بما قد استنبط منه عالم وذهب إليه ذاهب، وعدد كتبه ٣٥ كتاباً، ومجموع عدد أبوابه ١٨٧١ باباً. والكتاب فيه الأحاديث المرفوعة إلى الرسول ﷺ، والأحاديث الموقوفة على الصحابة، والآثار المنسوبة إلى علماء التابعين.

وفي محل بحثنا أخرجه كذا (سنن أبو داود: ج ٤ ص ١٠٧ ح ٤٢٨٤) حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا أبو المليح الحسن بن عمر، عن زياد بن بيان، عن علي بن نفيل، عن سعيد ابن المسيب، عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» وقال: «قال عبد الله بن جعفر: وسمعت أبا المليح يثني على علي بن نفيل ويذكر منه صلاحاً».

وتابع كثير من أساطين علماء الحديث الإخراج المذكور من أخبار وآثار سنن أبي داود وتلقوه كالصحيح من الأحاديث مما يلي:

معالم السنن: ج ٤ ص ٣٤٤ عن أبي داود. وهو شرح لسنن أبي داود. المستدرک على الصحيحين الحاكم: ج ٤ ص ٥٧٧ بروايتين نص أولاهما، «نعم، هو حق وهو من بني فاطمة»، والثانية بتفاوت يسير، عن رواية تاريخ البخاري، وبسندين آخرين عن أم سلمة.

مصابيح البغوي: ج ٣ ص ٤٩٢ ب ٣ ح ٤٢١١ كما في أبي داود، من حسانه.

العلل المتناهية: ج ٢ ص ٨٦٠ ح ١٤٤٦ بسنده عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من ولد فاطمة».

جامع الأصول : ج ١١ ص ٤٩ ب ١ ح ٧٨١٢ عن أبي داود.
مطالب السؤل : ص ٨ عن أبي داود.

المنذري ج ٦ ص ١٥٩ عن أبي داود ، وقال «أخرجه ابن ماجة. وقال أبو حاتم الرازي : علي بن نفييل جد النفيلي لا بأس به».

عقد الدرر : ص ١٥ ب ١ وقال : «أخرجه الإمام أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستاني في سننه ، والإمام أبو عبد الرحمان النسائي في سننه ، والإمام الحافظ أبو بكر البيهقي ، والإمام أبو عمرو الداني». وفي : ص ٢١ ب ١ وقال : «أخرجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن ماجة القزويني في سننه ، ورواه الإمام أبو عمر المقرئ في سننه». وفي : ص ٢٢ ب ١ عن ملاحم ابن المنادي

ميزان الاعتدال : ج ٢ ص ٨٧ كما في أبي داود ، وقال : «قال النسائي : زياد بن بيان الرقي ليس به بأس».

مشكاة المصابيح : ج ٣ ص ٢٤ ف ٢ ح ٥٤٥٣ عن أبي داود ، وفيه : «من أولاد فاطمة» وفي هامشه «وإسناده جيد».

شرح المقاصد : ج ١ ص ٣٠٧ كما في أبي داود ، عن ابن سلمة قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول ...

وأيضاً أخرج ابن ماجة في سننه : ج ٢ ص ١٣٦٨ ب ٣٤ ح ٤٠٨٦ كما في أبي داود ، بدون كلمة «عترتي»، بسند آخر ، عن سعيد ابن المسيب قال : «كنا عند أم سلمة فتذاكرنا المهدي فقالت سمعت رسول الله يقول : ...

ونقول حول سنن ابن ماجة : إن سنن ابن ماجة من كبار وأجل كتب الأحاديث ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة وهو من أجَلِّ كتبه ، وأعظمها وأبقاها على الزمان ، وبها عرف واشتهر ، وقد رتب الأحاديث

على الكتب والأبواب، جملة أحاديث الكتاب، تزيد عن ٤٠٠٠ حديث.
وتوفي سنة ٢٧٣هـ

وتابع هؤلاء العلماء ابن ماجة في الحديث الذي نحن بصدده:
الفردوس: ج ٤ ص ٤٩٧ ح ٦٩٤٣ كما في ابن ماجة، مرسلاً عن أم
سلمة:

المؤتلف والمختلف: ج ٤، ص ٢٢٧١ كما في ابن ماجة، بسند آخر
عن أم سلمة:

الداني: ص ٩٧ كما في ابن ماجة، بسند آخر، عن أم سلمة:
البيان الشافعي: ص ٤٨٦ ب ٢ بسنده إلى ابن ماجة، وقال: «هذا
حديث حسن صحيح أخرجه الحافظ أبو داود في سننه كما أخرجه».
تذكرة الحفاظ: ج ٢ ص ٤٦٤ ٤٦٣ بسند آخر، عن أم سلمة عن
النبي ﷺ قال: «المهدي من ولد فاطمة».

تحفة الأشراف: ج ١٣ ص ٧ ح ١٨١٥٣ عن أبي داود، وابن ماجة.
المنار المنيف: ص ١٤٦ ح ٣٣٤ وقال: «رواه أبو داود، وابن ماجة».
* : فتن ابن كثير: ج ١ ص ٤٠ عن أبي داود، وقال: «ورواه ابن
ماجة».

العقيلي: ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٣ كما في تاريخ البخاري بدون كلمة
«حق» بسند آخر، عن أم سلمة.

* : تنمة أسماء الضعفاء: ج ٤ ص ١٥٣ بسند آخر عن أم سلمة،
قالت: قال رسول الله ﷺ: «المهدي من ولد فاطمة»، وقال: «وفي المهدي
أحاديث جواد من غير هذا الوجه، بخلاف هذا اللفظ».

* : ملاحم ابن المنادي، على ما في عقد الدرر.

* : الطبراني ، الكبير : ج ٢٣ ص ٢٦٧ ح ٥٦٦ بسند آخر ، عن أم سلمة ، قالت : ذكر المهدي عند النبي ﷺ فقال : « من ولد فاطمة رضي الله عنها » .

الحديث الثاني :

مصنف عبدالرزاق : حدثنا ابن المبارك وابن ثور و عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : عبد الرزاق ، عن معمر ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، قال : « قلت لسعيد بن المسيب : المهدي حق هو؟ قال : حق ، قال قلت : ممن هو؟ قال : من قريش ، قلت : من أي قريش ، قال : من بني هاشم ، قلت : من أي بني هاشم ؟ قال : من بني عبد المطلب ، قلت : من أي عبد المطلب ؟ قال : من ولد فاطمة » .

دراسة حول منبع الحديث : مصنف الإمام عبد الرزاق : هو أحد كتب الحديث عند أهل السنة والجماعة . وهو من أوائل كتب رواية الحديث في تاريخ الإسلام . جمع أحاديثه ورواها الإمام عبد الرزاق الصنعاني (المتوفى سنة ٢١١ هـ) . ورتب أحاديثه على ترتيب أبواب الفقه ، فقسم الكتاب إلى ٣١ كتاباً فقهياً متفرعة إلى أبواب ، اشتملت على ١٩٢٠٢ من النصوص المسندة . ولقد بدأها المصنف بكتاب الطهارة ، وإختتمها بكتاب أهل الكتابين . ونظراً لأهميته الشديدة فقد وصف الحافظ الذهبي هذا الكتاب بأنه « زانة علم » .

وفي موضوعنا اخرج هذا الحديث عبد الرزاق : على ما في سند ابن حماد ، وملاحم ابن طاووس ، وملاحم ابن المنادي .
ابن حماد : ص ١٠١ .

ملاحم ابن المنادي : ص ٤١ ونبأ عمر بن محمد بن بكار، قال : نبأ الحسن بن يحيى أبو علي الجرجاني، قال : أخبرنا عبد الرزاق بن همام، قال: قلت لسعيد بن المسيب: أحق المهدي ؟ فقال : كما في ابن حماد ، وفيه : «قال حسبك الآن». وفيها : حدثنا عمر بن محمد بن بكار القاقلاقي قال: نبأ أبو صالح الخرائفي، قال : نبأ الحسن بن عمر أبو مريح الرقي قال: سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن أم سلمة، قالت: ذكر عند رسول الله ﷺ المهدي فقال : «نعم، هو حق ، وهو من ولد فاطمة، أو قال : من بني فاطمة (رضي الله عنها)» .

ملاحم ابن طاووس : ص ١٦٤ ب ١٩ عن فتن زكريا ، بسنده : حدثني أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة الكوفي، قال : حدثنا عون ابن عمارة ، عن سليمان التميمي عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عباس ، قال: وفيه : « المهدي من قريش ، قالوا من أي قريش ؟ قال من بني هاشم من ولد فاطمة عليها السلام». وفي : ص ١٧٨ ب ٤٣ وقال : «فيما ذكره زكريا بإسناده عن سعيد بن المسيب ، أن المهدي عليه السلام من ولد فاطمة عليها السلام، من ترجمة أخبار جوامع ، من كتاب الفتن، قال : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا عبد الرزاق، قال : حدثنا سعد بن عمير ، عن قتادة، قال : قلت لأبي سعيد، كما في ابن حماد ، بتفاوت يسير ونقديم وتأخير.

الحديث الثالث:

٣ - حدثنا الزاهد ، وقال أبو رافع عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : «يولد في كل سنة من آل محمد من آل محمد ، عن رجل عن أبي بصير ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يولد من آل محمد في كل سنة من آل محمد» .

ابن حماد : ص ١٠٢ وفيها : حدثنا الوليد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبي الصديق ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « هو رجل من أمتي ».

وفي : ص ١٠٣ حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « هو رجل من أهل بيتي » . وفيها : ابن وهب ، عن الحرث بن نبهان ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « هو رجل مني ».

* غيبة الطوسي : ص ١١٢ عنه (محمد بن إسحاق المقرئ) ، عن علي ، عن بكار ، عن علي بن قادم ، عن فطر ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود (قال) : قال رسول الله ﷺ كما في أبي داود بتفاوت يسير .

ونتيجة البحث والدراسة في :

لوائح السفاريني : ج ٢ ص ٣ عن القول المختصر ، و حيث قال : « فهذه الأخبار كلها لا تنافي أن المهدي من ذرية رسول الله ﷺ ، من ولد فاطمة الزهراء ، لأن الأحاديث التي تذكر أن المهدي من ولدها أكثر وأصح ، بل قال بعض حفاظ الأمة وأعيان الأئمة : إن كون المهدي من ذريته ﷺ مما تواتر عنه ذلك ، فلا يسوغ العدول ولا الالتفات إلى غيره » .
عن طريق الإمامية :

وفي جولتنا حول نسب الإمام المهدي ﷺ نتابع منابع الشيعة الإمامية .

الحديث الأول :

أصول الكافي : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن سليمان ، عن عيثم بن أشيم ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبد الله ﷺ ،

قال : « خرج النبي ﷺ ذات يوم وهو مستبشر يضحك سروراً ، فقال له الناس : أضحكك الله سنك يا رسول الله وزادك سروراً ، فقال رسول الله ﷺ : إنه ليس من يوم ولا ليلة إلا ولي فيها تحفة من الله ، ألا وإن ربي أتحنني في يومي هذا بتحفة لم يتحنني بمثلها فيما مضى ، إن جبرئيل أتاني فأقرأني من ربي السلام وقال : يا محمد، إن الله عزوجل اختار من بني هاشم سبعة، لم يخلق مثلهم فيمن مضى ولا يخلق مثلهم فيمن بقي، أنت - يا رسول الله - سيد النبيين ، وعلي بن أبي طالب وصيك سيد الوصيين ، والحسن والحسين سبطاك سيدا الأسباط ، وهمزة عمك سيد الشهداء ، وجعفر بن عمك الطيار في الجنة يطير مع الملائكة حيث يشاء، ومنكم القائم يصلي عيسى بن مريم خلفه إذا أهبطه الله إلى الأرض ، من ذرية علي وفاطمة ، من ولد الحسين» .

دراسة حول الحديث :

أصول الكافي : ج ٨ ص ٤٩ ح ١٠ .

* : البحار : ج ٥١ ص ٧٧ ب ١ ح ٣٦ عن الكافي ، وفي سنده «هيشم بدل عيشم» .

* : منتخب الأثر : ص ٢٠٠ ف ٢ ب ٨ ح ٦ عن الكافي .

الحديث الثاني :

حدثنا أبو سليمان أحمد بن هوذة الباهلي، قال : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق النهاوندي بنهاوند سنة ثلاث وتسعين ومائتين، قال : حدثنا عبد الله بن حماد الأنصاري في شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائتين ، عن أبان بن عثمان قال : قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام : «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم في البقيع حتى أقبل علي عليه السلام فسأل عن رسول الله ﷺ فقيل إنه بالبقيع ، فأتاه علي عليه السلام فسلم عليه فقال رسول الله ﷺ : أجلس ، فأجلسه عن يمينه ، ثم جاء جعفر بن أبي طالب فسأل عن رسول الله ﷺ . فقيل له هو

بالبقيع ، فأتاه فسلم عليه فأجلسه عن يساره ، ثم جاء العباس فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له هو بالبقيع ، فأتاه فسلم عليه فأجلسه أمامه ، ثم التفت رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام فقال : ألا أبشرك ألا أخبرك يا علي ؟ فقال : بلى يا رسول الله ، فقال : كان جبرئيل عليه السلام عندي آنفاً وأخبرني أن القائم الذي يخرج في آخر الزمان فيملا الأرض عدلاً (كما ملئت ظلماً وجوراً) من ذريتك من ولد الحسين ، فقال علي . يا رسول الله ، ما أصابنا خير قط من الله إلا على يدك . ثم التفت رسول الله ﷺ إلى جعفر بن أبي طالب فقال : يا جعفر ، ألا أبشرك ؟ قال : بلى يا رسول الله . فقال : كان جبرئيل عندي آنفاً فأخبرني أن الذي يدفعها إلى القائم من ذريتك ، أتدري من هو ؟ قال لا ، قال : ذاك الذي وجهه كالدينار ، وأسنانه كالمنشار ، وسيفه كحريق النار ، يدخل الجند ذليلاً ، ويخرج منه عزيزاً ، يكتنفه جبرئيل وميكائيل . ثم التفت إلى العباس فقال : يا عم النبي ، ألا أخبرك بما أخبرني به جبرئيل عليه السلام ؟ فقال : بلى يا رسول الله ، قال لي جبرئيل : ويل لذريتك من ولد العباس ، فقال : يا رسول الله ، أفلا أجنب النساء ؟ فقال له : (قد) نزع الله مما هو كائن .

دراسة حول الحديث :

*: النعماني : ص ٢٤٧ ب ١٤ ح ١ .

وفي : ص ٢٤٨ ب ١٤ ح ٢ أخبرنا علي بن أحمد البندنيجي ، عن عبد الله بن موسى العلوي ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إبراهيم ابن محمد بن المستنير ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ لأبي : « يا عباس ، ويل لذريتي من ولدك ، وويل لذريتك من ولدي ، فقال : يا رسول الله أفلا أجنب النساء ؟ أو قال : أفلا أجنب نفسي ؟ قال : إن علم الله عز وجل قد مضى والأمور بينه ، وإن الأمر سيكون في ولدي .

الحديث الثالث

٣ - وروى يحيى بن عبد الحميد، قال : حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن عباية الأسدي ، عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة عليها السلام : «إنا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين قبلنا ، ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا : نبينا خير الأنبياء ، وهو أبوك ، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمك ، ومن له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو جعفر بن أبي طالب ابن عمك ، ومنا سبطا هذه الأمة ، ومهديهم ولدك».

المنايع:

كتاب أبي جعفر بن محمد بن العباس الرازي : على ما في الإرشاد ص ٢٠٣ :

المسترشد : ص ١٥٠ : الإرشاد : ص ٢٤ قال الشيخ المفيد (رضي الله عنه) ، وجدت في كتاب أبي جعفر بن العباس الرازي، قال : حدثنا محمد بن خالد، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال : حدثنا محمد بن سليمان الديلمي ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن عدي بن حكيم، عبد الله بن العباس؛ قال : قال : «لنا أهل البيت سبع خصال ، ما منهن خصلة في الناس، منّا النبي ﷺ ، ومنّا الوصي خير هذه الأمة بعده علي ابن أبي طالب عليه السلام ، ومنّا حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيّد الشهداء، ومنّا جعفر بن أبي طالب المزين بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء ، ومنّا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام ومنّا قائم آل محمد الذي أكرم الله به نبيّه ، ومنّا المنصور»، ولم يسنده إلى النبي ﷺ .

بشارة المصطفى : على ما في هامش البحار.

الحديث الرابع

(أحمد بن إدريس) عن علي بن محمد بن قتيبة ، عن الفضل بن شاذان ، عن مصبح ، عن أبي عبد الرحمن ، عن سمع وهب بن منبه يقول : عن ابن عباس (في حديث طويل) أنه قال - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - قلت (المهدي) : من ولدك ؟ قال : لا ، والله ، ما هو من ولدي ولكن من ولد علي ﷺ ، وطوبى لمن أدرك زمانه ، وبه يفرج الله عن الأمة ، حتى يملأها قسطاً وعدلاً .

الفضل بن شاذان : على ما في سند غيبة الطوسي .

غيبة الطوسي : ص ١١٤ .

إثبات الهداة : ج ٣ ص ٥٠٤ ب ٣٢ ف ١٢ ح ٣٠٢ عن غيبة الطوسي .

الحديث الخامس

أخبرنا محمد بن همام ، قال : حدثنا أبي و عبد الله بن جعفر الحميري قالوا : حدثنا أحمد بن هلال ، قال : حدثني محمد بن أبي عمير سنة أربع ومائتين ، قال : حدثني سعيد بن غزوان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله ، عن آبائه ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : ... وقال : قال عبد الله بن جعفر في حديثه : « إن الله عزوجل اختار من كل شيء شيئاً (اختار من الأرض مكة ، واختار مكة المسجد ، واختار من المسجد الموضع الذي فيه الكعبة ، واختار من الأنعام إنائها ومن الغنم الضأن ، واختار من الأيام يوم الجمعة ، واختار من الشهور شهر رمضان ، ومن الليالي ليلة القدر ، واختار من الناس بني هاشم ، واختارني وعلياً من بني هاشم ، واختار مني ومن علي الحسن والحسين ويكملة (وتكملة) إثني عشر إماماً من ولد الحسين تاسعهم باطنهم وهو ظاهرهم وهو أفضلهم وهو قائمهم ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » تفسير فرات الكوفي : على ما في هامش مقتضب الأثر .

دراسة حول الحديث :

النعمانى : ص ٦٧ ب ٤ ح ٧ إلى آخره. وفيها : «وأخبرنا محمد بن همام ، ومحمد بن الحسن بن محمد بن جمهور ، عن الحسن بن محمد بن جمهور ، قال : حدثني أحمد بن هلال ، قال : حدثني محمد بن أبي عمير ، عن سعيد بن غزوان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إن الله عزوجل اختارني». الحديث.

إثبات الوصية : ص ٢٢٥ وعن هارون بن مسلم بن مسعدة ، بإسناده عن العالم عليه السلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إن الله عزوجل اختار من الأيام يوم الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ومن الشهور شهر رمضان ، واختارني من الرسل ، واختار مني علياً ، واختار من علي الحسن والحسين ، واختار منها تسعة ، تاسعهم قائمهم وهو ظاهرهم وهو باطنهم» .

وفي : ص ٢٢٧ عن الحميري ، عن أحمد بن هلال ، عن محمد بن أبي عمير ، عن سعد بن غزوان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما في روايته الأولى بتفاوت يسير وتقديم وتأخير ، وفيه: «واختار من الحسين الأوصياء ينفون عن التنزيل تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، تاسعهم قائمهم وهو ظاهرهم وهو باطنهم».

كمال الدين : ج ١ ص ٢٨١ ب ٢٤ ح ٣٢ كما في رواية إثبات الوصية الثانية بتفاوت يسير ، بسنده عن أبي نصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله : وفيه: «وفضله على جميع الأوصياء. الأوصياء من ولده. وتأويل المضلين».

دلائل الإمامة : ص ٢٤٠ كما في رواية إثبات الوصية الثانية ، بسنده إلى الصدوق ، وفيه: «أئمة ينفون ، تاسعهم باطنهم وهو ظاهرهم وهو قائمهم».

مقتضب الأثر : ص ٩ بسند آخر ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، وفيه : « واختار من الحسين حجة العالمين ، تاسعهم قائمهم أعلمهم أحكمهم ». وفيها : كما في رواية إثبات الوصية الأولى بتفاوت يسير ، بسند آخر عن أبي بصير وفي : ص ١٠ ٩ كما في رواية إثبات الوصية الثانية ، بسند آخر ، وفيه : « تحريف الضالين ، تاسعهم باطنهم ظاهرهم قائمهم وهو أفضلهم ».

الباب الثاني : وحدة الشيعة والسنة حول ولادة المهدي عليه السلام في منتصف شعبان

التمهيد :

منهجنا في هذه المقالة هذه رؤية حديثة حول الإمام المهدي عليه السلام ، والمهدوية أمر إثباتي يحتاج الى نصوص خبرية عن الرسول والسلف الصالح من الفريقين والأئمة المعصومين عليهم السلام . وإذا اثبتنا أن النصوص الخبرية الصريحة صدرت من الرسول والأئمة حول نسب المهدي أو خروجه أو ظهوره عليه السلام ، فقد تم ذلك ولا يحتاج الى أي كلام ودليل آخر . و الكلام يبقى حول ولادته عليه السلام ، فإن الإمام المهدي ولد في سامراء ، وتولّى منصب الإمامة بعد أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، الى زمان غيبته في السرداب .

ولا يوجد أي حديث أو خبر من الرسول وأصحابه حول ولادته عليه السلام ؛ لأن حادثة الولادة مثل حادثة الوفاة أمر خبري وثبوتي . والأمر الثبوتي لا يحتاج الى خبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل هو واقعة يخبر عنها الكتاب والمؤلفون والمحققون .

وهذه المسألة أثارت بعض الأسئلة . ولما كان غيبته وولادته عليه السلام في عهد السلاطين العباسيين وفي الفترة التي ملأت من الظلم والجور ، كان من

اللازم اختفاء ولادته عليه السلام وأيضا إمامته عليه السلام وحتى غيبته عليه السلام. ونتيجة ذلك ولدت الشبهة بأنه لم يولد، وطبعاً أنكروا الغيبة.

ولكن على الرغم من ذلك فقد كتب كثير من علماء السنة المشهورين عن ولادته عليه السلام في سامراء وإليك بعضهم :

١- حول ولادة الإمام المهدي عليه السلام في سامراء يقول العلامة أبو سالم الشافعي في مطالب السؤول : «... فهو من ولد الطهر البتول ، المجزوم بكونها بضعة من الرسول... فأما مولده فبسر من رأى (سامراء) في ثالث و عشرين سنة ثمان و خمسين و مائتين للهجرة ، وأما نسبه أباً و أمماً ، فأبوه الحسن الخالص بن علي المتوكل ، ابن محمد القانع ، ابن علي الرضا ، ابن موسى الكاظم ، ابن جعفر الصادق ، ابن محمد الباقر، ابن علي زين العابدين ، ابن الحسين الزكي ، ابن علي المرتضى أمير المؤمنين...». مطالب السؤول : ج ٢ الباب ١٢.

٢- و يؤيد أنه قد ولد وإن أباه الحسن العسكري ما ذهب إليه الشيخ القطب الغوثي محيي الدين ابن العربي في الفتوحات قائلاً : «اعلموا انه لا بد من خروج المهدي، وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة(رض)، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب ، ووالده الإمام حسن العسكري ، ابن الإمام محمد التقي ، ابن الإمام علي الرضا ، ابن الإمام موسى الكاظم ، ابن الإمام جعفر الصادق ، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي ، ابن الإمام الحسين ، ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه...».

مشارك الأنوار للشيخ حسن الحمزاوي ص ١١٢ طبع ١٣٠٧ هـ

٣- وهذا ما ذهب إليه أيضاً العلامة سبط ابن الجوزي حيث قال : «هو : محمد بن الحسن بن علي بن محمد ، بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد

بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو عبدالله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجة صاحب الزمان القائم والمنتظر والتالي، وهو آخر الأئمة. انبأنا عبدالعزیز بن محمود بن البزاز عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي ، اسمه كاسمي ، وكنيته ككنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً فذلك هو المهدي» ، وهذا حديث مشهور. تذكرة الخواص : ص ٣٦٣ طبع ١٩٦٤ م النجف.

وكذا روى إبراهيم الجويني عن عبد الله بن عباس، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أنا وعلي والحسن والحسين و تسعة من ولدي مطهرون معصومون». فرائد السمطين : المجلد الثاني.

٤ - ويقول ابن الصباغ : «ولد أبو القاسم محمد بن الحجة بن الحسن الخالص بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس و خمسين ومائتين للهجرة ، وأما نسبه أباً وأماً فهو : أبو القاسم محمد الحجة، بن الحسن الخالص ، ابن علي الهادي ، ابن محمد الجواد ، ابن علي الرضا ، ابن موسى الكاظم ، ابن جعفر الصادق، ابن محمد الباقر، ابن علي زين العابدين ، ابن الحسين ابن علي ابن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين وأُمّه، أم ولد يقال لها نرجس...». الفصول المهمة : الباب الثاني عشر.

٥ - ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي في كتابه «الاتحاف بحب الأشراف» في معرض حديثه عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام «ويكفيه شرفاً أن الإمام المهدي المنتظر من أولاده ، فله دُر هذا البيت الشريف ، و النسب الخضم المنيف ، ناهيك به فخاراً ، وحسبك فيه من علوه مقداراً ، فهم جميعاً في كرم الأرومة (الأصل) ، متعادلون ، ولسهام المجد مقتسمون قيل له من بيت عالي الرتبة ، نامي المحلة، فلقد طال السّمك عُلاً و نبلاً ، و سما على الفرقدين منزلة ومحلاً، واستغرق

صفات الكمال ، فلا يستثنى فيه بغير ، انتظم في المجد هؤلاء الأئمة ، انتظام اللآلئ ، و تناسقوا الشرف ، فاستوى الأول والتالي ، وكم اجتهد قوم في خفض منارهم والله يرفعه ، و ركبوا الصعب والذلول في تشتيت شملهم والله يجمعه ، و كم ضيعوا من حقوقهم ما لا يهمله الله ولا يضيّعه ، أحيانا الله على حبههم ، و أماتنا عليه، وادخلنا في شفاه من ينتمون في الشرف إليه ﷺ ، و خلف بعده (أي الحسن العسكري) ولده و هو الثاني عشر من الأئمة ، أبو القاسم ، محمد الحجة، ولد بسر من رأى، ليلة النصف من شعبان سنة (٢٥٥) قبل موت أبيه بخمس سنين ، وكان أبوه قد أخفاه حين ولد ، وستر أمره؛ لصعوبة الوقت، و خوفه من الخلفاء، فإتّهم كانوا في ذلك الوقت يتطلبون الهاشميين ، ويقصدونهم بالحبس و القتل ، و يرون اعدامهم سلطنة الظالمين، و هو الإمام المهدي ﷺ كما عرفوا ذلك من الأحاديث التي وصلت إليهم من الرسول الأكرم ﷺ وأخبرتهم أن الإمام المهدي الموعود المنتظر ﷺ يقطع دابر الظالمين ، و يستولي على الدنيا ، ولا يترك أحداً منهم في الأرضين».

ثم قال بعد ذلك: «وقد أشرق نور هذه السلسلة الهاشمية ، والبيضة الطاهرة النبوية، والعصابة العلوية ، وهم إثنا عشر اماماً ، مناقبهم عليّة ، وصفاتهم سنية، و نفوسهم شريفة أبيّة، وأرومتهم كريمة محمّدية ، وهم: محمد الحجة ابن الحسن الخالص ، ابن علي الهادي، بن محمد الجواد ، ابن علي الرضا ، ابن موسى الكاظم ، ابن جعفر الصادق ، ابن محمد الباقر ، ابن علي زين العابدين ، ابن الإمام الحسين ، أخو الإمام الحسن، ولدي الليث الغالب علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين)». الإتحاف بحب الأشراف : ص ١٧٨ ، طبع مصر (١٣١٦ هـ).

٦ - ويقول الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري المالكي في كتابه «تاريخ الخميس»: «الثاني عشر (من الأئمة) محمد ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا، يكنى أبا القاسم... ولد في سر من رأى في الثالث والعشرين من رمضان سنة ثمان و خمسين و مائتين هـ». تاريخ الخميس الجزء ٢ ص ٣٢١.

٧ - و يقول الشيخ المحدث الفقيه محمد بن إبراهيم الجويني الحموي الشافعي في «فرائد السمطين»، قال : «وأما شيخ المشايخ العظام أعني حضرات : شيخ الاسلام أحمد الجامي النامقي ، والشيخ عطار النيسابوري، والشيخ شمس الدين التبريزي ، وجلال الدين مولانا الرومي، والسيد نعمة الله الولي، والسيد النسيمي، و غيرهم ذكروا في أشعارهم في مديح الأئمة من أهل البيت الطيبين (رضي الله عنهم) مدح المهدي في آخرهم متصلاً بهم، فهذه أدلة (واضحة) على أن المهدي ولد أولاً... و من تتبع آثار هؤلاء الكاملين العارفين يجد الأمر واضحاً عياناً». فرائد السمطين.

٨ - و يقول الشيخ محمد بن محمد بن محمود النجار المعروف بـ (خواجا بارسا) في كتابه «فصل الخطاب» في حديثه عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «وكان مدة بقاء الحسن العسكري بعد أبيه ست سنين، ولم يخلف ولداً غير أبي القاسم، محمد المنتظر، المسمى بالقائم، و الحجّة والمهدي، وصاحب الزمان، وخاتم الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، وكان مولد المنتظر ليلة النصف من شعبان، سنة خمس و خمسين ومائتين، أمه أم ولد يقال لها: نرجس، توفي أبوه وهو ابن خمس سنين، فاختفى إلى الآن... وطول الله تبارك و تعالى عمره كما طول عمر الخضر عليه السلام».

٩ - ويقول الشيخ أبو المعالي ، سراج الدين الرفاعي في كتابه «صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار» : «وأما الحسن العسكري فأعقب الحجة المنتظر ولي الله الإمام المهدي عليه السلام».

١٠ - يقول الشيخ المحقق بهلول بهجت أفندي مؤلف كتاب «المحاكمة في تاريخ آل محمد» (مترجم بالتركية و الفارسية) : «ولد في الخامس عشر من شعبان سنة (٢٥٥)، وان اسم أمه نرجس».

١١ - و يقول الشيخ الفاضل البارع عبد الله بن محمد ، المطيري شهرة ، والمدني مسكناً ، والشافعي مذهباً ، في كتابه «الرياض الزاهرة في فضل آل بيت النبي و عترته الطاهرة» : «ان ابنه (أي ابن الإمام الحسن العسكري) الإمام الثاني عشر محمد القائم المهدي... وقد ورد النص عليه في الأحاديث من جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بقية آبائه الكرام، أهل الشرف و المقام وهو صاحب السيف ، القائم المنتظر كما ورد في الصحيح من الخبر... وله غيبتان».

١٢ - ويقول الشيخ أبو المواهب الشيخ عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني في كتابه «اليواقيت والجواهر» : «وهو (المهدي) من أولاد الإمام حسن العسكري ، و مولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان ، سنة خمس و خمسين ومائتين ، وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليها السلام فيكون عمره إلى وقتنا - وهو سنة (٩٥٨ هـ) - سبعمائة وست وستين سنة». اليواقيت و الجواهر ص ١٤٢ ط مصر ١٣٠٧ هـ

١٣ - ويقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي ، في كتابه «الصواعق المحرقة» : «ولم يخلف (أي الإمام الحسن العسكري) غير ولده (أبي القاسم محمد الحجة) و عمره عند وفاة أبيه خمس سنين ، آتاه الله

الحكمة، ويسمى: القائم و المنتظر ، قيل : لأنه سُتر وغاب». الصواعق المحرقة ، ص ١٢٧ ، ط مصر ١٣٠٨ هـ.

وهناك جمع غفير من علماء المسلمين ذهبوا إلى أنه من ولد في الخامس عشر من شهر شعبان عام ٢٥٥ هـ ، وحيث لا مجال لذكر كل أقوالهم فنكتفي بذكر أسمائهم ومحل حديثهم:

١٤ - سيّد مؤمن الشبلنجي في كتابه «نور الأبصار».

١٥ - سيّد علي الخواص في «إسعاف الراغبين» لأبي العرفان ص ٣٥.

١٦ - الشيخ شمس الدين محمّد بن طولون ، وابن الأزرق في تاريخ «ميّافارقين» في كتاب ابن طولون «الأئمة الاثنا عشر» طبع بيروت ١٩٥٨ م.

١٧ - الشيخ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي في «معجم البلدان» ج ٦ ص ١٧٥ طبع مصر ١٣٢٤ هـ.

١٨ - الشيخ العارف فريد الدين العطار في كتابه «مظهر الصفات»

١٩ - الشيخ جلال محمّد العارف البلخي الرومي المعروف بالمولوي، ذكر ذلك في ديوانه الكبير.

٢٠ - الشيخ الكامل صلاح الدين الصفدي ، في كتابه «شرح الدائرة».

٢١ - الشيخ جمال الدين بن علي بن مهنا، في كتابه «عمدة الطالب» ص ١٨٦ طبع النجف ١٣٢٣ هـ.

٢٢ - الشيخ أبو عبد الله بن عفيف الدين اليافعي اليمني المكي الشافعي، في كتابه «مرآة الجنان» جزء رقم (٢) ص ١٠٧ - ١٧٢ طبع ايران ١٣٢٨ هـ.

٢٣ - الشيخ شهاب الدين والدولة أبادي في كتابه «هداية السعداء».

٢٤ - الشيخ شمس الدين بن أحمد الذهبي الشافعي ، في كتابه «دول الإسلام» جزء (١) ص ١٢٢ طبع حيدرآباد ١٣٧٧ هـ.

- ٢٥ - الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كرم الريش المطل على بركة الرطل بمصر.
- ٢٦ - الشيخ نور الدين بن أحمد بن قوام الدين المعروف بجاني الشافعي الشاعر المعروف ، في كتابه «شواهد النبوة».
- ٢٧ - الشيخ نور عبد الرحمن مؤلف كتاب «مرآة الأسرار».
- ٢٨ - الشيخ مير خواند ، المؤرخ المشهور في كتابه «روضة الصفا».
- ٢٩ - الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الزرندي ، في كتابه «معراج الوصول إلى فضيلة آل الرسول».
- ٣٠ - الشيخ حسين بن معين الدين المييدي ، في «شرح الديوان» ص ١٢٣ - ٣٧١.
- ٣١ - الشيخ الجليل عبد الكريم اليباني ذكر ذلك في شعره (راجع ينابيع المودة الطبعة القديمة ص ٤٦٦).
- ٣٢ - الشيخ عبد الرحمن البسطامي في كتابه «درة المعارف».
- ٣٣ - الشيخ سعد الدين الحموي (راجع الينابيع الطبعة القديمة ص ٤٧٧).
- ٣٤ - الشيخ صدر الدين القونوي (راجع الينابيع ص ٤٦٨).
- ٣٥ - العلامة ابو المجد عبد الحق الدهلوي البخاري في كتابه «المناقب».
- ٣٦ - العلامة الشيخ حسن العدوي الحمزاوي ، في كتابه «مشارك الأنوار».
- ٣٧ - العلامة ابن الأثير الجزري ، في «الكامل في تاريخ» ج ٧ ص ٩٠.
- ٣٨ - العلامة أبي فداء اسماعيل بن محمود الشافعي ، في كتابه «تاريخ أبي الفداء» ج ٢ ص ٥٢.

- ٣٩ - الشيخ محمد أمين البغدادي أبو الفوز السوري ، في كتابه «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب» ص ٧٧ باب ٦ .
- ٤٠ - الشيخ علي الهروي القاري ، في كتابه «الموافاة في شرح المشكاة» .
- ٤١ - الشيخ موفق الخوازمي الحنفي ، في «المناقب» .
- ٤٢ - الشيخ عامر البصري ، في قصيدته المسماة بذات الأنوار .
- ٤٣ - الشيخ جواد الساباطي ، في كتابه «البراهين الساباطية» .
- ٤٤ - الشيخ نظر بن علي الحظمي النصري
- ٤٥ - الشيخ حسين بن علي الكاشفي ، مؤلف «جواهر التفسير» .
- ٤٦ - الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بدور الله .
- ٤٧ - العلامة الشيخ أحمد الفاروقي النقشبندي المعروف بالمجدد .
- ٤٨ - العلامة أبو الوليد محمد بن شحنة الحنفي ، في كتابه «روضه المناظر» .

- ٤٩ - القاضي فضل بن روزبهان ، شارح «الشماثل» للترمذي .
- ٥٠ - الشيخ بن همدان الحصيني .
- ٥١ - العلامة شمس الدين التبريزي ، استاذ المولوي الرومي .
- ٥٢ - العلامة الشيخ أبو الفتح بن أبي الفوارس ، في أربعينه .
- ٥٣ - العلامة الشيخ عماد الدين الحنفي .
- ٥٤ - الشيخ ولي الله الدهلوي ، في «النزهة» .
- ٥٥ - الشيخ رشيد الدين الدهلوي الهندي ، في كتابه «أيضاح لطافة المقال» .

- ٥٦ - الشيخ ميرخواند المؤرخ المشهور محمداً بن خاوند شاه بن محمود في كتابه «روضه الصفا» الجزء الثالث .
- وغيرهم عن فاتنا ذكرهم (رحمهم الله جميعاً) .
- واختتم هذا البحث برواية «ينابيع المودة» نقلاً عن كتاب «فرائد السعيطين» حيث أخرج بسنده عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : «قدم

يهودي يقال له نعثل الى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد، اسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فإن أجبتني عنها أسلمت على يدك.

قال ﷺ : « سل يا أبا عمارة ».

فقال : يا محمد صف لي ربك.

فقال ﷺ : « إن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز العقول أن تدركه ، و الأوهام أن تناله ، والخطوات أن تحده ، والأبصار أن تحيط به ، جلّ وعلا عما يصفه الواصفون ، ناءٍ في قربه ، قريبٌ في نأيه ، وهو كيف الكيف وأين الأين، فلا يقال له: أين هو ، منقطع الكيفية و الأينونية ، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد».

فقال نعثل: صدقت يا محمد ، فأخبرني عن قولك: إنه واحد لا شبيه له، أليس الإله واحد و الإنسان واحد ؟

فقال ﷺ : « الله عزّ و علا واحدٌ حقيقيٌ أحديُّ المعنى، أي لا جزء له ولا تركيب له ، و الإنسان واحدٌ ثنائيُّ المعنى، مركبٌ من روح و بدن».

فقال نعثل : صدقت ، فأخبرني عن وصييك من هو ، فما من نبي إلا وله وصي ، و إنا نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون.

قال ﷺ : « إن وصيّي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين».

فقال نعثل : فسمهم لي.

قال ﷺ : « إذا مضى الحسين فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمد ، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى الحسن ، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء إثنا عشر».

قال نعثل : أخبرني عن كيفية موت علي والحسن والحسين.

قال ﷺ : « يقتل علي بضربة على قرنه، والحسن يقتل بالسم، والحسين بالذبح ».

قال نعثل : فأين مكانهم ؟

قال ﷺ : « في الجنة في درجتي ».

قال نعثل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك ، ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدمة وفيها عهد إلينا موسى بن عمران عليه السلام ، أنه إذا كان آخر الزمان ، يخرج نبي يقال له : أحمد ومحمد ، وهو خاتم الأنبياء ، ولا نبي بعده ، فيكون أوصياؤه بعده اثنا عشر ، أولهم ابن عمه وختنه الختن : زوج البنت أ.

ثم سأله النبي ﷺ فقال له : « أتعرف الأسباط ؟ ».

قال نعثل : نعم ثم عددهم...

فقال ﷺ : « كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، وإن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى ، ويأتي على أمتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه ، فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى بالخروج ، فيظهر الله الإسلام به ويجدده ، طوبى لمن أحبهم واتبعهم ، والويل لمن أبغضهم وخالفهم ، طوبى لمن تمسك بهداهم ».

فأنشأ نعثل هذه الأبيات :

انت النبي المصطفى و الهاشمي المفتخر

صلى الإله العلى عليك يا خير البشر

و معشر سميتهم أئمة اثنا عشر

بكم هدانا الله ربنا و فيك نرجو ما أمر

قد فاز من والاهم و خاب من عادى الزهر

حباهم رب العلى ثم اصطفاهم من كدر

عترتك الأخيار لي و التابعين ما أمر

آخرهم يسقي الظما و هو الإمام المنتظر

من كان عنه معرضاً فسوف تصلاه سقر

* (ينابيع المودة الجزء الثاني باب ٣١ ص ٤٤٠)

قضية الامام المهدي عليه السلام شكك فيها من لا منطلق له

محمد علي التسخيري

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي قضية كانت في مطلع الايمان بها من اشد الضروريات التي اعتقد بها المسلمون خلال قرون، ولكنها عادت بعد ذلك فاصبحت موردا للطعن والتشكيك من قبل البعض تبعا لتغير المنطلق في البحث والنظرة الى الاسلام ومصادر احكامه، من نظرة ايمان وتعبد مصحوبة بالمقارنة الموضوعية الى نظرة هي اشبه الى رؤيتنا ومعالجتنا لاية قضية اجتماعية وجدت كظاهرة جديدة، واستنادا الى ذوقنا الشخصي. وبتعبير ادق انها اصبحت موردا للتشكيك بعد ان حاولنا ان نفرض على العقيدة من عنديتنا التي استنبطناها من دراسة خاصة او تاريخ معين او موقف مذهبي متميز، وحتى هذا الموقف ايضا لم يراع ما يجدر به ان يراعيه.

فالمراجع لهذه القضية الهامة يجد ان مقومات البحث المنطقي مفقودة بكل اصولها عند المشككين فيها فيتصدى للبحث اشخاص ليسوا هم في مستواه او هم ذوو اختصاص ولكن في جوانب اخرى لا تمت الى البحث الا بصلة بعيدة.

فتساق رواية او روايتان، مثلا او قول لمؤرخ ثم تبني على اساس ذلك نظرة عامة تجعل مقياسا للحكم في قضايا كبرى دون النظر الى سند هذه الرواية، او مبرر ذلك القول وشخصية صاحبه، وبلا ملاحظة

لمعارضتها مثلاً حتى بالروايات المتواترة التي لا تدع شكاً في مضمونها، أو تحمل على الطرف الآخر أمور تحسب على أساس أنها من مسلماته وهو لا يؤمن بها مطلقاً.

وهكذا يمر البحث في منعطفات ملتوية ومقدمات واهية لاجل جر الحقيقة إلى الفكرة التي وضعت مسبقاً.

المهدي من المسلمات الإسلامية:

مما لا يتطرق إليه ريب أن أهل البيت عليهم السلام بمجموعهم ركزوا على مسألة الإمام المهدي والاعتقاد به قبل أن يولد، وذلك تبعاً للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبشارته به.. ولا يختلف اثنان في هذا المعنى وفي أنهم أكدوا - من خلال الروايات الكثيرة - على عنصر الانتظار الذي يجب أن يتحلى به الإنسان المسلم في غيبة الإمام، مما يؤكد بعداً رائعاً للشخصية الإسلامية بعد الغيبة امتداداً لصفة الانتظار التي تحلت بها شخصية المؤمنين عبر التاريخ. ونعني بها انتظار اليوم الموعود الذي يكون فيه الدين كله لله والذي ينتشر فيه العدل فيملا الأرض بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

ومن الواضح أن صفة الانتظار هذه تعتبر من أشد الدوافع نحو تهيئة الأرضية اللازمة لتحقيق الوعد المنتظر ليستغلها في صالح الهدف المنتظر، حتى أن بعض علماء الاجتماع المحدثين لا يطلقون اسم الإنسان إلا على (المنتظر).

وقد ركزت الأديان كلها على القائد المنتظر الذي يحقق اليوم الموعود وأشارت إليه بالأجمال، ولكننا نجد أن الرسول الأعظم محمداً صلى الله عليه وآله

بالاضافة الى تركيزه على المنتظر قد سماه بالخصوص وعينه في أهل بيته ومن ولد الامام امير المؤمنين (عليه السلام) وركز عليه في جملة تركيزه على الاثني عشر خليفة وأميرا من بعده.

وقليلة تلك المواضيع التي وردت فيها اخبار متواترة كالتي وردت في المهدي مما لا يدع للشك سبيلا في هذا المجال.

ونحن وان لم يكن صدر هذا المقال يسع البحث المطول في هذا الخصوص الا انا نشير اليها والى رواها بسرعة، معتمدين على بعض المصادر وما اكثرها هنا.

أ - يتجاوز عدد الصحابة الذين رووا احاديث المهدي (عليه السلام) أعلى حد موضوع للتواتر عند علماء الحديث وفيهم: عثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، والخدري، وابو هريرة، وانس بن مالك، وابن اليمان، وابن اياس، وغيرهم كثير.

ب - كما خرّج احاديث الامام المهدي بالاضافة الى كل المعاجم والمسانيد الشيعية ما يقارب الاربعين او اكثر من كتب السنة التي فيها الائمة والحفاظ فيهم ومنهم: ابو داود والترمذي وابن ماجه، والنسائي، واحمد، وابن حبان والحاكم، وابن شعبة، وابو نعيم والطبراني، والدارقطني، والبارودي، والبزار، والخطيب، وابن عساكر، وابن منده، والحربي، وتمام الرازي، وابن جرير، وغيرهم كثيرون.

ج - وقد الف الكثيرون كتباً مفصلة موجودة في الامام المهدي (عليه السلام) ومنهم: ابو بكر بن أبي خيثمة، والحافظ ابو نعيم، والسيوطي، وابن كثير، وابن حجر المكي، وعلي المتقي الهندي، ومرعي بن يوسف الحنبلي، والقاضي الشوكاني، ومحمد بن اسماعيل الصنعاني، وغيرهم.

د - وقد حكم بتواتر احاديث المهدي (عليه السلام) كثيرون منهم: الحافظ السجزي، وابن القيم، ومحمد البرزنجي، والشيخ محمد السقاريني، والقاضي الشوكاني، والشيخ القنوجي، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني، وغيرهم. والباقون جميعاً اعتقدوا بانها مستفيضة، بل لم ينكرها من الماضين سوى رجلين اثنين^(١) - علي ما نقل الشيخ محسن العباد في محاضراته في جامعة المدينة المنورة^(٢) - وهما: أبو محمد ابن الوليد البغدادي الذي وصفه ابن تيمية نفسه بأنه ليس مما يعتمد عليه لضعفه. وقال الشيخ العباد: «ولم اقف على ترجمة لابي محمد المذكور».

واما الثاني فهو ابن خلدون المغربي، ولم ينكر صريحاً وانما تردد في ذلك، وقد ناقشه الكثيرون من العلماء في ذلك. فقد جاء في كتاب الاذاعة تعقيباً على ذلك: «لا معنى للريب في امر ذلك القاضي الموعود والمنتظر المدلول عليه بالادلة بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة الى حد التواتر».

والاعجب ان ابن خلدون يقول في صدر الفصل الذي عقده للمهدي ما يلي:

^١ وهذه ظاهرة تستحق التأمل.

^٢ راجع مجلة الهادي، العدد الاول والعدد الثاني، السنة الاولى / ص ٤٣. (وكانت تصدر بمدينة قم - ايران)

«اعلم ان في المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممر الاعصار انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين». ويعقب عليه الشيخ العباد قائلاً: «الايسعه في ذلك ما وسع الناس على ممر الاعصار، كما ذكر ابن خلدون نفسه، وهل ذلك الا شذوذ بعد معرفة ان الكافة على خلافه؟ وهل هؤلاء الكافة اتفقوا على الخطأ؟ والامر ليس اجتهادياً وانما هو غيبي لا يسوغ لاحد اثباته الا بدليل من كتاب الله او سنة نبيه ﷺ والدليل معهم وهم اهل الاختصاص....»

وقد وردت في كلامه نقاط أهمها الاشارة الى غيبية المسألة ومعالجتها من قبل غير اهل الاختصاص بمقاييس لا تتلاءم معها.

هـ - ورغم زعم البعض فقد وردت الاحاديث التي تشير الى المهدي اجمالاً في الصحيحين..

منها ما رواه البخاري عن ابي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم».

ومنها ما رواه مسلم، قال: «فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول اميرهم: تعالى صل لنا، فيقول لا ان بعضكم على بعض امراء تكرمه الله هذه الامة».

كل هذا اذا تجاوزنا عن الاحاديث التي نبخسها ان وصفناها بالمتواترة لكثرتها - عن اهل البيت عليهم السلام وهم امناء الرسالة والذين ارجع الله اليهم الامة بعد النبي ﷺ طبق احاديث متواترة اخرى بما لا يدع اي مجال للانسان الواعي ان يشكك في قضية الامام المهدي عليه السلام.

ان لم يكن هذا كافيا فكيف نصل الى الاسلام؟

والحقيقة أننا نتساءل - بكل تحد وتعجب في آن واحد - اذا لم تكن كل هذه الادلة كافية لاثبات ان قضية الايمان بالمهدي المنتظر قضية ضرورية فكيف يمكننا ان نؤمن بأية قضية ضرورية اخرى، او أي مفهوم اسلامي آخر فضلا عن القضايا الفرعية غير البديهية والمتنازع عليها سواء في مجال الفكر او مجال النظام؟

ويا ترى هل يسمح المسلمون بأن يتركوا قضاياهم تحت رحمة الفكر المطّعم بشبهات الغرب المستمد مبادئه من أسس تتغاير جوهريا مع الاسس الاسلامية؟

ونحن اذ نذكر هذا نشير الى ما يمكن ان نسميه مدرسة (احمد امين) الفكرية وأتباعها من أمثال الدكتور علي سامي النشار، والدكتور أحمد محمود صبحي، والنشاشيبي وغيرهم.

ولاجل ان نلقي بعض الضوء على معالم هذه المدرسة التي تتركز احيانا في بعض اقطابها وتخف في الاخرين أحيانا أخرى فاننا نلاحظ:

انها مدرسة اعطت نفسها فوق ما ينبغي، فالقائمون عليها اناس مهما بلغوا فانهم لن يتعدوا ان يكونوا باحثين اجتماعيين. وكلنا يعلم ان البحث الاجتماعي حقل من حقول المعرفة لم تتوضح اصوله بعد ولم تصل نتائجه الى المرحلة العلمية، حتى ان علماء الاجتماع انفسهم ما زالوا يحارون في تعريفه وفصله عن باقي العلوم.

وفي حين انهم ارادوا دراسة الحالة الاجتماعية السائدة في العصور الاسلامية فقد تعرضوا وبكل سرعة وبلا امعان الى كل القضايا الفكرية الرئيسية التي عاشها المجتمع خلال اربعة عشر قرنا، واصدروا احكامهم في كل منها دون ان يلاحظوا ان كل جانب من تلك الجوانب يحتاج الى اختصاصيين هم بالمستوى المطلوب لمناقشتها. فليس من السهل ان يحكم الانسان بمثل هذه العجالة على قضايا رسالة عالمية واحداث مهمة رافقت ظهورها وسارت معها وهي تنتشر في الوجود.

فالمدرسة اذن تفقد شرط توفر مقومات المستوى في النقاش وهي بالتالي تعتنق الفكرة التي تتلاءم مسبقا مع الهدف المقصود ثم تبحث عما يمكن ان يكون دليلا على فكرتها، وما يمكن ان يرد الرأي الاخر في الطرف المقابل. وانما تميزت بهذه الخاصية لانها وبمقتضى طبيعة عملها الاجتماعي لم تتبع الاسلوب المنطقي الصحيح الذي سار عليه المسلمون انطلاقا من مبادئهم العقائدية في اثبات القضايا ونفيها بالقرآن الكريم والسنة الشريعة مع ضم القرائن الموضوعية اللازمة، وانما حاولت ان تمنح كل فكرة بعدا خارجيا اجتماعيا، خالطة بين قضايا التاريخ وقضايا العقيدة المؤرخ لها.

ومن ثم لم تعتمد مطلقا على المصادر الاصلية في مناقشة اية فكرة عقائدية سادت المجتمع، وانما رجعت الى ذوقها هي وساعدتها على ذلك بحوث المستشرقين التي تنطلق من نفس المنطلق في مناقشة القضايا، غافلة عن الاختلاف الجوهرى في زوايا النظر بيننا وبينهم.. ومن منا اليوم لا يدرك خطر بحوث الاستشراق على العقيدة الاسلامية والتاريخ الاسلامي؟

ولو اردنا ان نسوق مثالا توضيحيا قبل ان نذكر المثال الذي يتعلق بموضوعنا نحن فاننا نسوق ماركس ونظريته التي يسميها (الاشتراكية العلمية) مثالا على ذلك. فمن الواضح انه حين استهدف أن يقضي على النظام الرأسمالي ويحل محله نظامه الاشتراكي وجد نفسه لكي يحكم اساس فكرته مضطرا لان يعود الى القواعد المنطقية البديهية فيقلبها، وان يقول بمبدأ الحركة المادية من جهة والاسلوب الديالكتيكي من جهة اخرى، ليحاول ان يطبق ذلك على الكون كله فيجعله كله مجموعة تناقضات تتطور على اساس منها. ومن ثم ينتقل الى المجتمع باعتباره جزءا من الكون فيطبقه على تاريخ المجتمعات متسلسلا في ذلك حتى يصل الى ما اراد من السابق وهو (اصفاء طابع الحتمية التاريخية على مذهبه في الاشتراكية) باعتباره مرحلة تاريخية يتطلبها (وضع القوى المنتجة) ومن ثم عمل على ان يلتمس الشواهد من هنا وهناك من التاريخ والكون على صحة هذا التسلسل الذي اعتبره منطقا اخر.

وهكذا مدرستنا هذه التي نشير اليها، والتي تحاول ان تفسر ما تستطيع تفسيره على ضوء الوضع الاجتماعي نظرا لطبيعة عملها^١.

فلنلاحظ كيف تعرضت هذه المدرسة لقضية الامام المهدي. فبعد ان يستعرض احمد امين حديثا واحدا عن الصادق (عليه السلام) يقول: «ومن هذا او نحوه يظن ان فكرة المهديّة وعصمة الائمة وتقديسهم واعلاء شأنهم نبتت في ذلك العصر عصر الامام الصادق».

١. راجع آراء الدكتور أحمد امين في المرأة و الحرية وغيرها في كتابه (الاخلاق) تجده لا ينطلق ابداً من منطلق اسلامي صحيح بل يمشي وفق ذوقه الاجتماعي حتى يجعل المرأة الامريكية نموذجاً تسير المرأة الشرقية لتصل اليه.

وهكذا وبكل بساطة انتهى الحكم على هذه القضية بعوامل اجتماعية كانت تتوفر في عصر الامام الصادق (عليه السلام) بلا اية ملاحظة لاي دليل شرعي. ومن ثم يقول:

« فكرة المهدي هذه لها أسباب سياسية واجتماعية ودينية ففي نظري انها نبعت من الشيعة »^(١).

ويأتي بعده الدكتور احمد محمود صبحي في كتابه (نظرية الامامة) فيستعرض اقوال المستشرقين في رد هذه العقيدة ناقلا اياها بلا نقد، ثم يصدر حكمه رأسا مقلدا احمد امين في ردها للظروف السياسية^(٢) تبعا للمستشرق (فان فاوتن). ومن الطريف المبكي حقا أنه يجعل ايمان السنة بالمهدي أيضا نابعا من الظروف السياسية، ناقلا عن يوسف بن يحيى الدمشقي في (عقد الدرر) نصا يوضح صاحبه ان الحاجة في عصره قد اشتدت للامام المنتظر، مع انه أي الدمشقي يوضح في نفس النص ان الاحاديث جمة في ظهوره (عليه السلام)^(٣).

وقد تجيء لحظات يشعر معها اتباع هذه المدرسة بأنهم بالغوا كثيرا في ادخال العنصر الاجتماعي، فيقول الدكتور صبحي نفسه بعد ان يشير الى المنكرين من اتباع هذه المدرسة: «غير ان موقف هؤلاء الباحثين المتأخرين قائم على عامل الزمن من ناحية حيث مر اربعة عشر قرنا، وعلى التفكير

١. ضحى الاسلام ج٣: ص٢٤١.

٢. نظرية الامامة: ص٣٩٩.

٣. نفس المصدر: ص٤٠٥.

الوضعي الحديث الذي ينكر الحكم الشيوعي من أساسه من ناحية أخرى»^(١).

هكذا اذن كونت هذه المدرسة الفكرة المسبقة ثم راحت تلتمس لها الأدلة، فما هي طبيعة هذه الأدلة؟!!

وفي مجال إقامة الدليل تتغافل تماما عن كل ما ورد من احاديث او تتغافل عن الاستناد وعنصر الالتزام العقائدي الذي تحمله هذه الاخبار ولا تقيم وزنا لذلك وانما تحاول ان تبرز ما اعترض به على العقيدة بالمهدي (عليه السلام). فيقول احمد امين: «هي نظرية لا تتفق وسنة الله في خلقه، ولا تتفق والعقل الصحيح»^(٢).

ويقول صاحب نظرية الامامة: «ولا شك ان حياة المهدي اكثر من الف عام موضع الارتباب وكفيل ان يهدم العقيدة من اساسها».

وهكذا اذن يكفي ان تكون اية عقيدة (حتى ولو كانت من الضرورات الدينية) باطلة لانها تخالف العادة الملحوظة او العقل التجريبي الذي يعبر احمد امين عنه بـ (الصحيح).

ولسنا في مقام مناقشة هذا القول، ولكن هل يمكن الحكم على قضية قام أساسها على (الغيبية) بمثل هذه المقاييس؟ اذن اين الاعتقاد

١. نظرية الامامة: ص ٤٠٤.

٢. ضحى الاسلام ج ٣: ص ٢٤٥.

بقدره الله تعالى؟! وهل ان بقاء انسان طول هذه المدة من المستحيلات العقلية؟!!

اننا لو اردنا ان نتبع هذا المنهج في البحث وجب علينا ان ننكر الكثير من القضايا التي هي ثابتة قطعاً بنص الكتاب العزيز.

فهل تكلم الطفل في المهد أمر يتفق وما جرت عليه سنة الله في الامور العادية او يوافق عليه (العقل التجريبي الصحيح)؟! وكذلك مسألة انقلاب عصا موسى الى ثعبان، او نتق الجبل فوق بني اسرائيل كأنه ظلة او مسألة بقاء طعام عزيز لم يتسنه مائة عام والتي خرقت العادة الجارية في بقاء الطعام أي طعام كان آلاف المرات.

ان العقل انما يكون حاكماً قي قطعياته وضرورياته، ونحن بذلك نؤوّل حتى النصوص اما ظنياته فلا قيمة لها امام النص، والا كان ذلك اجتهاداً في مقابل النص.

ان المنهج الصحيح هو ان نلاحظ مسألة النسبة الى الشريعة فإن تمت لاحظنا الموانع المتناسبة مع تلك المسألة لا ان نحكم جزافاً بمقاييس لا ترتبط بها.

نجد هنا ان الدكتور صبحي يعترف بأنه لا يرفض الاحاديث بل لم يحضها، ولكنه يدخل مسبقاته التي تصورها في تفسير الامر فينطبق عليه قول برتراند راسل الذي جاء به رادا على غير الموضوعين^(١).

والموضوع المهم الاخر الذي يوجهه هؤلاء نقدا الى الاعتقاد بالمهدي هو مسألة ادعاء المهديوية من قبل من لم يكونوا اهلا لان يملوا الارض قسطا وعدلا، وهذا النقص من اعجب الامور اذ لو تم وجب علينا ان ننكر النبوة لانه قد ادعاها امثال مسيلمة الكذاب !!

ولنا هنا ان ننقل نصا عن الدكتور احمد صبحي في هذا المجال يوضح عدم موضوعيته اذ يقول: «ولقد قامت حركات كثيرة باسم (المهدية) وبعضها قد خرجت من صفوف الشيعة الاثني عشرية كالبابية والبهائية، ولكن التشيع من اشد المذاهب انكارا للحركات المهدية لا لانها دعاوى كاذبة، ولكن لان اليوتوبية في عقيدة الاثني عشرية لا تدع مجالا لامكان تحقق العقيدة في الواقع الملموس»^(٢).

فالشيعة اذن لم يقفوا في وجه البهائية استنادا لأصولهم المذهبية وعلائم التكذيب التي رافقتها بل لان (يوتوبيتهم) منعتهم من ذلك.

وهذا مثل آخر على التأثر بالنظرة الاجتماعية في تحديد الموقف. والافهل راجع موقف الشيعة من هذه المذاهب واسلوب رفضهم لها ليتأكد أن حكمه هو ينبع من طوبائية تجريدية مغرقة في البعد عن الواقع؟

١. نظرية الامامة : ص ٤٢٠.

٢. نفس المصدر: ص ٤٢٦.

المهدوية ومعطياتها الاخلاقية والاجتماعية عبر التاريخ

مهدي النيازي الشاهرودي

تمهيد:

ملاكات الاعتقاد بالمهدي عليه السلام

أما من حيث الأدلة النقلية والنصوص القرآنية التي يمكن الاستدلال و الاستناد بها لإثبات صحة الاعتقاد بالمهدي وحتمية ظهوره فبالإمكان تقسيمها إلى: بعض الآيات الشريفة وآيات أخرى، مضافاً إلى دلالتها على استقرار دين الله في جميع بقاع الأرض حسب ما توقعه من مستقبل زاهر للبشرية جمعاء، فإنها تدلّ حسب المدارك والتفاسير والأحاديث المعتبرة على وقوع نهضة إنسانية عظيمة بقيادة الإمام المهدي عليه السلام، حيث ورد في الكثير من هذه الأحاديث في كتب أهل السنة من قبيل «شواهد التنزيل» الذي جمع فيه «٢١٠» آية نزلت في حق أهل البيت عليهم السلام، وذكر فيه أكثر من ١١٦٠ حديثاً يتصل بهذه الموضوع أيضاً.

ويعدّ السيد هاشم البحراني من جملة المحدثين المرموقين والعلماء الكبار الذي ألف كتاباً في هذا الموضوع جمع فيه الآيات التي نزلت في الإمام المهدي عليه السلام وسماه «الحجّة في ما نزل في القائم الحجّة»، وقد ذكر في هذا الكتاب أكثر من ١٠٠ آية مع جملة من الأحاديث الواردة في تفسير كل آية منها، وعلى هذا الأساس فإنّ العقيدة بالمهدي في المنظور القرآني، ومع الأخذ بنظر الاعتبار هذه الآيات الشريفة والتدبر في مضامينها وما ذكره العلماء في التفاسير والكتب الروائية، تعدّ أمراً ثابتاً وغير قابل للانكار.

الاعتقاد بالمهدي عليه السلام في روايات أهل السنة

الاعتقاد بالمهدي عليه السلام لدى فرق أهل السنة

إن مسألة المهديوية تعتبر مورد قبول جميع فرق أهل السنة، وخاصة إننا نرى تدوين كتب متعددة منذ صدر الإسلام ولحد الآن في هذا الخصوص. والسبب في الاهتمام بهذه العقيدة ينبغي أن ندرسه في إطار هذه الحقيقة، وهي أن موضوع المهدي الموعود عليه السلام وظهوره في آخر الزمان قد ورد على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وكذلك تحدّث به الكبار من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين جيلاً بعد جيل إلى زماننا هذا. ويمثل هذه الموضوع إحدى أكبر البشارات الإسلامية المهمة للبشرية. ولذلك نجد هذا الكم الهائل من الأحاديث الشريفة الواردة في مسألة المهدي الموعود وكذلك كثرة الرواة، بحيث أدّت إلى أن يعتقد علماء الحديث والحفاظ الكبار من أهل السنة بتواترها، ومن هذا المنطلق كانت مسألة المهدي الموعود مسألة حتمية ويقينية، وحتى أن علماء اللغة أشاروا إلى هذه الحقيقة في كتبهم ومصادرهم اللغوية، ومن ذلك ما ذكره: لسان العرب، وتاج العروس في ذيل كلمة المهدي^(١) حيث ذكروا روايات تحدّثت عن مؤسس الحكومة العالمية الواحدة، وما ورد في منابع أهل السنة عن هذه الحقيقة لا يقلّ عن روايات الشيعة، وهنا نستعرض بعض هذه المنابع والمصادر الروائية^(٢):

- ١ - صحيح البخاري، ج ٤، كتاب الأحكام وباب نزول عيسى عليه السلام.
- ٢ - صحيح مسلم، ج ١، الفتن وشرائط الساعة، باب نزول عيسى عليه السلام.

١ - شمس المغرب، ص ٨١ - ٨٣.

٢ - شمس المستور، السيد رضا الصدر وآخرين، ص ١٢٥ - ١٢٨.

٣ - سبائك الذهب للسويدي.

عبارات الروايات حول المهدي عليه السلام

وبالنسبة إلى خصائص، سيرة الإمام عليه السلام، الحكمة من الغيبة، علائم الظهور، كيفية الظهور و حكومته، مسؤولية الناس في ذلك العصر، وغيرها من المسائل المتعلقة بهذا الموضوع، فقد بحث العلماء والمشكرون تفاصيل هذه المسائل المختلفة في كتبهم ومصنفاتهم.

الاعتقاد بالمهدي في فرق الشيعة

إن أئمة الشيعة هم أتقى القادة ويملكون محبوبة في قلوب الناس، ولهذا السبب كان العدو والصديق يحسب لهم حساباً خاصاً، وكان البعض يتحرك من موقع التقرب من أئمة الشيعة لاستغلال قداستهم من أجل بسط نفوذهم وقدرتهم، فالمختار جاء للإمام زين العابدين عليه السلام، وأبو سلمة الخلال جاء للإمام الصادق عليه السلام، والمأمون تحرك لكسب ود الإمام الرضا عليه السلام، وعلى هذا الأساس وبعد استشهاد كل واحد من هؤلاء الأئمة فإن أتباعهم - ما عدا الشيعة الإمامية - كان يصعب عليهم قبول حقيقة موت ذلك الإمام حتى أن بعض الأتباع أصروا على البقاء من موقع الانتظار ولم يؤمنوا بموتهم^(١).

١ - تاريخ علم الكلام والمذاهب الإسلامية، علي محمد انولوي، ج ١، ص ٢٣٢.

المهدوية في نظر الشيعة الإمامية

وفي نظر الشيعة الجعفرية فإنّ المهدي الموعود هو ابن الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة، أي الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقد ولد الإمام المهدي عليه السلام كما هو المشهور في عام «٢٥٦ هـ ق». والأدلة على ذلك:

- ١ - تصريح الإمام الحسن العسكري عليه السلام بولادة ولده المهدي عليه السلام.
- ٢ - شهادة قابلة للإمام وكذلك حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، عمّة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.
- ٣ - شهادة أصحاب الأئمة وآخرين ممن كانوا يعيشون في زمان الإمام العسكري عليه السلام ولقاؤهم للمهدي عليه السلام.
- ٤ - شهادة وكلاء الإمام المهدي عليه السلام والمطلعين على معجزاته بملاقاتهم للإمام في عصر الغيبة الصغرى.
- ٥ - شهادة النواب الخاصين على ولادة الإمام المهدي عليه السلام.
- ٦ - شهادة الخدام والعبيد والجواري الذين كانوا يعيشون في بيت الإمام العسكري عليه السلام على رؤيتهم للمهدي عليه السلام.
- ٧ - طريقة مواجهة السلطات العباسية للإمام الجواد عليه السلام وخاصة للإمام العاشر والحادي عشر حيث اسكنوهما في معسكر مغلق ووضعوهما تحت المراقبة الشديدة، وحتى أنّ بيت الإمام الحادي عشر كان يخضع للمراقبة المباشرة من قبل عناصر السلطة، وكذلك ملاحقة النواب الخاصين للإمام المهدي عليه السلام ووكلائه في عصر الغيبة الصغرى. كل ذلك يدلّ على ولادة الإمام صاحب الزمان حيث شغلت أذهان السلطة العباسية سياسياً وعسكرياً بما يقارب من مائة عام^(١).

١ - التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٧٨-٨٩.

٨ - اعتراف العرّافين بولادة الإمام المهدي عليه السلام ^(١).

٩ - اعتراف علماء أهل السنة بولادة الإمام المهدي عليه السلام، كابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ»، حيث ذكر ذلك في حوادث عام ٢٦٠ للهجرة، وابن خلكان في كتاب «وفيات الأعيان»، والذهبي في كتبه «العبر في خبر من عبر»، وتاريخ الدول الإسلامية، وسير أعلام النبلاء» وابن حجر الهيتمي في كتاب «الصواعق المحرقة»، وكذلك بعض العلماء الآخرين، مثل محيي الدين ابن عربي، وأبي عبدالله الكنجي الشافعي ^(٢).

إنّ الإمام المهدي الموعود الذي يذكر في مصادر الإمامية بلقب إمام العصر وصاحب الزمان، هو ابن الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث يطابق اسمه اسم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد ولد في سامراء سنة ٢٥٦ للهجرة وبقي إلى سنة ٢٦٠ للهجرة، أي إلى حين وفاة والده، فبقي تحت كفالة وتربية والده في هذه المدّة مخفياً عن أنظار الناس ولم يعلم به سوى بعض الخواص من الشيعة الذين تشرفوا بلقائه، وبعد شهادة الإمام العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ للهجرة استقرت الإمامة في الإمام المهدي عليه السلام وقد اختار الغيبة عن الناس بأمر الله تعالى، واستمرت غيبته الصغرى حتى وفاة آخر النواب الخاصين في سنة ٣٢٩ للهجرة، وبعد ذلك بدأت الغيبة الكبرى.

١ - في انتظار قنوس، ص ١٥٧ - ١٦٠.

٢ - المصدر السابق، ص ١٦١ - ١٦٦.

المعطيات التاريخية للاعتقاد بالمهدي عليه السلام

ثورة السادات الحسينيين: بعد مقتل زيد وابنه يحيى في مواجهتهم للأمويين حصل فراغ في القيادة الشيعية على مستوى التصدي لنوى الحرورية لأن الإمام الصادق عليه السلام كان يسير في طريق أبيه وجده على مستوى الاهتمام بالمسائل النظامية والعمومية وبيان أصول الدين ومعاونه عليه السلام - سنية وقربية عابرة - ونسب فتوسيع الناس إلى السنين والإيرادات ولذا لم يسلك هذا الإمام من النقباء في المسائل السياسية، فما كان من محمد ذي النفس الزكية - وهو من ذرية النبي ومن السادة الحسينيين - إلا أن كبره على مستوى حذرت الزيدية وأتباع المعتزلة وأهل السنة مضافاً إلى بعض الشيعة المتشددين واستغلال دعوى المهديوية لهذا الغرض.

إن عبدالله بن الحسن - وهو والد محمد - (المعروف بالمحضر) قد أخذ ابنه منذ الطفولة ليتخذ موقع ودور المهدي في جو ذلك المجتمع، وعندما بلغ محمد سن الرشد سعى والده لإظهار هذا الابن للناس على أساس أنه هو المهدي الذي بشر به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد تبعه على ذلك كبار المعتزلة وبعض أشخاص من بني هاشم، وفي سنة ١٢٦ هـ قام عبدالله بدعوة أقربائه في جوار بيت الله الحرام لبيعة ابنه محمد بالإمامة، وقد بايعه كبار بني العباس في مجلس في منطقة «الابواء». وقد اعترض الإمام الصادق عليه السلام، لأنه يرى نفسه أنه هو الإمام الحق من ذرية النبي صلى الله عليه وآله. وكذلك حذر الإمام الصادق عليه السلام عبدالله وابنه محمد من العواقب الوخيمة للتقرب إلى السلطة العباسية، إلا أنّهما لم يصغيا لكلامه.

وقد تعاملت السلطة العباسية، منذ بداية تشكيل حكومتها، مع العلويين من موقع الخصومة والقمع، ولاحظ العباسيون بعد فشل ثورة محمد ذي النفس الزكية وفي زمن الهادي أنّ الاعتقاد بالمهدي انتشر مرة أخرى في

صفوف العلويين حيث ادعى الحسين بن علي - وهو من السادة الحسينيين - المهدوية، وأعلن ثورته في فخر، وتصدى للجيش العباسي الذي قام باجهاض هذه الثورة بكل فسوة وعنف وقتلوا زعيم النهضة والكثير من أقربائه سنة ١٦٩ للهجرة، وقد اتهمت السلطة العباسية الإمام الكاظم عليه السلام بأنه يقف وراء هذه الواقعة، ولذلك عزم الهادي العباسي على قتل الإمام، ولكنه مات قبل ذلك^(١).

* ثورة الإسماعيليين: إن إسماعيل يعتبر أكبر أولاد الإمام الصادق عليه السلام، وكان الإمام الصادق عليه السلام يحبه كثيراً، بالرغم من أن بعض الروايات تحدثت عن إعراض الإمام عنه، ولكن علماء الشيعة يحترمونه كثيراً والشيخ الطوسي يعدّه من أصحاب الإمام، وقد توفي إسماعيل في سنة ١٤٣ للهجرة في زمن حياة أبيه، وقد دفنه أبوه في مقبرة البقيع بحضور رجال المدينة، وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن إمامة ابنه إسماعيل فنفي الإمام ذلك^(٢).

وبعد استشهاد الإمام الصادق عليه السلام بقي بعض الشيعة على القول بإمامة إسماعيل وقالوا بعدم وجود إمام بعده، وهؤلاء يسمّون بالإسماعيلية الخاصين الذين ينكرون موت إسماعيل ويعتقدون بإمامته وأنه غاب في حياة والده وأنه هو المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان، والبعض الآخر يطلق عليهم بالإسماعيلية بصورة عامة حيث قالوا: إن إسماعيل مات وقد نصب ابنه محمّداً للإمامة بعده، وهذه الفئة من الإسماعيلية تنقسم بدورها إلى قسمين من حيث اعتقادهم بإمامة محمّد: فبعض يعتقد بأن محمّداً لم

١ - التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر، ص ٦٧ - ٦٨.

٢ - ثقافة الفرق الإسلامية، ص ٤٧.

يمت بل غاب وسيرجع بعد ذلك، والبعض الآخر قالوا بموت محمد وأن الإمامة بعده تصل إلى الأئمة الذين يعيشون في الخفاء^(١).

خصوصيات الإمام المهدي عليه السلام

اقتداء عيسى بن مريم بالإمام المهدي عليه السلام

وفي عقد الدرر في الباب الأول روي عن سالم الأشل أنه قال: سمعت عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: «إن موسى نظر إلى ما أعطى الله تعالى لقائم آل محمد عليهم السلام، فقال: إلهي اجعلني قائم آل محمد، فقبل له: إنه من ذرية أحمد، ومرة أخرى طلب موسى هذا الطلب وسمع نفس الجواب، وفي المرة الثالثة بعدما رأى مقام الإمام طلب من الله ذلك الطلب وسمع نفس الجواب»^(٢).

وبالرغم من أن موسى بن عمران من أنبياء أولى العزم ﴿وكلّم الله موسى تكليماً﴾^(٣)، وقد بعثه الله تعالى بتسع آيات ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾^(٤)، وكان مقرباً لساحة القدس الإلهي ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾^(٥)، إلا أنه مع ذلك يتمنى منزلة المهدي ويطلبها لنفسه من الله ثلاث مرّات! من ذلك نعرف علو وعظمة مقام المهدي عليه السلام عند الله تعالى.

إنه عليه السلام مظهر حكومة الحق وزوال الباطل ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾^(٦).

١ - التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر، ص ٦٩.

٢ - عقد الدرر، الباب ١، ص ٢٦.

٣ - سورة النساء، الآية ١٦٤.

٤ - سورة الاسراء، الآية ١٠١.

٥ - سورة مريم، الآية ١٥٢.

٦ - سورة الاسراء، الآية ١٨.

الإمام المهدي عليه السلام خليفة الله.
مقام أصحاب الإمام المهدي عليه السلام.
معنى الانتظار وشروطه وعلائمه وآثاره.

الأول: الانتظار القلبي

المرتبة الأولى للانتظار:

وبملاحظة أنّ الوعود الإلهية الواردة في الآيات والروايات لم تتحقق في أي زمان من عصر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ولا في حق غيرهم وأنّ الدين الإلهي لم ينتشر في جميع أرجاء العالم ولم يتغلب على جميع الأديان الموجودة، وبملاحظة أنّ الأئمة المعصومين كانوا ولا يزالون يعيشون المظلومية ولم تتحقق خلافتهم ووراثتهم للأرض في حال الأمن وعدم الخوف، إذاً فلا بدّ من انتظار تحقق تلك الوعود الإلهية في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام وكذلك رجوع آباءه الكرام إلى هذه الدنيا كما ورد في الأخبار المتواترة. وبعد التأمل في الآيات والأخبار الشريفة من موقع الانصاف وبعيداً عن التعصب والعناد يتضح جيداً أنّ الإنكار أو التشكيك في الأدلة القرآنية والأدلة النقلية والقطعية التي تتحدث عن الظهور والفرج للإمام المهدي عليه السلام وكذلك رجعة آباءه الكرام [قد] يوجب الكفر والضلالة، وأنّ حقيقة الكفر والضلالة ليس سوى إنكار أمر الحق أو التشكيك به بعد وضوحه وبيانه.

المرتبة الثانية للانتظار

المرتبة الثالثة للانتظار

القسم الثاني: الانتظار العملي

إن الله تبارك وتعالى قد جعل وجود الإمام المبارك عليه السلام وسيلة لبقاء العالم و عطاء النعم في كل زمان بحيث لو لم يكون الحجة فلا بقاء لعالم الوجود و لا عطاء له ولساخت الأرض بأهلها، وظهور الإمام عليه السلام في ما يملكه من التصرفات الظاهرية في العالم، يعدّ وسيلة للظهور الكامل لجميع النعم الظاهرية والباطنية، وبدون ذلك تكون جميع النعم الإلهية على العباد ناقصة، ويكون كل سرور وفرح مقترناً بالحزن والغم.

أهم العوامل المؤثرة في توطيد الحكومة الإسلامية:

أن نهضة الإمام المهدي عليه السلام العالمية هي في الواقع استمرار للنهضة التي قام بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، بل إن حركته ومنهجه مستوحاة من منهج وحركة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله كما ورد في الرواية الشريفة عندما سأل أحد الرواة الإمام الصادق عليه السلام عن كيفية ظهور الإمام المهدي عليه السلام فقال: «يصنع ما صنع رسول الله. يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديداً»^(١).

* القائد الفذ: فكما أنّ القائد الفذ المتمثل بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان له دور كبير في تأسيس وتقديم الحكومة الإسلامية والمجتمع الإسلامي من خلال سلوك النبي صلى الله عليه وآله أخلاقه وتدبيره، فإن المجتمع الإسلامي المعاصر بحاجة ماسّة إلى قائد فذ بإمكانه العمل على اقرار النظم وتحقيق الوحدة

والانسجام بين المسلمين لتحقيق الأهداف الإسلامية في حركة الحياة والواقع.

* التعامل المنطقي والاصولي مع الأحداث: إن النبي الأكرم ﷺ كان يتحرك في تعامله مع الطوائف والفئات المختلفة على أساس الرؤية العلمية والمنطقية في مناظراته معهم، وكذلك تحرك أئمتنا ؑ في هذا الخط مع الفئات المختلفة في المجتمع الإسلامي، بل حتى أنهم كانوا يجلسون مجلس المناظرة والجدال مع المنكرين لله ويناقشونهم بأدوات العقل والمنطق بحيث إن الكثير من الأفراد والشخصيات في المجتمع الإسلامي آنذاك كانوا يحضرون مجلس درسههم ويستلهمون من نعيم فيضهم ويزدادون في معرفتهم للإسلام والدين، وكان ذلك له دور مهم في اتساع بقعة الإسلام **«إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»** (١).

يذكر الإمام علي ؑ: أنه اجتمع يوماً عند رسول الله ﷺ أهل خمس أديان: اليهود، النصارى، الدهرية، الثنوية، ومشركو العرب، فأخذ النبي ﷺ يحدّثهم بوقار ويأتي لهم بأدلة وكانوا يستمعون إليه ويناقشونه، ثم إن هذه المناظرة استمرت إلى ثلاثة أيام واقتنع أخيراً أتباع هذه الفرق بكلام النبي ﷺ واعتنقوا الإسلام.

* الاتحاد والانسجام بين المسلمين: فبلا شك أن الاتحاد له دور عظيم في تحقيق الأهداف والغايات السماوية في واقع المجتمع الإسلامي. فهذا الاتحاد بمثابة عامل مهم يزيل كل أشكال الفرقة بين أفراد المجتمع الإسلامي ويكون منشأً للكثير من البركات وأشكال التطور العلمي والثقافي والأخلاقي في العصر الحاضر.

وانعش قلوباً في انتظارك قرحت و اضجرها الاعداء أية اضجار
 وخلص عباد الله من كل غاشم و طهر بلاد الله من كل غاصب
 إن نور الأمل الذي ينير دائماً أعماق الروح البشرية ويمنح الإنسان عنصر
 القوة في مواجهة التحديات الصعبة التي يفرضها الواقع، هذا النور يأخذ
 بيد الإنسان الذي يعيش متاهات الحياة في حركة الواقع ويسلك به في خط
 الكمال المعنوي والروحي في أجواء الانفتاح على الله والإيمان.
 لولا الأمل فإن الإنسان لا يجد في نفسه دافعاً للسير في خط المسؤولية
 وتحمل الصعوبات والعمل من أجل حلّ المشكلات والسعي لكشف
 خواص المادة وقوانين الطبيعة، فكل ما نراه من حركة في دائرة الزراعة
 والصناعة والفنون المتنوعة والعلوم المختلفة وغيرها من مظاهر النشاط
 البشري، ناشئ ببركة نور الأمل الذي يعيشه الإنسان في واقعه الباطني
 كسنة إلهية في حركة الحياة، إلا أن أكثر أو كل الناس - إلا ما ندر - يتعدون
 عن هذا النور. ولذلك نرى أن شمس الأمل عندما تشرق على أرض
 النفس البشرية المظلمة وتنير زوايا الروح المتعبة، تستيقظ قوى الخير فيها
 ويمنحها الأمل صفاءً وحيوية وعزماً واستقامة في واقع الإنسان وحركته
 في خط المسؤولية والإيمان.

إن الاعتقاد بالمهدي وانتظار ظهور الموعود في آخر الزمان، يحتل في
 ثقافتنا الدينية مكانة خاصة وممتازة، فمضافاً إلى أن هذه العقيدة تعكس
 واقعاً في عالم الوجود وتحكي عن وعد إلهي جازم لا يقبل النقض، فإنها
 تمنح الإنسان نور الأمل في واقع الحياة، وعلى ضوء ذلك فإن تشكيل
 المجتمع المثالي بمعايير أخلاقية وإنسانية بحيث تسود فيه العدالة وينعدم فيه
 الظلم والجور، كان ولا يزال يمثل حُلماً في وعي البشرية جمعاء، ولذلك
 فكّر الإنسان منذ قديم الزمان باطروحة المدينة الفاضلة (اليوتوبيا)،

والمفاهيم والتصورات التي تنطلق من هذه الفكرة التاريخية تتحدث عن حقيقة حاسمة، وهي ضرورة الوصول إلى تحقيق هذه المدينة المثالية^(١) على أرض الواقع الاجتماعي. ومن هنا كانت المدينة الفاضلة بخصوصياتها المثالية مطروحة في دائرة الفكر الفلسفي لدى عامة الفلاسفة والمحققين^(٢).

إنّ التطلع إلى عالم مثالي والحياة في أجواء الفضيلة كانت مورد اهتمام جميع الأديان والمذاهب ولم تكن من افرازات الخيال، فينبغي تتبع معطيات هذا المفهوم في واقع المجتمعات البشرية. وأحد أهم المسائل التي وقعت مورد اهتمام المفكرين في أجواء المعارف الإسلامية وعلى مستوى كافة المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة هي مسألة المهدوية.

فإنّ الإمام المهدي عليه السلام في الوعي الإسلامي يمثل أمل المستضعفين وشوكة في عيون المستكبرين وقوى الجور، وسوف تتسع عدالته لتشمل جميع أرجاء المعمورة حيث تجف جذور الجهل وينتهي عصر الحكومات الظالمة وتعيش البشرية في أجواء عدالته الشاملة.

وهناك آيات وشهادات ومؤيدات دالة على ذلك:

١ - الآيات التي تدلّ على أنّ الإرادة الإلهية والمشية الربانية تعلقت بهذه الحقيقة، وهي أنّ المستضعفين سيرثون الأرض بعد هزيمة الطواغيت والمستكبرين، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين﴾^(٣).

وبديهي أنّ هذه الإرادة الإلهية عامة وشاملة ولا تختص بقوم بني اسرائيل وفرعون وهامان اللذين استضعفا بني اسرائيل، فهذه الآية شاملة

١ - في انتظار ققنوس، السيد ثامر هاشم العميدي، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

٢ - شمس المغرب، محمد رضا الحكيمي، ص ١٥٣ - ١٨٥.

٣ - سورة القصص، الآية ٥ و ٦.

في مضمونها جميع المستضعفين بشكل عام حيث تشملهم العناية الإلهية في تحقيق هذا الوعد، وهذا من جملة السنن الإلهية، ومن الواضح أن ظهور المهدي الموعود يمثل منة على المستضعفين لتحقيق غلبة المستضعفين على المستكبرين، ويعدّ مقدمة لتحقيق وراثته المستضعفين وخلافتهم الإلهية على الأرض.

٢ - الآيات التي تتضمن هذه الحقيقة، وهي وعد الله تعالى بأن المستضعفين سيخلفون و سيرثون الأرض، وقد ورد هذا الوعد الإلهي للصالحين والمتقين في أقدم الكتب السماوية بأنهم سيرثون الأرض ويكونون قادة الأمم، من قبيل قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾^(١).

٣ - الآيات التي تتضمن هذه البشارة، وهي أن الإسلام سيغلب سائر الأديان من موقع الهيمنة والشمولية، وأن نور الله الذي هو الدين الإسلامي والحكومة الإسلامية سيعم جميع المجتمعات البشرية فيما يمثله من أصول وفروع ودرسات وأحكام وقيم، وذلك بموجب قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾^(٢).
و﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾^(٣).

و﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾^(٤).
و﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون﴾^(١).

١ - سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٢ - سورة المائدة، الآية ٣.

٣ - سورة التوبة، الآية ٣٢.

٤ - سورة الفتح، الآية ٢٨.

إن مسألة المهدي الموعود عليه السلام وانتظار الفرج وتشكيل الحكومة العالمية لا يختص بالدين الإسلامي أو بالمذهب الشيعي وعقيدة أتباع أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، بل إن هذا الموضوع قد كان موضعاً للبحث والدراسة على نحو الجِدِّ و قد ورد قبل دين الإسلام بهذه العناوين: مبشر، منذر، مصلح العالم، مؤسس الحكومة العالمية و... في كتب الفلاسفة والمفكرين والمؤرخين وأرباب الديانات الإلهية فيما تمثله هذه العقيدة من مسائل تستحق الدراسة والتأمل، ولتكننا في هذا المجال نتعصر بدراسة هذه المسألة ورد في الفكر الإسلامي وأحاديث الفريقين من الشيعة وأهل السنة.

إن مسألة المهدوية من جهة ابتنائها على الأحاديث المعتبرة وأثباتها تعدّ في غاية الوضوح والبداهة، فقد وردت روايات وأحاديث كثيرة في كتب الحديث والصحاح والجوامع والسنن والمسانيد والأصول لدى الشيعة وأهل السنة^(١)، فمنذ عصر الرسالة إلى زماننا هذا كان صحابة النبي وبعدهم من التابعين وتابعي التابعين وسائر الطبقات الأخرى ينقلون هذه الأحاديث نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل.

إن كثرة وتعدد وتنوع هذه الروايات وورودها بطرق وطبقات مختلفة يدلّ دلالة قاطعة على عدم وجود احتمال تباني الرواة على الكذب في نقل هذه الأخبار وبالتالي فمع غض النظر عن وثاقة وأمانة الرواة فإن مسألة جعل هذه الأحاديث لا يدخل في دائرة الاحتمال العقلاني. وقد وردت أخبار المهدوية في العديد من مصادر المسلمين أمثال:

١ - «سنن ابن ماجه»، ج ٢، باب خروج المهدي عليه السلام.

⇨

١ - سورة الصف، الآية ٨.

٢ - المحاضرات في تفسير القرآن، السيد اسماعيل الصدر، أعيان الشيعة ج ٢ السيد محسن الأمين.

- ٢ - «سنن ابن داود»، ج ٢، كتاب المهدي عليه السلام.
 - ٣ - «سنن الترمذي»، باب ما جاء في المهدي عليه السلام.
 - ٤ - «الصواعق المحرقة» لابن حجر الهيثمي.
 - ٥ - «نور الأبصار» للشبلنجي.
 - ٦ - «الفصول المهمة»، لابن الصباغ.
 - ٧ - «اسعاف الراغبين»، لمحمود الصبان.
 - ٨ - «البيان»، للكننجي الشافعي.
 - ٩ - «نهاية المأمول»، للمنصور علي.
- وحكي جمع كثير من علماء أهل السنة التواتر في روايات المهدي عليه السلام،
منهم:

- أبو الحسن الأبري الذي يعدّ من كبار علماء أهل السنة حيث يقول:
«إنّ الأخبار متواترة ومستفيضة من طرق كثيرة حيث ورد فيها أنّ محمّد
المصطفى أخبر عن المهدي، وأنّه من أهل بيته، ويحكم سبع سنوات ويملاّ
الأرض قسطاً وعدلاً، وأنّ عيسى يخرج معه ويساعده في قتل الدجال
وسيتولى منصب الإمامة لهذه الأمة ويصليّ عيسى خلفه»^(١).

- الشبلنجي: «إنّ الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله متواترة بأنّ المهدي من ذريته
وسيملاّ الأرض عدلاً»^(٢).

- ابن أبي الحديد: «وقد اتفقت جميع فرق المسلمين بأنّ الدنيا لا تنقضي
إلا بظهور هذا الإمام»^(٣).

- زيني دحلان: «وأمّا الأحاديث في ظهور المهدي فهي متواترة جداً»^(٤).

١ - تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٤٤ (في ترجمة محمّد بن خالد الجندي). الغيبة للنعماني، ص ٧٥، الباب ٤، ح ٩.

٢ - نور الأبصار، ص ١٨٩.

٣ - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٦.

- ابن حجر العسقلاني، وهو من أكابر علماء أهل السنة أيضاً: «إنّ الأخبار الواردة في المهدي متواترة ومفيدة للعلم، ولا يحتاج للعمل بها للتحقيق والبحث»^(٢).

- أحمد شيخ الإسلام الشافعي: «إنّ الروايات الواردة عن المهدي كثيرة إلى حدّ التواتر»، ثم يقول: «وقد ورد فيها الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة، ولكن بما أنّ هذه الأحاديث كثيرة ورواتها متعددون ومن طوائف وطبقات مختلفة مما يدعم أحدها الآخر بحيث تفيد العلم واليقين بذلك»^(٣).

ومن مطالعة مجموع هذه الأحاديث والروايات المتواترة التي نقلها الشيعة وأهل السنة نستوحي منها:

أولاً: إنّ الرسول الأكرم ﷺ أخبر عن ظهور إمام في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويعمل على محو وإزالة أسباب الظلم والجور والعدوان، وفي ذلك الزمان ينتشر الإسلام ويحكم بتعاليمه السماوية جميع المجتمعات البشرية في العالم حيث تنال البشرية أقصى ما تطمح إليه من الرفاه وال عمران والسعادة المنشودة.

ثانياً: إنّ مسألة المهدي الموعود كانت في عصر النبي الأكرم ﷺ وكذلك بعده من الأمور المسلّمة والمتفق عليها بحيث إنّ المسلمين كانوا ينتظرون ظهور هذا الإمام طيلة التاريخ الإسلامي من أجل إقامة دولة الحق والعدل

⇒

١ - الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٣٣٨.

٢ - نزهة الناظر، ص ١٢.

٣ - الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٢٥٠.

والعمل على إصلاح الأمور وأشكال الخلل في المجتمع البشري وبذلك يعمّ الإيمان والعدل والإسلام في أرجاء العالم.

بالرغم من وجود اشتراك في هذه الروايات حول الحقيقة المذكورة أعلاه، إلا أننا نرى وجود بعض الاختلافات في العبارات الروائية أيضاً، مثلاً نجد في بعض الروايات أنها لم تصرح باسم المهدي، ولكن في البعض الآخر منها نجد تصريحاً باسم المهدي ﷺ، ولذلك فإن العلماء حملوا الطائفة الأولى من الروايات المطلقة على الطائفة الثانية المقيدة لها، وبهذا الترتيب جمعوا بين هاتين الطائفتين من الروايات.

والملفت للنظر أن المفكر الإسلامي «أبو الأعلى المودودي» يقول في هذا المجال: «لقد استعرضنا في هذا الباب (باب ظهور المهدي) روايات ورد ذكر المهدي فيها بصراحة، وهناك روايات أخرى ورد الكلام فيها عن ظهور خليفة عادل بدون التصريح باسم المهدي، ثم يقول: ولما كانت هذه الأحاديث من النوع الثاني تشابه الأحاديث من النوع الأول في موضوعها فقد ذهب المحذّثون إلى أن المراد بالخليفة العادل فيها هو المهدي»^(١).

تعتبر مسألة المهديّة من العقائد المشتركة بين الفرق الشيعية المختلفة، كالكيسانية، الزيدية، الإسماعيلية، الإمامية و...

«إنّ إحدى المعتقدات في الدين الإسلامي وفي المذهب الشيعي بالخصوص هو انتظار ظهور المهدي من آل محمد، فكل فرقة من فرق الشيعة - وبالرغم من الخلافات الفكرية بينها - ترى أنّ آخر إمام لها هو

المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

والآن ربّما يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال: لماذا شغل موضوع المهدوية أذهان وقلوب الناس وخاصة الشيعة؟ وللجواب عن هذا السؤال يمكن تقديم بعض الأدلة على ذلك:

١ - إنّ موضوع المهدي يتمتع بالشمولية وقد بشر به جميع الأنبياء وخاصة نبي الإسلام، وأنه حامل راية العدل في آخر الزمان.

٢ - إنّ ظلم وجور الحكّام كان قد وصل إلى درجة استدعى أن يتصور الناس أنّ العالم ملئ بالظلم والجور، فقد ملأت جرائم بني امية وبني العباس وخلفاء، كعماوية ويزيد وعبدالمك و مروان والمنصور وهارون والمتوكل وغيرهم، صفحات التاريخ الإسلامي، ومن هنا كان الشيعة يواجهون تحديات صعبة وضغوط عسيرة، ولذلك كانوا أحوج من بقية الفرق والمذاهب الإسلامية للتمسك بفكرة المهدي.

ويذكر الشيعة الأدلة التالية لإثبات ولادة الإمام المهدي عليه السلام^(٢):

* شهادة أفراد موثوقين كثيرين في عصر الغيبة الكبرى على لقائهم للإمام صاحب الزمان بصور مختلفة^(٣).

* إنّ المدعين للنيابة في عصر الغيبة الصغرى الذين يبلغ عددهم سبعة أشخاص، كانوا يعترفون بولادة الإمام المهدي، ولكن بعد وصولهم لأهدافهم نصبوا أنفسهم سفراء للإمام وتحركوا من موقع التصدي لنواب

١ - ثقافة الفرق الإسلامية، محمد جواد مشكور، ص ٢٧٩.

٢ - في انتظار ققنوس، ص ١٤٥ - ١٦٦.

٣ - النجم الثاقب، الميزرا حسين الطبرسي النوري، الباب السابع، ص ٢٠٧ - ٤١٢.

الإمام الحقيقيين، وهذا يعتبر دليلاً آخر على ولادة الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه (١).

ومن خلال مطالعة تاريخ الإسلام نلاحظ أنّ مسألة المهدي قد استغلت من قبل بعض الأشخاص والجماعات من أجل تحقيق مقاصدهم وأهدافهم:

أ - الثورات والحركات التي وقعت في تاريخ الإسلام تحت دعوى المهدي المنقذ.

ب - مدّعو المهدي والباية وكذلك الأشخاص الذين يُعتبرون لدى أتباعهم أنهم المهدي.

ج - سعي الأئمة المعصومين عليهم السلام لبيان المفهوم الصحيح للمهدي وتعریف الناس بالمصدق الواقعي له.

وفي البداية نستعرض الثورات الشيعية في التاريخ الإسلامي التي انطلقت باسم المهدي:

١ - ثورة المختار.

٢ - ثورة زيد.

٣ - ثورة عبد الله بن معاوية «حفيد جعفر بن أبي طالب».

وكان النتيجة أنّه بعد وصول بني العباس إلى سدة الحكم ثار محمد وأصحابه على السلطة العباسية، وبالتالي مقتل محمد وأخيه إبراهيم ١٤٥ للهجرة على يد جيش المنصور العباسي وأقدمت السلطة على سجن والدهما والكثير من أنصارهما (٢).

١ - تاريخ عصر الغيبة، السيد مجيد بور الطباطبائي، ص ١٧٦ - ١٨٠.

٢ - التشيع في مسير التاريخ، ص ٣١٢ - ٣٢٩.

إنّ خصائص وسمات الإمام المهدي لا يمكن استعراضها في هذا المختصر، ولكننا نشير إلى عدّة خصوصيات وردت في روايات العامة والخاصة:

إنّ حكم إمامة الجماعة هو أن يتقدم الأفضل، كما في روايات العامة والخاصة: «إمام القوم وافدهم، فقدموا أفضلكم»^(١)، وعندما يظهر الإمام المهدي و يقيم حكومته العالمية ينزل عيسى بن مريم من السماء إلى الأرض و يقتدي بالإمام طبقاً لما ورد في روايات العامة والخاصة^(٢).

إنّ عيسى كما هو معلوم كلمة الله، وروح الله، و محيي الموتى بإذن الله، ورسول الله من أولي العزم، ولا يدانيه أحد في الفضل والقرب عند الله تعالى، ولكنّ عيسى بن مريم يأتّم بالإمام المهدي عليه السلام ويتحدّث مع الله تعالى بلغته.

وبعد أن يعترف الكنجي الشافعي في «البيان» بصحة الأخبار الواردة في إمامة المهدي لصلاة الجماعة والجهاد وأنّ هذا التقدم والإمامة من الأمور الاجتماعية، ينطلق في بيان مفصّل لإثبات أنّ الإمام المهدي أفضل من عيسى بهذا الملاك^(٣).

١ - بغية البحوث عن زوائد مسند الحارث، ج ١، ص ٢٦٥، الرقم ١٤٤، وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب صلاة الجماعة، الباب ٢٦، ج ٨، ص ٣٤٧، ومصادر أخرى من العامة والخاصة.

٢ - صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٤٣، صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٤، مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٧٢، سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٦١٩، المصنف عبدالرزاق، ج ٢، ص ٤٠٠، المصنف ابن أبي شيبة، ج ١، ص ٦٧٨، المعجم الاوسط، ج ٩، ص ٨٦، كنز العمال، ج ١٤، ص ٣٣٤، تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥٩٢، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٧، ص ٥٠٠، عقد الدرر، الباب ١٠ ومصادر أخرى عن العامة.

الغية للنعماني، ج ٩، ص ١٧٥، الباب ٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٢، الباب ٤٦، ج ١، روضة الواعظين، ص ٢٧٣، الاحتجاج، ج ١، ص ٥٤، الفضائل، ص ١٤٣، تفسير فرات الكوفي، ص ١٣٩، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٣١، كشف الغمة، ج ١، ص ٥٢٦، بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٧٢، ومصادر أخرى عن الخاصة.

٣ - البيان في أخبار صاحب الزمان #، ص ٤٩٨.

إنّ موسى بن عمران كان يتمنى ذلك المقام السامي من موقع علمه بهذه الحقيقة بحيث لا نحتاج لإثبات ذلك إلى رواية أو حديث؛ لأنّ إمامة المهدي لصلاة الجماعة وتقدمه على عيسى في الصلاة يكفي لتمني هذا المقام، مضافاً إلى أنّ غاية الخلقة وثمرتها بعثة جميع الأنبياء من آدم إلى النبي الخاتم يتلخص في أمور:

أ - إشراق نور المعرفة وعبادة الله في عالم الوجود وذلك بظهوره ﴿وأشرفت الأرض بنور ربّها﴾^(١).

ب - إحياء الأرض بنور العلم والإيمان كما قال تعالى: ﴿اعلموا أنّ الله يحيي الأرض بعد موتها﴾^(٢).

ج - القيام بالقسط والعدل لعامة الناس الذي يعد العلة الغائية لأرسال جميع الأنبياء وانزال جميع الكتب ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٣).

إنّ ظهور جميع هذه الآثار والمعطيات ستكون على يد قائم آل محمد ﷺ: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٤)، وهذا المقام هو ما يتمناه جميع الأنبياء من آدم إلى عيسى عليه السلام.

١ - سورة الزمر، الآية ٦٩.

٢ - سورة الحديد، الآية ١٧.

٣ - سورة الحديد، الآية ٢٥.

٤ - كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٣ و ٢٥٧ و ٢٦٢ و ٢٦٤ و ٢٨٠ و ٢٨٥ و ٢٨٨ وموارد أخرى من هذا الكتاب، الخصال، ص ٣٩٦، الأمالي للصدوق، ص ٧٨، المجلس السابع، ج ٣، ص ٤١٩، التوحيد، ص ٨٢، معاني الأخبار، ص ١٢٤، كفاية الأثر، ص ٤ و ٤٧ و ٦٠٠ و...، روضة السواعظين، ص ٣٢ و ١٠٠ و ٢٥٥ و ٣٩٢، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ج ٢، ص ١١ و...، دلائل الإمامة، ص ١٧٦ ومصادر أخرى عن الخاصة.

وورد قريب من هذا المعنى في البيان للكنجي الشافعي، ص ٥٠٥، صحيح ابن حبان، ج ١٥، ص ٢٣٧، مسند أحمد، ج ٣، ص ٢٧ و ٢٨ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٢ و ٧٠، سنن ابن داود، ج ٢، ص ٣٠٩ و ٣١٠، المستدرک علی الصحیحین، ج ٤، ص ٥١٤، وفي التلخيص. كذلك و ص ٤٦٥ و ٥٥٧ وفي تلخيص كذلك و ص ٥٥٨، مسند ابن يعلى، ج ٢، ص ٢

إنّ الإمام المهدي لقب في روايات العامة والخاصة بأنّه «خليفة الله»: «يخرج المهدي و على رأسه غمامة فيها مناد ينادي هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه»^(١)، وبمقتضى اضافة الخلافة للذات المقدّسة فإنّ هذا الإمام يعتبر آية لجميع أسماء الله الحسنى.

إنّ علو مقام هذا الإمام يتضح من خلال مقام أصحابه، حيث ذكرت بعض روايات الشيعة نماذج من ذلك: «إنّ عدد أصحابه بعدد أهل بدر»^(٢) وقد كتب على سيوفهم كلمات كلّ كلمة تعدّ مفتاحاً لألف كلمة»^(٣).

وفي مصادر السنة هناك رواية صحيحة ينقلها الحاكم النيسابوري في «المستدرک» والذهبي في «التلخيص» على شرط البخاري ومسلم ورد فيها: «لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد، يدخل فيهم على عدّة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر»^(٤)

⇒

٢٧٤، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٣١٣ و ٣١٧ و...، عون المعبود، ج ١١، ص ٢٤٨، المعجم الأوسط، ج ٢، ص ١٥ و ج ٩، ص ١٧٦، الجامع الصغير، ج ٢، ص ٤٠٢ و ٦٧٢، كنز العمال، ج ١٤، ص ٢٦١ و ٢٦٤ و...، تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٨٣٨، سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٢٥٣ ومصادر أخرى كثيرة عن العامة.

١ - كشف الغمة، ج ٢، ص ٤٧٠، كفاية الأثر، ص ١٥١، كتاب الغيبة للنعماني، ص ١٠ ومصادر أخرى عن الخاصة، المستدرک على الصحيحين، ج ٤، ص ٤٦٤ و ص ٥٤، مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٧٧، مسند الشاميين، ج ٢، ص ٧٢، سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٦٧، نور الابصار، للشبلنجي، ص ١٨٨، عقد الدرر للسلمي، ص ١٢٥ ومصادر أخرى عن العامة.

٢ - كفاية الأثر، ص ٢٧٨ باب ما جاء من النص عن الجواد عليه السلام، بحار الأنوار ج ٥١، ص ١٥٧.

٣ - الغيبة للنعماني، ص ٣١٤، الباب ٢٠، ج ٧، كمال الدين و تمام النعمة، ص ٢٦٨، كفاية الأثر، ص ٢٨٢، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٨٦.

٤ - المستدرک على الصحيحين، ج ٤، ص ٥٥٤.

فهل أن الأصحاب الذين تابعوه وصاروا معه لهم مقام قرب السابقين في قوله تعالى: ﴿والسابقون والسابقون أولئك المقربون﴾^(١) حيث إنهم سبقوا الآخرين إلى نيل الكمالات والمراتب السامية، إذن فكيف يكون مقام إمامهم وسيدهم وهو باب الله، وديان دين الله، وخليفة الله، وناصر حق الله، وحجة الله، ودليل الله؟

إن حقيقة الانتظار حسب المفهوم من اللفظ ما يقع ضد اليأس، والمراد من الانتظار هو أن يعلم الإنسان بوقوعه ويعيش الأمل في انتظار ذلك الزمان، أمّا كيفية انتظار الفرج للإمام المهدي عليه السلام سواء قبل زمان غيبته أم عصر غيبته فهو على قسمين: الأول: الانتظار القلبي، والثاني: الانتظار العملي.

وهو على مراتب ثلاث:

المرتبة الأولى: أن يعيش اليقين بظهور حجة الحق وأنه سوف يظهر قطعاً بالوعد الإلهي الذي لا شك فيه، وكلما تأخر الظهور فلا يمتلكه اليأس ولا يدخل إليه الشك.

المرتبة الثانية: أن يعتقد بأن الظهور لا يتعين بوقت خاص بحيث يملكه اليأس قبل وقوعه.

المرتبة الثالثة: أن يعيش الإنسان حالة الانتظار في كل لحظة وزمان، أي أنه يعيش الأمل بوقوع الظهور، وهو ما ورد في الرواية الشريفة: «توقعوا الفرج صباحاً ومساءً»^(٢).

وكذلك ما ورد في رواية: «... يأتي بغتة فجأة»^(٣).

١ - سورة الواقعة، الآية ١١ - ١٠.

٢ - كتاب الغيبة، الطوسي، ص ٤٥٧، الغيبة، النعماني، ص ١٦١.

٣ - الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٤٩٥.

وأيضاً ما ورد في رواية أخرى: «... ثم يقبل كالشهاب الثاقب»^(١).
وجاء في عبارة من الدعاء: «...إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً»^(٢). وأمثال ذلك.

وهذه المرتبة واجبة وتتصل بها حقيقة الإيمان وعدمها يوجب الكفر والضلالة في واقع الحال والباطن وإن كان حسب الظاهر محكوماً بأحكام الإسلام، ولذلك ستكون عاقبته في جهنم مع الكفار؛ لأنه أنكر أمر الإمام وإن كان يقرّ بالتوحيد والرسالة ظاهراً. والدليل على ذلك الآيات والروايات الكثيرة كما اشرنا إلى بعضها.

فإنّ الاستفادة من الآيات والروايات بعد الوعد الإلهي الوارد في بعض الآيات القرآنية^(٣) وحسب الأدلة العقلية والنقلية^(٤) أنّ الأشخاص الذين يستحقون الخلافة والوراثة النبوية والولاية الإلهية ينحصرون في اثني عشر إماماً. وقد وردت أسماؤهم ونسبهم وصفاتهم في النصوص الدينية والأخبار المتواترة.

والاعتقاد بهذه المرتبة واجب أيضاً ولكن عدمه يوجب الفسق فقط، وذلك لتحقيق اليأس المحرم الذي ورد النهي عنه، وهذه الحرمة بمقتضى تكذيب القانون الإلهي «الأشخاص الذين يعينون وقتاً للظهور».

وهذه المرتبة تختص بكمال الإيمان وعدمها يوجب نقصان الإيمان، إذن فلازم كمال الإيمان للمؤمن، حسبما ورد في الأحاديث الكثيرة، أن ينتظر الفرج ويعتقد بأنه قريب ويتوقع الظهور في كل وقت، ويكون حال المؤمن

١ - كمال الدين، الصدوق، ج ١، ص ٢٨٧، بحار الأنوار، المجلسي، ج ٣٦، ص ٣٠٩.

٢ - مصباح الكفعمي، ص ٥٥١، بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٤١.

٣ - ر.ك: هذه المقالة، ص ٢-٤.

٤ - ر.ك: هذه المقالة، ص ٨-١٠.

حال الشخص الذي أخبروه بمجيء مسافر، وأن ذلك المسافر في طريق عودته إلى دياره، هذا المؤمن يعيش كل يوم بانتظار رؤية ذلك المسافر العائد من السفر حيث يحتمل وجود موانع أدت إلى تأخر وصوله.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن يهيب نفسه لملاقاة الإمام عند ظهوره ويتحلى بالآداب اللائقة للقاء الإمام.

عندما يزرع الفلاح أرضه ويسقيها فإنه يحتمل وجود آفات أرضية وسماوية تقضي على زرعه، فيدعو الله تعالى لحفظ ذلك الزرع من الآفات، ومع ذلك ينتظر ويتوقع زمان ظهور المحصول.

وكما أن النعم والمواهب الإلهية في الدنيا لا بد لها من أسباب وعلل لتحصيلها كما في غرس النبات وبنو البذور وسقيها كمقدمة لظهور المحصول والثمار والأزهار المختلفة، كذلك الحال في انتظار الفرج وظهور الإمام الذي يعتبر وسيلة لظهور النعم الإلهية، فهناك أسباب مقررة لا تحصل إلا بيد العباد، وهذه الأسباب عبارة عن التقوى والأعمال الصالحة، كما ورد في الآية الشريفة: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾^(١).

وأما الموانع والآفات التي تمنع من ظهور الإمام عليه السلام فتتلخص في الأعمال القبيحة والذنوب المنكرة التي يرتكبها الناس، والأشنع منها هو إفشاء أسرار آل محمد عليهم السلام وعدم التزام التقية من أعدائهم، فإن ذلك من أهم عوائق ظهور الإمام. ولذلك ينبغي على المؤمن أن يتوب من جميع ذنوبه وآثامه ويسأل الله تعالى رفع جميع آثارها، وفي هذا الحال ينتظر الفرج

ويتوقع زمان نضج الثمار، أي زمان ظهور الإمام عليه السلام، وهذا المعنى من الانتظار البدني بخصوصياته الكاملة يعدّ من لوازم كمال الإيمان.

ومن هنا نرى من المناسب في ختام هذه المقالة أن نشير إلى أهم العوامل المؤثرة في توطيد حكومة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله تمهيداً لظهور المهدي الموعود عليه السلام وتشكيل حكومته العالمية:

١ - الإيمان والتوكل على الله تعالى: حيث يبعث في الإنسان اطمئنان القلب والاعتماد على النفس ويمنح روح الإنسان صفاء وقوة تزيل أمامها الموانع المختلفة في طريق إقامة العدل، ومثل هذه الروحية والمعنوية والاطمئنان القلبي لا يحصل في واقع الإنسان إلا في ظلّ الإيمان بالله والتوكل عليه والارتباط معه بواقع الدعاء والمناجاة.

٢ - جاذبية القرآن وحقانية الإسلام: إنّ الحقائق النورانية والتعاليم الدينية في القرآن والدين الإسلامي منسجمة تماماً مع العقل والوجدان، ولذلك تخلق في روح الإنسان جاذبية قوية نحو القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية التي تقود الإنسان في خط السعادة.

٣ - رعاية الأخلاق وحقوق الآخرين: لعله بالإمكان القول إنّ أهم العوامل التي أدت إلى تأخر المسلمين هو عدم العمل بالتعاليم الأخلاقية للإسلام، بل العمل على عكسها والتحرك في خط الكراهية والعداء للآخرين، ومن الضروري جداً في عصرنا الحاضر أن يعيش المسلمون الأخلاق الحسنة والمحبة والتواضع وصفاء القلب والمواساة وغير ذلك من القيم السامية، التي يتألم المجتمع الإسلامي في هذا الزمان من فقدانها، الواردة في تعاليم القرآن الكريم والروايات الشريفة.

٤ - العلم واستخدام العقل: بلا شك أنّ العلم يساهم مساهمة فعّالة في معرفة الحقائق الموجودة على أرض الواقع الاجتماعي، فيما يمثله من

إمكانات، أولويات، قابليات و ضرورات، لغرض تحقيق التقدم ونبيل الحكومة المثالية العالمية للإسلام.

فالحكمة هي: المناظرة بأدوات الاستدلال والبرهان المنطقي.

والموعظة الحسنة عبارة عن: النصائح التي تتسلم بتحريك العاطفة والاحساس القلبي.

وأما الجدل الحسن فهو عبارة عن: مناقشة الطرف الآخر على أساس احترام الرأي الآخر وبتدافع من حسن النية، حيث تساهم هذه الأمور في تجسيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حركة الحياة والواقع. «ما رأينا مثل حجّتك يا محمد، نشهد أنّك رسول الله». وقد ذكر في الاحتجاج مشروح هذه المناظرات^(١)

٥ - الصبر والاستقامة والشجاعة: إنّ هذه القيم الأخلاقية من الصبر والاستقامة والجرأة والشجاعة تمثل عوامل مهمة في سبيل تقوية الحركة في خط المسؤولية، وتعدّ من الامتيازات الفردية والاجتماعية للمسلمين تمنحهم القدرة على إيجاد الحلول لما يواجهونه من تحديات صعبة في واقع الحياة، فلولا ملكة الصبر والاستقامة والشجاعة لدى المسلمين في صدر الإسلام، لكان الإسلام في خبر كان ولم يصل إلينا هذا الدين السماوي.

٦ - التعاون في جميع الأمور: إنّ مسألة التعاون على البر والتقوى في المجالات الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية على أساس قاعدة الاخوة الإسلامية تبعث على الوحدة بين المسلمين وتمنحهم الانسجام والتكاتف، وبذلك تمهد لخلق مستقبل مشرق للأجيال اللاحقة.

١ - الاحتجاج للعلامة الطبرسي، ج ١، من ص ١٦ إلى ٢٤.

٧ - الاهتمام بطبقة المستضعفين: إنّ الاهتمام بأمور المستضعفين وتأمين حاجتهم المعيشية وقرار العدالة الاجتماعية تعتبر من العوامل المؤثرة في توطيد أركان الحكومة العالمية للمستضعفين.

مصادر البحث:

١. في انتظار ققنوس، السيد هاشم العميدي، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.
٢. شمس المغرب، محمّد رضا الحكيمي، ص ١٥٣ - ١٨٥.
٣. شمس المستور، السيد رضا الصدر وآخرين، ص ١٢٥ - ١٢٨.
٤. تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٤٤ (في ترجمة محمّد بن خالد الجندی). الغيبة للنعماني، ص ٧٥، الباب ٤، ح ٩.
٥. نور الأبصار، ص ١٨٩.
٦. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٦.
٧. الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٣٣٨.
٨. نزهة الناظر، ص ١٢.
٩. البيانات، ص ١٦١.
١٠. ثقافة الفرق الإسلامية، محمّد جواد مشكور، ص ٢٧٩.
١١. تاريخ علم الكلام والمذاهب الإسلامية، علي محمّد الولوي، ص ٢٣٢.
١٢. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٧٨ - ٨٩.
١٣. النجم الثاقب، الميرزا حسين الطبرسي النوري، الباب السابع، ص ٢٠٧ - ٤١٢.
١٤. تاريخ عصر الغيبة، السيد مجيد بور الطباطبائي، ص ١٧٦ - ١٨٠.
١٥. التشيع في مسير التاريخ، ص ٣١٢ - ٣٢٩.

١٦. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر، ص ٦٩.
١٧. بغية البحوث عن زوائد مسند الحارث، ج ١، ص ٢٥٦، الرقم ١٤٤، وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب صلاة الجماعة، الباب ٢٦، ج ٨، ص ٣٤٧، ومصادر أخرى من العامة والخاصة.
١٨. صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٤٣، صحيح مسلم، ج ١، ص ١٦١٩، المصنف عبد الرزاق، ج ٢، ص ٥٠٠، عقد الدرر، الباب ١٠ ومصادر أخرى عن العامة.
١٩. الغيبة للنعماني، ج ٩، ص ١٧٥، الباب ٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٢، الباب ٤٦، ح ١، روضة الواعظين، ص ٢٧٣، الاحتجاج، ج ١، ص ٥٤، الفضائل، ص ١٤٣، تفسير فرات الكوفي، ص ١٣٩، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٣١، كشف الغمة، ج ١، ص ٥٢٦، بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٧٢ ومصادر أخرى عن الخاصة.
٢٠. البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام، ص ٤٩٨.
٢١. عقد الدرر، الباب ١، ص ٢٦.
٢٢. كمال الدين وتمام النعمة.
٢٣. ص ٣٣ و ٢٥٧ و ٢٦٢ و ٢٦٤ و ٢٨٠ و ٢٨٥ و ٢٨٨ وموارد أخرى من هذا الكتاب، الخصال ص ٣٩٦، الأمالي للصدوق، ص ٧٨، المجلس السابع، ج ٣، ص ٤١٩، التوحيد، ص ٨٢، معاني الأخبار، ص ١٢٤، كفاية الأئمة، ص ٤ و ٤٧ و ٦٠٠ و...، روضة الواعظين، ص ٣٢ و ١٠٠ و ٢٥٥ و ٣٩٢، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ج ٢، ص ١١ و...، دلائل الإمامة، ص ١٧٦، ومصادر أخرى عن الخاصة.
٢٤. وورد قريب من هذا المعنى في البيان للكنجي الشافعي، ص ٥٠٥، صحيح ابن حبان، ج ١٥، ص ٢٣٧، مسند أحمد، ج ٣، ص ٢٧،

و٢٨ و٣٦ و٣٧ و٥٢ و٧٠، سنن ابن داود، ج٢، ص٣٠٩ و٣١٠،
المستدرک علی الصحیحین، ج٤، ص٥١٤، وفي التخليص. كذلك و ص
٤٦٥ و ٥٥٧ و في تلخيص كذلك و ص ٥٥٨، مسند ابن يعلى، ج٢،
ص ٢٧٤، مجمع الزوائد، ج٧، ص ٢١٣ و ٣١٧ و...، عون المعبود، ج١،
ص ٢٤٨، المعجم الأوسط، ج٢، ص ١٥ و ج ٩،
ص ١٧٦، الجامع الصغير، ج٢، ص ٤٠٢ و ٦٧٢، كنز العمال، ج ١٤،
ص ٢٦١، ٢٦٤ و...، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص ٨٣٨، سير أعلام النبلاء،
ج ١٥، ص ٢٥٣ و مصادر أخرى كثيرة من العامة.

٢٥. كشف الغمة، ج٢، ص ٤٧٠، كفاية الأثر، ص ١٥١، كتاب الغيبة
للنعماني، ص ١٠ و مصادر أخرى عن الخاصة، المستدرک علی الصحیحین،
ج٤، ص ٤٦٤، و ص ٥٤، مسند أحمد، ج٥، ص ٢٧٧، مسند الشاميين،
ج٢، ص ٧٢، سنن ابن ماجه، ج٢، ص ١٣٦٧، نور الأبصار، للشبلنجي
ص ١٨٨، عقد الدرر للسلمي، ص ١٢٥، و مصادر أخرى عن العامة.

٢٦. كفاية الأثر، ص ٢٧٨ باب ماجاء من النص عن الجواد عليه السلام، بحار
الأنوار ج ٥١، ص ١٥٧.

٢٧. الغيبة للنعماني، ص ٣١٤، الباب ٢٠، ح ٧، كمال الدين وتمام النعمة،
ص ٢٦٨، كفاية الأثر، ص ٢٨٢، بحار الأنوار، ج ٥٢،
ص ٢٨٦.

٢٨. كتاب الغيبة، الطوسي، ص ٤٥٧، الغيبة، النعماني، ص ١٦١.

٢٩. الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٤٩٥.

٣٠. مصباح الكفعمي.

٣١. بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٥٢، ص ٣٥٢.

٣٢. الاحتجاج للعلامة الطبرسي، ج ١، من ص ١٦ إلى ٢٤.

الأفاق الرحبة أمام العقيدة المهدوية

محمد حسين حكمت

المقدمة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

وقال جل وعلا: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٢).

قدم علماءنا الماضون بحوثاً غنية ومفيدة حول فكرة المهدوية غطت جميع جوانبها المطروحة في أزمتهما الماضية، فتحدثوا عن الإمام المهدي عليه السلام وولادته وغيبته الصغرى والكبرى، كما تحدثوا عن الإعداد لظهوره، والعوامل ذات التأثير المباشر وغير المباشر في تعجيل أو تأخير هذا الظهور^(٣).

١ - سورة الأنبياء ٢١، الآية ١٠٥.

٢ - سورة النور ٢٤، الآية ٥٥.

٣ - هناك مئات من الكتب والمقالات كتبها علماء ومفكرون قدماء ومعاصرون من الفريقين حول مسألة الإمام المهدي عليه السلام والرجعة، نشر هنا إلى البعض منها على سبيل المثال لا الحصر.

فمن الكتب القديمة: إثبات الرجعة للفضل بن شاذان المتوفى (٢٦٠ هـ)، و الرجعة للشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، والفصول العشرة للشيخ المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، و الغيبة للشيخ الطائفة الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، و إثبات الرجعة للمعلامة الحلبي المتوفى (٧٢٦)، وغيرها.

ومن كتب العصور المتأخرة: الإيقاظ من اضجعة بالبرهان على الرجعة للحزب العاملي المتوفى (١١٠٤ هـ)، و إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب للشيخ علي اليزدي الخائري المتوفى (١٣٣٣ هـ)، و الإمام الثاني عشر للسيد محمد سعيد

ولا شك أنّ من عوامل تعجيل الظهور هو انتشار العقيدة المهدوية في أرجاء المعمورة وزيادة أعداد المؤمنين بها والعاملين وفقاً لتعاليمها، وتقوية شوكتهم، ممّا يعني ارتفاع الأسباب التي أدت إلى الغيبة، والمتمثلة بانتشار الفساد بين الناس، والذي بزواله ترتفع موانع الظهور ويتحتم حصوله^(١). وقد أفرزت التطوّرات التي شهدتها العالم في العصور المتأخرة ظواهر جديدة لم تجابه علماءنا الماضين، فلم يبحثوا فيها؛ ممّا يستدعي من الباحثين أن يشحذوا أقلامهم في دراستها وتسليط الأضواء عليها. وهذا المقال المختصر يسعى لتأشير ملامح بعض هذه الظواهر، وبيان مدى إمكانية استثمارها من قبل أنصار العقيدة المهدوية في الدفاع عن هذه العقيدة وتأكيد مصداقيتها وقابليتها على تلبية طموحات البشرية الساعية إلى الخلاص من ربقة ما يكبلها من قيود تمنعها من السموّ والانطلاق نحو الآفاق التي قدرها الله لها.

⇒

الموسوي (ن ١٣٨٠ هـ)، وحياة الإمام المهدي للشيخ باقر شريف القرشي المتوفى (١٤٣٣ هـ)، و الرجعة في أحاديث الفريقين للشيخ نجم الدين الطبرسي، وغيرها.

أما أهل السنة فلم يعدوا من أدلى بدلوه في هذا البحر الزاخر، وكان من ثمار ذلك عدداً من الكتب والبحوث، منها: كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان للشيخ الحافظ الكنجي الشافعي، و مطالب السؤول في مناقب آل الرسول للشيخ كمال الدين بن طلحة الشافعي، و تذكرة خواص الأمة للشيخ الحافظ ابن الجوزي.

١ - قال الإمام الباقر عليه السلام: « إذا اجتمع للإمام عدة أهل بدر - ثلاثمائة وثلاثة عشر - وجب عليه القيام والتغيير ». المغربي، دعائم الإسلام، ج ١، ص ٣٤٢.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: « من ستره أن يكون من أصحاب القائم، فليتنظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا ». النعماني، الغيبة، ص ٢٠٧.

أما الإمام المهدي عليه السلام فقد قال في توقيعه الشريف للشيخ المفيد: «... ولو أن أشياعنا - وفقهم الله لطاعته - على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتمجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يجسنا عنهم إلا ما يتصل بنا ممّا نكرهه ولا تؤثره منهم... ». الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٢٥.

جذور فكرة المهدي:

يقول المفكر المظلوم الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته الله:

« ليس المهديّ تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابع دينيّ فحسب، بل هو عنوان لطموح اتّجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطريّ أدرك الناس من خلاله - على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب - أنّ للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض، تُحقّق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائيّ، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مرّ التاريخ استقرارها وطمأنيتها بعد عناءٍ طويل. بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبيّ والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتدّ إلى غيرهم أيضاً، وانعكس حتّى على أشدّ الإيديولوجيات والاتّجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيّات، كالمادّية الجدليّة التي فسّرت التاريخ على أساس التناقضات، وآمنت بيوم موعود تُصفّى فيه كلّ تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام. وهكذا نجد أنّ التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارستها الإنسانية على مرّ الزمن من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الإنسان»^(١).

عاشت الإنسانية عبر التاريخ مآسٍ قاسية ومحنّاً شديدة نتيجة الأطماع والاضطهاد والاستعباد والحروب التي واجهتها المجتمعات على امتداد التاريخ.

ولو تصفّحنا تاريخ الإنسان الاجتماعي والسياسي منذ أن وطأت قدماه الأرض إلى يومنا هذا لوجدناها صفحات تاريخية مليئة بالأحداث

١- الصدر، بحث حول المهدي، ص ٩.

المؤلمة والنزاعات الوحشية، عدا ما تخللتها من فواصل قصيرة - تشبه استراحات المحاربين - تميّزت بالهدوء والراحة النسبية التي وفّرتها الرسائل السماوية في فترات قصيرة متباعدة لا تكاد تشكل شيئاً في سجلّ التاريخ الأليم.

فمن جريمة قابيل بحق أخيه هابيل، إلى جبروت فرعون وطغيانه، ونمرود وتجبره وتعالیه، وإلى يومنا الحاضر هذا، عاش الإنسان شتى أنواع العذاب الذي أنتجته التفرقة والعنصرية والنزاعات القومية والطبقية ومصادرة الحقوق وغيرها، والتي كان القاسم المشترك الوحيد بينها هو الظلم.

نعم، مرّت على البشر قرون طويلة كان الحاكم الأوّل فيها هو السيف والغطرسة والعنف، فمن أحسّ في نفسه القوّة والقدرة والفرصة المواتية على كسر إرادة الآخر والتجاوز على ممتلكاته، لم يدّخر وسعه في اغتنام هذه الفرصة والانقضاض على فريسته دون رادع من دينٍ أو أخلاقٍ أو رحمة. فكانت هذه السمة هي الغالبة؛ إن على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات والممالك.

وأمام هذه البانوراما المأساوية التي تعكس واقع البشرية على مدى العصور المتهادية، لا بدّ للمرء من التساؤل عن إمكانية استمرار العلاقات الإنسانية على هذا المنوال؟ أم أنّ هناك ما يمكن للإنسان أن يعلّق عليه آمال الخلاص والإنقاذ؟

بلى، لقد مرّت فترة طويلة على البشرية صارت أنظارها تتجّه نحو تأسيس المؤسسات والكيانات التي تقنّن العلاقات بين الجماعات والدول وتدافع عن ما أسمته بالقضايا الإنسانية، فشكّلت المؤسسات الدولية التي تبنت الدفاع عن هذه القوانين ورفعت شعارات حقوق الإنسان وأمنه

واستقلاله، كالأُمم المتّحدة ومجلس الأمن الدولي والمنظّمات الدوليّة العديدة التي سنّت القوانين والبروتوكولات والمواثيق العديدة بهدف تنظيم العلاقات بين الدول وتأطيرها بأعرافٍ وقنواتٍ دبلوماسيةٍ عليها تنظّم هذا التنافس وتسوقه إلى مجارٍ بعيدةٍ عن الأساليب العنيفة وسفك الدماء.

ولكن، هل استطاعت هذه المؤسّسات وقوانينها ومواثيقها المادّية الصرفة أن توفر حياة الاستقرار والأمن للإنسان؟ وهل يصحّ أن نتوقع من الشعوب أن تستمرّ في تعليق آمالها على مثل هذه المنظّمات والمواثيق؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال، لنلقِ نظرةً على القرآن الكريم نستقرئ فيها كيف يؤرّخ للمسيرة البشرية، ثمّ نعود للإجابة على هذا السؤال.

القرآن ومراحل مسيرة الإنسان عبر الأعصار المختلفة:

يلاحظ القارئ لكتاب الله المجيد أنّه يذكر أربعة مراحل متميّزة في تاريخ الإنسان، هي:

- ١ - مرحلة الميثاق الفطري^(١)، وهي تبدأ بنبيّ الله آدم عليه السلام.
- ٢ - مرحلة الشهادة^(٢)، حيث يكون الأنبياء شهداء على أهمهم^(٣)، وتبدأ هذه المرحلة بنبيّ الله نوح عليه السلام.

١ - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. سورة الأعراف ٧، الآية ١٧٢

٢ - ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾. سورة البقرة (٢)، الآية ٢١٣.

٣ - ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. سورة النساء ٤، الآية ٤١.

٣ - مرحلة الإمامة^(١)، وتبدأ بنبي الله إبراهيم عليه السلام.

٤ - مرحلة الوراثة^(٢)، وتبدأ بظهور الإمام المهدي من آل محمد عليه السلام.

وهذا الترتيب يؤشر بدايات المراحل فقط، إذ تتداخل في امتداداتها، حيث يضاف العامل الجديد إلى ما سبقه من عوامل، حتى اجتمعت العوامل الثلاثة الأولى عندما جعل الله إمامة الناس لإبراهيم عليه السلام، وهي مستمرة حتى تبدأ المرحلة الرابعة بقيام المهدي من آل محمد عليه السلام^(٣).

لقد كان الميثاق في المرحلة الأولى هو الإقرار لله بالربوبية والعبودية له من الناحية التكوينية، والإذعان لطاعته من الناحية التشريعية. ثم بدأ الفساد يدب في الفطرة البشرية نتيجة اختلاف الناس في ما بينهم، فأرسل الله أنبياءه شهداء على الناس. ولما اختلف الناس هذه المرة في طاعة هؤلاء الشهداء لم تعد الشهادة كافية فجعل الله عليهم إماماً يتصدى لقيادتهم.

فهل وفي الإنسان بعهدده وميثاقه الذي واثق به ربه؟ وهل ترك الخلاف والنزاع والخصام مع بني جنسه؟ وأخيراً هل أطاع أنبياءه وأئمته؟ كلا، لقد اغتر بعقله الصغير، ظاناً أنه يستطيع به فتح ما شاء، والتغلب على ما شاء، وقهر ما شاء؛ فأجهدته في اقتراح أنظمة ظن أنها كفيلة بإيصاله إلى اليوم الموعود، يوم الرفاه والطمأنينة والسلام... ولكن هيهات هيهات، إن

١ - ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
سورة البقرة ٢، الآية ١٢٤.

٢ - ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. سورة الأنبياء ٢١، الآية ١٠٥.

٣ - راجع: الأصفي، مراحل تاريخ الإنسان في القرآن، مجلة الفكر الإسلامي، العدد ١٠، ص ٣٩.

هو إلا خَبَطُ في ظلام، وجريُّ نحو سراب.

هنا نعود إلى التذكير بسؤالنا الذي أجَلنا الإجابة عليه، فنقول: كلاً، إنَّ البشريَّة لا بدَّ أن تثوب إلى رشدِها وترجع إلى معين فطرتها الصافي، وتعي أنَّها في محض شهودٍ عليها، وأنَّ عليها الانصياع لتعاليم وتوجيهات أئمتِّها، وعدم الاعتراض بإمكانياتها العقلية المحدودة.

إنَّ مَنْ ينكر فائدة تطبيق ما سنَّته البشريَّة عبر تاريخها الطويل من قوانين واتفاقيات ومقررات دولية تسعى للحدِّ من غلواء غرائز الطغيان والفوضى والظلم والهوى هو كمن ينكر الشمس في رابعة النهار، ولكن القضية الأهمَّ هي الإجابة على سؤال هل إنَّ الاتِّكال الكلي على هذه القوانين الوضعية فقط يكفي لتوفير الأمن والسعادة والاستقرار لبني البشر؟ أم لا بدَّ من أن يرافق تطبيقها اعتقادٌ راسخ بربوبية الربِّ وعبودية العبد وتطبيق ما يستتبع ذلك من أحكام والتزامات لا تتناقض مع العقل ولكن ليس من الضرورة أن يكون العقل هو المبادر إلى إصدارها وتقنينها؟

نقاط الضعف تنخر هياكل الأنظمة الوضعية وتقوضها:

١ - دور العلوم والتقنية في تحقيق المستقبل المنشود:

بالغ البعض في تعليق الآمال على العلم والتقنية الصناعية الحديثة لإيصال المجتمعات البشرية إلى السعادة والرفاه... وقالوا: إننا لو تجاوزنا قمم العلم العليا التي تتمثل في تفجير الذرة والصعود إلى الكواكب وتأسيس العقل الإلكتروني وما شابهها، وحاولنا النزول إلى الفوائد الاجتماعية التي يمكن للعلم أن يحققها لرأينا الشيء الكثير... فهناك الأجهزة المنزلية على اختلاف أنواعها لتذليل مصاعب الحياة المنزلية،

وهناك وسائل الإعلام التي تنقل الأفكار من أقصى الأرض إلى أقصاها في لحظات، وهناك وسائل المواصلات التي تقصّر المسافات وتجعل العالم قرية صغيرة، وهناك الآلات الزراعيّة التي تقلّل الجهد وتزيد في الإنتاج، وقل نفس الشيء في تحسين الإنتاج الحيواني وتطويره وتوسيعه، وفي الطبّ وانتصاراته على الأمراض وزراعة الأعضاء البشريّة، وقل وقل في تربية الجيل الناشئ وفي الهندسة العمرانيّة، وما إلى ذلك من جوانب العلم الاجتماعيّة.

أمّا الجانب الفكري والثقافي فيكفي ملاحظة ما شهدته من تطوّر في علوم الذرّة والفلك والفيزياء والكيمياء وعلم التاريخ والمنطق والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع لم تكن البشريّة شهدته في أيّ وقتٍ مضى... وكلّ ذلك يؤذن بالخير والمستقبل الزاهر السعيد الذي يقوم على أكتاف العلم والعلماء.

واستمروا في خيالاتهم وأحلامهم فصوّروا تحويل الطعام والشراب إلى أقراص أو سوائل قليلة وفّرت للفرد ساعات يقضيها في إعداد الطعام وتناوله، وصوّروا تطوّر الإنسان الآلي وقيامه بالخدمات المنزليّة، وصوّروا توسيع فرص السكن للبشريّة بفتح الكواكب والنجوم المجاورة، إلى غير ذلك ممّا توقّعه من العلم ومعجزاته.

إلا أنّه مع الأسف، بل شديد الأسف، إنّ هذا لم يؤدّ إلى النتيجة المطلوبة؛ فكلّ هذه التطوّرات العلميّة حصلت، بل حصل أكثر منها، لكنّ ذلك لا يعني بحال أنّ العلم وحده يمكنه أن يضمن السعادة والعدل بين الناس، وإذا أصحرتنا على ذلك، فهذا يعني الوصول إلى نتائج وخيمة مروّعة في غاية السوء والإجحاف:

أولها: أنّه يمكن للعلم أن يكرّس طاقته الهائلة في فناء البشريّة

وإضرارها إلى حدّ كبير. فمقابل تلك الأجهزة المنزليّة هناك الأسلحة الفتّاقة والسموم القاتلة ووسائل التعذيب القاسية.

ب - ومنها: أنّ هذا الرفاه يكون خاصّاً بالتموّلين الذين يستطيعون استغلال النتائج العلميّة في مصلحتهم، دون الأعمّ الأغلب من الناس الذين لا يتجاوز نصيبهم فئات المنجزات العلميّة.

ج - ومنها: أنّ العلم إذا لم ينضمّ إلى القانون الصالح لا يمكن أن يضمن زوال الاعتداء بين البشر بأيّ شكلٍ من الأشكال، إذ لا ملازمة بين تطوّر العلم وتطوّر الجانب الإنساني في الإنسان.

وهكذا سقطت هذه النظريّة نظريّاً، كما لاحظنا وسنلاحظ سقوطها عمليّاً.

٢ - دور القانون في تحقيق المستقبل المنشود:

ولمّا ثبت فشل الدور الأوّل، وثبت أنّ المهمّ في الأمر هو وجود النظام الصالح والقانون العادل الذي ينسّق شؤون المجتمع البشريّة ويسهل حصولها، قالوا: إنّ القائد للبشريّة يجب أن يكون القانون، وهو الذي سيكفل للبشر مستقبلهم السعيد.

ودافعوا عن هذه الفكرة بأنّ البشريّة كانت ولا زالت تمرّ في تاريخها بتجارب ومشاكل، تكون هي الكفيل الأساس لرقّي الفكر القانوني ووصوله إلى وضع القانون العادل الذي يكفل السعادة والرفاه الدائم من جهة، ويقدم التعاريف والتفاسير بشكلٍ أدقّ وأشمل شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى درجة الفهم الكامل للعدل، وبهذا يتحقّق المستقبل المنشود الموعود للبشريّة.

ولكنّ هذا الدور أيضاً كسابقه محفوف بالمخاطر العديدة:

أ - منها: أنه يصعب تصوّر قابليّة الفكر القانوني البشري على إدراك العدل المطلق؛ لأنّ المفكر القانوني - كأبيّ إنسانٍ آخر - له مصالحه وارتباطاته وعلاقاته وموارده الاقتصادية وغير ذلك، وكلّها تضغط عليه كي يتعد عن اتّخاذ المسلك الموضوعي والتجرّد عن الأنانيّة والتعصّب.

ب - ومنها: أنّ النظرية القانونية مهما تصاعدت وتكاملت ليست وحدها الكفيلة بسيادة السعادة والعدل ما بين الناس، بل لا بدّ أن تأخذ طريقها إلى التطبيق في عالم الحياة، لتستطيع أن تؤتي ثمارها ناضجةً شهية. ولو افترضنا جدلاً نزاهة من شرّع القانون بشكلٍ كامل، فلا يمكننا افتراض تجرّد وموضوعيّة جميع من شرّع لهم في جميع الأوقات... إذن، فلا إمكانيّة لتطبيق القانون في يوم من الأيام تطبيقاً كاملاً كما هو المطلوب.

ج - ومنها: أنّ التكامل في الفكر القانوني لدى البعض، ليس تكاملاً لدى الآخرين. فما هو عدل عند هؤلاء هو ظلم عند آخرين، وما هو مصلحة عند قوم هو مفسدة لدى آخرين، وما هو تجرّد وموضوعيّة عند بعضهم هو عين الأنانيّة والتعصّب عند البعض الآخر... وهكذا.

ولمّا لم توجد الوحدة في الفكر القانوني، وإذا كان من المتعذّر وجودها؛ كان من المتعذّر وجود المجتمع العالمي العادل تحت ظلّ القانون البشري الوضعي بأيّ حالٍ من الأحوال^(١).

٣ - دور الحتمية التاريخية في تحقيق المستقبل المنشود:

وهذا الاتجاه لا نطيل التوقّف عنده لانهزامه عملياً وثبوت عدم ارتكازه على أسس صحيحة، إلاّ أنّه أثّرنا الإشارة إليه لما كان له من سطوة على

أفكار الكثيرين في زمنٍ من الأزمان، ولأنه الاتجاه الوحيد في الفكر الحديث الذي بشر بالمستقبل البشري السعيد.

ونكتفي في الحديث عنه بقولنا إنه يرى حاكمية قانون التناقض الجدلي (الديالكتيك) في جميع الأشياء، وإن ذلك يؤدي إلى قانون آخر هو (المادية التاريخية) التي تحتم مرور المجتمعات الإنسانية بمراحل معينة تبتدئ من المجتمعات الشيوعية البدائية وتنتهي بعصر الاشتراكية العلمية (الشيوعية)، وهي المرحلة المنشودة التي يسعد فيها البشر ويعيشون في رفاه. وكما يعلم القارئ فإن سقوط كل ما بناه هذا الاتجاه يوفر الدليل الكافي على عدم صحة قوانينه وتنبؤاته المناقضة تماماً لما حصل منذ بداية الثورة البلشفية في روسيا القيصرية وحتى انهيار المنظومة الاشتراكية وسقوط اتحاد الجمهوريات السوفيتية.

أمثلة واقعية على قصور العقل البشري:

إن نظرة سريعة إلى الواقع العالمي الراهن كفيلة بتبديد أي شك أو تردد في الإجابة القاطعة التي أجبناها على السؤال المتقدم الذي أخرجنا الإجابة عليه بضع صفحات، فلنبداً بإلقاء هذه النظرة.

فمن الزاوية السياسية لا يكاد الناظر يرى سوى مسرح لصراعات دموية وسجون، وثورات وانتفاضات وتظاهرات، وحروب وتكديس للأسلحة.

وإذا نظر من الزاوية الاقتصادية يرى انهيار المؤسسات الاقتصادية والبنوك وعجز الموازين التجارية، واضطراب الأسواق، وعدم استقرار أسعارها، وشيوع البطالة بين القوى العاملة.

أما من الناحية الثقافية، فحدث ولا حرج عن التحلل الخلقي وإنطلاق

الغرائز من عقابها، وشيوع الأمراض النفسية، وضعف الروابط العائليّة السليمة إن وجدت، وانتشار ثقافة العنف، والخرافات، والإدمان، والتفرقة العنصريّة.

بل وصل الأمر إلى تخريب الكرة الأرضيّة وما أنعم الله به على البشر من نظام طبيعيّ بديع، فأبدل البشر ذلك بتخريب طبقة الأوزون، وخلق مشكلة الاحتباس الحراري، وإذابة ثلوج القطبين، وانتشار التصحر والعواصف الترابيّة، وتلوّث الهواء بالسموم والغازات، وما لا يحظر على الذهن في هذه اللحظة.

ولمّا كان الإنسان قد توصل إلى حقيقة واضحة وقناعة كافية بأنّ هذه المؤسّسات لم تفلح - بل لن تفلح في المستقبل أيضاً - في توفير الحياة السعيدة الآمنة والمستقرّة لشعوب العالم المستضعفة - ولا أقصد بالمستضعفة شعوب ما اصطلح عليه سابقاً بالعالم الثالث فقط، فجميع شعوب العالم اليوم صارت مستضعفة - فلا بأس من العودة إلى ما طرحناه سابقاً من تساؤل: ما الذي يجب على الإنسان أن يفعله أمام كلّ ما ذكرناه؟ بل ما الذي يقدر عليه؟

ضرورة العودة إلى المنبع الأوّل:

إنّ الذي يجب على الإنسان فعله، والذي يقدر عليه في كلّ آن إذا أراد، هو العودة إلى المنبع الأوّل، إلى مَنْ هو أقرب إليه من حبل الوريد، إلى مَنْ يعرفه ويعرف خباياه وما توسوس به نفسه، إلى مَنْ وعده بأنّه سيستخلفه في الأرض، وسيمكّنه من دينه الذي ارتضاه له، ويبدّل خوفه بالأمن الذي طالما كان ينشده ولم يهتد إليه.

ولكن مَنْ هم الذين وعدهم الله بهذه الوعود؟ إنهم الذين آمنوا وعملوا

الصالحات.

وبماذا آمنوا؟ الذين يؤمنون بالغيب، والغائب.

وما العمل الصالح؟ «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»^(١).

هنا نستنتج أنّ المنبع الوحيد لروافد الأمل والتفاؤل هو الإسلام، الذي تضمّنت نصوصه وتعاليمه ضرورة انبثاق فجر السعادة والصبح الحقيقي في تاريخ الإنسانية، وهو وحده الذي يحمل رسالة الأمل والخلاص التي تنقذ الإنسان من العبوديّة والظلم.

أمّا حامل لواء هذا التغيير وقائد الإنقاذ والإصلاح فهو رجل من ذرّيّة من بُعث ليتمّم مكارم الأخلاق ﷺ، ومن أولاد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، ومن ذرّيّة الإمام الحسين عليه السلام؛ إنه المهدي المنتظر عليه السلام، ذلك الذي بشرت به كلّ الكتب السماويّة وأشارت إليه في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وفي أحاديث رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام، كما ذكرته أحاديث مختلفة لصحابة رسول الله، كأبي بكر وعمر وعثمان وابن عمر وسلمان وأبي ذرّ وعمّار، وزوجات رسول الله، كعائشة وحفصة وأمّ سلمة، مثلما تحدّث عنه العديد من العلماء في كتبهم، كتفاسير الطبراني والرازي والألوسي وابن كثير والدرّ المثور، والصحاح الستّة.

فكرة المهدي المنتظر وعالمنا المعاصر:

على الرغم من رصانة وقوّة المباحث المهدويّة وما بذله فطاحل العلماء منذ قرونٍ عديدة من جهودٍ جبّارة أسهمت في الإجابة على جميع التساؤلات التي كانت مطروحة في أذهان المؤمنين بالعقيدة المهدويّة ومنكريها على

١ - الشيخ الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ٦٤٤.

السواء، إلا أنّ ما شهدته السنين الأخيرة من تطوّر هائل في حركة المعلومات وما أدّت إليه من تغير عميق في مجمل الظروف والمعادلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي تحكم المجتمعات البشرية وترسم آفاق جديدة للعلاقات بين الأفراد والجماعات الإنسانية، يدعونا إلى توجيه الأنظار إلى بعض الظواهر الجديدة التي يمكن أن تلعب دوراً مهماً في تدعيم أسس العقيدة المهدوية وشحذ همم المؤمنين بها من جهة، وتمهيد السبيل أمام انتشارها في الآفاق المختلفة من جهة أخرى.

إنّ أنصار العقيدة المهدوية أمام فرصة ذهبية وفرتها لهم مجموعة من الظواهر الجديدة التي آلت إليها مسيرة التطوّر البشري وما أفرزته من معطيات غير مسبوقة.

فهذه الظواهر - إذا تمكّن المهدويون من تشخيص مواقع أقدامهم ومدى صلابة ومتانة الأرضية التي يقفون عليها وما يمتلكون من نقاط قوة نسبية على أعدائهم وتشخيص نقاط ضعف الآخر - يمكن أن تكون سبباً في تحويل أنظار الشعوب عن جميع ما كانت تلتفت إليه سابقاً وتبني عليه آمالها الزائفة بالخلاص من جميع ما يجابهها من مشاكل وويلات، كما يمكن لهذه الظواهر في مرحلة تالية أن تسهّل وتيسر عملية الحشد والتمهيد لعصر ظهور المنجي الحقيقي للبشرية.

وهنا نشير بعجالة إلى بعض هذه الظواهر، حيث نتطرق أولاً إلى الجانب الأخلاقي في عالمنا المعاصر، ثم الجانب الفكري، ثم الجانب المادي ببعديه السياسي والاقتصادي:

أ - خواء البعد المعنوي في العالم المعاصر:

شهد العصر الحالي - أو كاد - وصول الإنسان إلى آخر محطات مسيرته

في الابتعاد التدريجي عن المعنويات والتمسك بالماديات، وسقوطه من مقام العبودية لله إلى حضيض الكفر والتخبط في شرائق الذات الحيوانية. فقد صار الإنسان في هذا العصر سلعةً كبقية السلع، بعد أن مسح شخصيته بغفلته عنها وعن باريها، وانغمسه في تلبية شهوات هذه الشخصية التي لم تعد تعرف لا منشأها ولا مسيرها ولا مصيرها، حتى صار المتحدث باسمها يفتخر بأنه لا يدري ولا يعرف معنى حياته، أو لنقل: لا يعرف ربه.

« لقد زعمت الجاهلية المعاصرة في أول أمرها في عصر النهضة أنها تستطيع أن تدير ظهرها للدين ثم تظلّ تمارس الحياة بصورة طبيعية لا يعتورها نقص ولا اختلال، بل زعمت أنها حين تتخلص من الدين فستعالج ما كان في حياتها من نقص واختلال! ولقد كانت ظروفها - كما بينا من قبل - تؤدي بها إلى الانسلاخ من ذلك الدين الذي يعكّر صفو الحياة، ويعطل دفعتها، وينشر الجهالة، ويحجر على الفكر، ويحجب عن البشرية النور.

وحين بدأت أوروبا تنسلخ من دينها لم يكن في مقدورها أن تنسلخ دفعة واحدة من (القيم) التي كانت تصاحب ذلك الدين، وربما لم يكن ذلك في نيتها في مبدأ الأمر.

فراح القوم - مخلصين في ما نحسب - يبحثون عن مصدر آخر للقيم التي لا يمكن أن تعيش بدونها البشرية.

ولكن التجربة العلمية أثبتت أنه لا يوجد مصدر حقيقي للقيم غير الدين!

قالوا: العقل... وقالوا: الطبيعة... وقالوا: النفس البشرية... وقالوا: العلم... وقالوا: الفلسفة... وقالوا كل ما يخطر في بالهم... ثم خرجوا من

ذلك كله بما وصلوا إليه آخر الأمر: القلق والجنون والضياع والحيرة والأمراض النفسية والعصبية والانتحار والخمر والمخدرات والجريمة والانحلال والمسخ الذي يشوه الفطرة، والهبوط الخلقي والفكري والروحي في كل ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية... على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب والدول كلها على السواء! وتحوّل الإنسان إلى آلة للإنتاج المادي في صباحه، وحيوان هائج في الليل يبحث عن المتاع الحسي الغليظ، ويبحث عنه أحياناً في تبدّل يتعفف عنه بعض أنواع الحيوان!

... و(العقلاء) في الجاهلية المعاصرة بدأوا يتخوفون على أقوامهم من الدمار المؤكد إن لم يغيروا حياتهم من قواعدها.

... وقال (جون فوستر دالاس) وزير خارجية أمريكا في كتاب «حرب أم سلام»: إن هناك شيئاً ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج، وفي هذه الحالة النفسية. ولا يجدر بنا أن نأخذ موقفاً دفاعياً وأن يملكنا الذعر... إن ذلك أمرٌ جديد في تاريخنا!

إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الأشياء المادية. إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي، فبدونه يكون ما لدينا قليلاً... وهذا النقص لا يعوّضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم، أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم، أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، أو القنابل مهما بلغت قوتها! فمتى شعر الناس بالحاجة إلى الاعتماد على الأشياء المادية فإن النتائج السيئة تصبح أمراً حتمياً.

وفي بلادنا لا تجتذب نظمتنا الإخلاص الروحي اللازم للدفاع عنها، وهناك حيرة في عقول الناس وتآكل لأرواحهم؛ وذلك يجعل أمتنا معرضة للتغلغل المعادي - كما كشف عنه نشاط الجواسيس الذين تمّ كشفهم حتى

الآن - ولن تستطيع أي إدارة لمكافحة التجسس أن تقوم بحمايتنا في هذه الظروف»^(١).

هنا تبرز الفرصة أمام المهديين الذين يجب عليهم الاتكاء على ما أودعه الله من فطرة لدى هذا الإنسان، تلك النقطة المصونة عن أدران ما أشرنا إليه من ضياع وجهل، فينتشلون الإنسان من دوامة عجز هذه الحضارة البشرية الجديدة المزعومة وما أنتجته من خواء مدمر لا يشك أحد في عجزه عن إغناء حياة الإنسان المعاصر؛ ويضعونه على طريق الخلاص المتمثل برجوعه إلى الدين والإيمان بالغيب، الذي سبق أن ألمحنا إلى أن من أهم مفرداته الإيمان بالغائب.

ب - هزيمة المدارس الفكرية العالمية:

بالغت كل واحدة من المدارس الفكرية المعاصرة - على اختلافها - في تركيز الأنظار وتعليق الآمال على جانب واحد من جوانب الحياة البشرية، كالعقل أو العلم أو المادة أو غيرها، فألتهته أو كادت أن تؤلّهه، وتغافلت عن الدين وما يرتبط به من الأمور المعنوية، ورقصت في عصر النهضة الأوربية على إيقاعات اختراعات العلم والتكنولوجيا.

وماذا كانت نتيجة قرونٍ من السير خلف هذه الآمال والوعود؟ أيمن الإذعاء بأنها حققت للإنسان ما كانت تعدّه به من اطمئنانٍ نفسيٍّ أو سلامٍ حقيقيٍّ؟

لا يجد الناظر بعد كل هذه القرون المتهادية إلا تفرعن المادة وامتداد أذرعها الأخطبوطية إلى أغلب - إن لم نقل جميع - زوايا حياة الإنسان

١ - محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص ٦٤٢ - ٦٤٦.

وخصوصياته، وهيمنة التكنولوجيا على مسرح الحياة هيمنة طاغية أدت إلى ما نشهده اليوم من كوارث مادية ومعنوية بدأت تنصب واحدة بعد الأخرى على رؤوس المجتمعات البشرية، ولم يسلم منها لا المجتمعات المتقدمة ولا المتخلفة ولا التي كانوا يطلقون عليها اسم المجتمعات السائرة في طريق التنمية.

وهنا يتساءل الإنسان: وماذا بعد كل هذه المدارس؟ هل يصح الاستمرار في السير خلف هذا السراب؟ أم يجب على الإنسان أن يستمر في الاتكال على فكره القاصر ويتنظر منه اختراع حلول جديدة - أو آلهة جديدة - ينبغي عليه أن يجربها مرة أخرى ليكتشف بعد حين أنه قد عاد إلى حيث النقطة التي انطلق منها، إن لم يكن قد تراجع إلى الوراء؟

وهنا تبرز الفرصة مرة أخرى أمام العقيدة المهدوية كي تأخذ بيد هذا الإنسان المتعب المحبط وتضعه على طريق الخلاص الذي لا يهمل جانباً من جوانب الطبيعة البشرية بذريعة رعايته المفرطة لجانب آخر... طريق يوفر الاطمئنان الذي ما فتى الإنسان يجده ويجهد في البحث عنه دون جدوى، وترتفع به الموانع أمام الأرض كي تُخرج كنوزها وتلقيها أمام هذا الإنسان وفي خدمته.

ج - ظهور عجز العولمة ومساوئها:

عند ظهور مفهوم العولمة في القرن العشرين، انتعشت آمال المحبطين بيزوغ فجر جديد تختفي معه كل مظاهر الظلم والتخلف والفوضى التي كانت البشرية تعاني منها آنذاك.

ولكن هل تحقق الاختفاء؟ نعم، حصل اختفاء ولكنه ليس اختفاءً للظلم والفقر وبقية أفراد عائلتهما، بل اختفاء الإنسانية وانزواء الأخلاق.

لقد أشرنا سابقاً إلى ما تعانيه البشرية اليوم من أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، كان للعولمة اليد الطولى في جعلها أزمات عالمية لا تسلم منها زاوية من زوايا المعمورة مهما بعدت أو نأت.

لم يعد ممكناً بعد هذه العولمة أن تبقى إحدى الأزمات محصورة بمكانها ومحدودة بالحدود الجغرافية أو الإدارية أو القومية، بل العالم اليوم حلقات متصلة ببعضها متشابكة بحبال نسجتها قوى طاغية متجبرة وشركات عالمية متعددة الجنسيّة وشبكات إرهابٍ عالمية وتنظيمات سياسية تتخطى الحدود المتعارفة في العصور السابقة.

لقد أنتجت العولمة التي بشر بها زيبغنيو بريجنسكي في كتابه «المجتمع العالمي» الصادر في العام ١٩٧٠م ظواهر صارت اليوم مكوّناً أساسياً من مكوّنات الخريطة العالمية الراهنة، ولم تعد كما كانت في مرحلة ما قبل العولمة مشكلات صغيرة محدودة بحدودها الزمانية أو المكانية.

ويكفي للتدليل على ما نقول أن نشير إلى ما تشهده الأوضاع الاقتصادية العالمية من شيوع للفقر والبطالة، وانتشار الأمراض الجديدة مستحيلة أو صعبة العلاج، والاستثمار الظالم للطبيعة وتخریب البيئة، وعصابات تجارة وتهريب الأعضاء البشرية، وتهريب الأطفال والمتاجرة بهم، وتهريب النساء واستغلالهن في شبكات الدعارة، وتجارة المخدرات والأسلحة، والنفائات السامة والمشعة، وغير ذلك مما لا يسمح حجم هذا المقال بالإشارة إليه.

لقد بدأت ومنذ العام ٢٠٠٧م بوادر أزمة اقتصادية عميقة تذرّ قرنهما تدريجياً وتمدّ جذورها في العالم الغربي بصورة عامّة، وولدت أزمات سياسية واجتماعية عديدة. إنّ أمريكا الآن تنوء بعبء ١٥ مليار دولار من الديون، وكلّ واحدة من الدول الغربية الكبرى غارقة في عدّة مليارات من الديون.

وفي هذا المجال يمكن الإشارة - إضافةً إلى الأسباب الجذرية المتمثلة بالأسس الفكرية والعقائدية - إلى بعض الأسباب المباشرة لهذه الأزمات، وهي:

١ - الحملات العسكرية عديمة الجدوى منذ حادثة الحادي عشر من أيلول بذريعة مكافحة الإرهاب.

٢ - ارتفاع أسعار مصادر الطاقة، خصوصاً النفط.

٣ - قوة تأثير النزعات الاستقلالية لدى شعوب العالم.

٤ - سوء الإدارة الاقتصادية والمالية العالمية.

وهذا الوضع بدوره يؤدي إلى النتائج التالية:

أ - التقليل من قدرة المناورة للعالم الغربي.

ب - التخبط في حلولٍ متناقضة للوضع الاقتصادي السائد وعدم وضوح آفاق المستقبل.

ج - إثارة المشكلات والأزمات السياسية.

د - الاحتمالات الأخرى من إثارة وافتعال الأزمات في أماكن أخرى لالتقاط الأنفاس، واستمرار حركات الرفض الجماهيرية في المجتمعات الغربية نفسها، وبروز محاور وأقطاب دولية جديدة في مناطق مختلفة من العالم، وتقديم بعض التنازلات للحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه في الوقت الحاضر^(١).

كما كان من ثمار العولمة تشديد قبضة دوائر ضيقة معينة على المنظمات الدولية وشبكات الإعلام العالمي وتوجيه الاقتصاد العالمي بما يصب في

١. الدكتور مصطفى ملكوتيان، الأزمات الفكرية والاقتصادية والسياسية إلى أين تدفع بالغرب؟، مجلة كيهان الثقافية، العدد ٣١٢، ص ٣٢-٣٤.

منافعها الضيقة.

أما في الميدان الثقافي فأنتجت شيوع العبثية وتحريف القيم الدينية والوطنية، وانتشار متوجات الثقافة المادية، وما يقابلها من امتداد عالمي للفرق والمجموعات المنحرفة الضالة، وشبكات المافيا، والشركات متعددة الجنسية.

وهنا أيضاً تبرز الفرصة أمام العقيدة المهدوية لطرح بديلها المتمثل بالعالمية المبتنية على أساس الاشتراك الفكري والإيماني بين الشعوب والأفراد تحت راية المهدي الموعود الذي سيتحقق في ظل حكومته التحوّل الجذري من العالمية المبتنية على أساس المادة إلى العالمية المبتنية على أساس الفكر والإيمان.

الخلاصة:

إنّ العقيدة المهدوية تتمتع بالعديد من نقاط القوة التي تفتح أمامها آفاق واسعة للتطور والانتشار في جميع أصقاع المعمورة، لا يمكن أن نتناولها جميعاً في مثل هذه المقالة المختصرة التي سعت إلى الإشارة إشارات سريعة إلى العوامل الجديدة التي وفّرتها التطورات العالمية الأخيرة وما يشهده عالمنا المعاصر من أزمات حادة في الأخلاق والفكر والسياسة والاقتصاد لا تخفى حتى على الأصم والأعمى.

أخيراً، لا بدّ من التنويه إلى أنّ هذه العقيدة لا تفتقر إلى ما يدعمها في الأديان الأخرى منذ قديم الأزمنة والعصور، فجدورها راسخة في جميع الأديان كاليهودية والمسيحية والزرادشتية، أو العقائد كالهندوسية والبوذية، فضلاً عن اشتراك جميع المذاهب الإسلامية في الاعتقاد بها بكيفيات وتفاصيل مختلفة لا تضرّ في الإقرار بأصل المسألة المتمثل بالإيمان بفكرة

الخلاص وظهور المنجي الذي سيظهر في آخر الزمان ليملاًها قسطاً وعدلاً
بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.
﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾^(١).

مصادر البحث:

- ١ - الأصفى، محمد مهدي، مراحل تاريخ الإنسان في القرآن، مقال في مجلة الفكر الإسلامي؛ العدد ١٠، ربيع الثاني ١٤١٦، ص ٣٩.
- ٢ - الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، إيقاظ الهجعة بالبرهان على الرجعة؛ قم، مؤسسة آل البيت عليه السلام، ١٤٢١ هـ.
- ٣ - الصدر، الشهيد السيد محمد محمد صادق، اليوم الموعود، الكتاب الرابع من موسوعة الإمام المهدي؛ أصفهان، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.
- ٤ - الصدر، الشهيد السيد محمد باقر، بحث حول المهدي؛ قم، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- ٥ - الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة؛ قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، ١٤١٦ هـ.
- ٦ - الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج؛ النجف، دار النعمان للطباعة والنشر، ١٣٨٦ هـ.
- ٧ - قطب، محمد علي، مذاهب فكرية معاصرة؛ قم، دار الكتاب

١ - سورة المعارج ٧٠، الأيتان ٦-٧.

الإسلامي.

٨ - المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام؛ القاهرة، دار المعارف،
١٣٨٣ هـ

٩ - ملكوتيان، الدكتور مصطفى، الأزمات الفكرية والاقتصادية
والسياسية إلى أين تدفع بالغرب؟، مقال في مجلة كيهان الثقافية، العدد
٣١٢، ص ٣٢ - ٣٤.

١٠ - النعماني، محمد بن إبراهيم، كتاب الغيبة؛ قم، أنوار الهدى، الطبعة
الأولى، ١٤٢٢ هـ

المهدوية رمز الامامة العالمية المنتصرة:

ليست المهدوية تعبيراً عن أهداف إنسانية كاسدة تظهر في صورة آمال مستقبلية، كما يحاول البعض تصويرها، وليست مجرد رؤية مستقبلية كما هي الصورة المخلة الناقصة التي نطالعها عند اهل السنة، وانما هي عقيدة حيوية فعالة تجسد حتمية انتصار قيم الحق والعدالة في الحياة، بما تمثله من واقع فطري أصيل في بنية الإنسان، وحتمية انتصار هذه الفطرة الأصيلة على الشذوذ والانحراف وإن طال أمدها؛ لأن الفطرة لا يمكن أن تُنسخ، ولا ينسخ الإنسان عنها، ولا بد لها من يوم تظهر فيه ظهوراً كاملاً تاماً يجسد واقعية وحقانية الرؤية الدينية للإنسان والحياة.

إن المهدوية مزيج متجانس ومؤكّد من مجموعة أبعاد عقائدية هي:

- ١ - حتمية انتصار الفطرة وقيم الحق والعدل واندحار الشذوذ والانحراف والباطل.
- ٢ - صحة وواقعية وحقانية الرؤية الدينية للحياة والإنسان، ومقاييسها في التمييز بين الحق والباطل.
- ٣ - صحة الاعتقاد بتوقف سعادة البشرية على الالتزام بهذه الرؤية، وامتثالها في الحياة.
- ٤ - إن المسيرة البشرية محاطة بالعناية والرعاية الربانية الكاملة الهادفة الى ايصالها الى الكمال.

٥ - إن الإيمان بهذه العناية يعني الإيمان بتوحيد فعال لا يكتفي في علاقته مع الإنسان بابداء التوجيه وانزال الكتب وارسال الرسل والأنبياء، وإنما يضيف الى ذلك أيضاً سوق الإنسان نحو الكمال، وتسبب الأسباب المؤدية إليه، وإيجاد التخطيط اللازم له.

٦ - إن الإمامة هي المحور الذي يجسّد هذه العناية، والآلة التي تحققها في الأرض، وهذا معنى اللطف الذي يتمسك به علماء الإمامية لاثبات وجوب الإمامة على الله تعالى، وانها تتم بالنصر والنصب من عنده، وكمال مفهوم الإمامة عندهم بالقياس الى ما عند أهل السنة يتأتى من مزية العناية المتجسدة في إمام منصوب من قبل الله وظيفته سوق المجتمع نحو الكمال. وهو جزء من كمال مفهوم المهدوية عند الإمامية بالقياس الى ما عند أهل السنة باعتبار ما فيه من مزية الحياة المستمرة المتصلة بمنبع الرسالة والمشرفة على العصور وتقلب الدهور، بما يهب صاحبها صلابة في الإيمان وخبرة في الزمان وقدرة عالية على التغيير الموعود، وهذ خصائص ومزايا لا يمكننا التصديق بالانجازات المهدوية الموعودة بدونها، لانها لا تتم إلا بها.

إن الفرق بين المهدوية عند أهل البيت عليهم السلام وبين ما عليه أهل السنة هو الفرق بين مفهوم كامل وآخر ناقص، كما ان الفرق بين أصل مفهوم المهدوية في الإسلام وبين فكرة ظهور ملكوت الله على يد ابن الإنسان في آخر الزمان عند المسيحية هو الآخر فرق بين مفهوم كامل وآخر ناقص، وهو ذات الفرق في فكرة المستقبل السعيد للبشرية بين ما عليه الدين وما يمكن أن يطمح إليه الإنسان ويمكن أن يتصوره عبر حسابات فلسفية معينة عن مستقبل البشرية، ومن هنا وجدت عدة تصورات دينية ووضعية عن مستقبل البشرية تتدرج في النقص والكمال حتى تبلغ ذروة كمالها في التصور الإسلامي الإمامي. والتصورات المطروحة هي:

- ١ - التصور اليهودي.
 - ٢ - التصور المسيحي.
 - ٣ - التصور الماركسي.
 - ٤ - التصور المعبر عن تطلعات إنسانية وآمال بشرية نحو الأفضل.
 - ٥ - التصور الإسلامي بالمفهوم الذي عليه أهل السنة.
 - ٦ - التصور الإسلامي بالمفهوم الإمامي.
- وها نحن نطرح هذه التصورات وندرسها واحداً بعد الآخر.

أولاً: التصور اليهودي للمستقبل

قام التصور اليهودي للمستقبل على أساس أن معركة شعب الله المختار مع الشعوب الأخرى سوف تنتهي بانتصار اليهود على خصومهم وقيام مملكة استبدادية تحكم العالم كله ويكون مقرها اورشليم، فإذا اكتمل النصر وسقطت كل الحكومات انتقلت العاصمة الى روما حيث تستقر الى الأبد وسيتعاقب على العرش حكام من ذرية داود^(١)، وهناك جملة عناصر يمكن ملاحظتها في هذا التصور، منها: أن النصر اليهودي سوف لا يكون على طغاة جائرين أو حكام مستبدين وإنما على الشعوب والأمم الأخرى، وهذا يعني ان المعركة سوف لن تكون مبدئية وإنما عنصرية، وسوف لن تكون الدولة الخاتمة هي دولة العدل العالمي وإنما دولة الاقتصاص اليهودي من الشعوب الأخرى.

ومن الواضح ان هذه الصورة لا يمكن نسبتها الى دين سماوي ولا الى مبدأ أرضي يجعل العدالة الإنسانية هدفاً مقدساً له. فإن التصورات المستقبلية في الأديان السماوية والمبادئ الوضعية إنما هي انعكاس للأهداف

المتبناة لديها، والتصور اليهودي لا يكشف عن أهداف مقدسة بل ينضح بالانعزال والتفوق والانحراف عن الفطرة من كل جوانبه، وهي معالم لازمت الفرد اليهودي طيلة تأريخه، فعكسها على تصوراته المستقبلية ثم نسب هذه التصورات للدين، كما نسب الكثير من انحرافات له، وقد مرّ بنا سابقاً أنّ فكرة الشعب المختار التي سيطرت على الذهنية اليهودية والتي نرى دورها الواضح الآن في التصور اليهودي للمستقبل عبارة عن صورة زائفة لفكرة دينية صحيحة، وهي أن الدين الالهي وانطلاقاً من مبدأه العالمي يرى أن حق السيادة على الأرض ينحصر بالاتباع المخلصين للتوحيد ضمن وظيفتهم الدينية التي تقتضي تعبيد المجتمع الإنساني نظرياً وعملياً للخالق الأوحد. ويُمنح هذا الحق لاتباع الرسالة الممثلة لآخر مرحلة من الدين الحق، وفي عصر موسى عليه السلام مُنح لليهود المخلصين، فتصور اليهود، أو أرادوا أن يتصوروا، أن السيادة استحقاق عنصري خالد فيهم دون غيرهم، وأنّ عليهم الكفاح من أجل استرداد هذه السيادة، وهو ما سيتحقق حتماً في نهاية المطاف حسب اعتقادهم.

ثانياً - التصور المسيحي للمستقبل

وبشرت المسيحية بملكوت الله الذي سيقام على الأرض بقيادة المسيح الذي حمل هذا اللقب «المسيح» انسجاماً مع مهمته العالمية المستقبلية كمنقذ للبشرية. وقد آمنت اليهودية بقيادة المسيح المستقبلية، إلا أنها اعتبرت وظيفة المسيح انقاذ اليهود وتسليمهم حكم الأرض، بينما آمنت المسيحية بأن «ابن الإنسان» سيهبط الى الأرض في مستقبل الدهر ليقوم ملكوت الله في أرضه، ولا ينطوي هذا الاختلاف على فرق جوهري، ففي انجيل لوقا

نجدان الدولة الأخيرة في التاريخ سوف تكون لبني اسرائيل^(١). والحقيقة من وجهة نظر القرآن الكريم نلمسها في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ بِذَاتِ الْيَمِينِ وَإِنَّكَ فِي الْبَصَرِ فَاسْمِعْ لَكُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ وَإِنَّهُ يَمُوتُ يَهُودِيًّا فَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الْيَهُودِ وَالصَّالِحِينَ يَدْعُوهمَ إِلَى الْوَعْدِ الَّتِي وَعَدْنَا لَهُمْ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْإِسْلَامِ فَلْيَسْلِمْ إِنَّهُ الْبُحْرَانُ الْأَعْلَى لَمَعْلُومٌ﴾. ومن الواضح ان عبارة ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ لا تدل على جماعة عرقية، وإنما هي جماعة مبدئية منحها الله الغلبة على أعداءها لصفاتها المبدئية، ولما نسخ دين المسيح وحكم على اتباعه بالتحول الى الإسلام أصبح الوعد الإلهي حقاً لأتباع الدين الجديد. وهكذا ينتقل استحقاق الوعد الإلهي بين الأديان من السابق الى اللاحق؛ لأنها جميعاً تعبير عن دين واحد. وهذا الاستحقاق هو جوهر العقيدة المهدوية في الإسلام.

ثالثاً: التصور الماركسي

وتتفق الشيوعية مع الإسلام - على ما بينهما من التناقض - في النظر الى المستقبل من زاوية عالمية متفائلة، ذلك أن سلم الارتقاء التاريخي في الشيوعية يجعل المرقاة الأخيرة فيه لانتصار الفكرة الاممية التي ستسقط التفاوت الطبقي بين الطبقة الكادحة والطبقة البرجوازية، وستسقط تبعاً له مظاهر التفاوت الأخرى التي خلقها العامل الاقتصادي، كالتفاوت القبلي والوطني والقومي، وتقام الشيوعية الثانية على مستوى العالم كله.

رابعاً: التصور المعبر عن تطلعات إنسانية نحو الأفضل

وأخيراً أدلى المفكرون الغربيون وغيرهم بدلوهم في المسألة المستقبلية للإنسان، و طرحوا تصوراتهم بشأنها. والفارق بين التصور الأخير وسابقه

١ - إنجيل لوقا: ١ - ٣٢.

٢ - سورة آل عمران: ٥٥.

أن التصورات الأخرى تسند الى قاعدة دينية أو فلسفية معينة، وتنطلق في الطرح من زاوية حتمية تاريخية نصّت عليها او اقتضتها أسس دينية أو فكرية معينة. بينما يتجرد التصور الأخير عن الإطار المذهبي أو الفلسفي، ولا ينطلق من حتمية تاريخية يراها هذا المفكر أو ذاك، وإنما من زاوية ما ينبغي أن يكون عليه المستقبل أو ما يحتمل لمستقبل الإنسان من توقعات. إلا أن هذا الفرق لا يؤثر في الجهة التي قصدها البحث، فالمهم أن التصور الأخير يعكس ميول وآمال إنسانية تمثل رقعة واسعة من الكرة الأرضية. الفيلسوف والمؤرخ الإنجليزي الشهير أرنولد توينبي يمجّد بمبدأ الإخاء الإسلامي وقدرة الإسلام على القضاء على النزعة العنصرية، ويدعو الغرب الى الأخذ بهذا المبدأ الإسلامي لكي تنجو المدنية الحالية مما يدب فيها من عناصر الفناء^(١). ويقول أيضاً:

«إن مستقبل الإنسانية يتوقف على أخوة روحية لا يمنحها غير الدين، وهو الشيء الذي يحتاج اليه النوع الإنساني في هذا الوقت. الشيوعية تزعم أنها تستطيع أن توحد النوع البشري، كما أن الإسلام يثبت صلاحيته كقوة موحدة للإنسان في أفريقيا. المسيحية أيضاً تستطيع أن تلعب هذا الدور اذا عملت بمبادئها، لكن القومية لا تستطيع أبداً أن توحد الانسان، بل أنها توزعها وتشتت شملها. ومن أجل ذلك ليس لها مستقبل، وانها لا تستطيع إلا أن تدفن الإنسانية في ركامها... فينبغي لنا أن نحتضن الإنسانية كلها من غير استثناء، ونتعلم كيف نعيش كأسرة واحدة»^(٢).

١ - الإسلام والعالم المعاصر: ٣٧٩.

٢ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: ١٥٤.

ونادى الدكتور «كرشنان» رئيس الجمهورية الهندية سابقاً بفكرة «الأسرة الواحدة على الأرض»، وقد جاء في خطابه الذي ألقاه في ١٠/ يونيو/ ١٩٦٣م في الأمم المتحدة: «أنّ الوطنية ليست المثل الأعلى للإنسان، بل أن مثله هو فكرة الأسرة العالمية الواحدة، إنّنا نعيش في عالم حديث ولكن أفكارنا قديمة عتيقة»^(١).

كما دعا الفيلسوف والرياضي الكبير برتراند رسل هو الآخر الى العالمية وكلفته دعوته الى السلم اثناء الحرب العالمية الثانية السجن والغرامة والانقطاع عن التعليم، ومن افكاره العالمية قوله: «اعتقد أنه مهما كانت الحاجة أكثر حيوية للمستقبل فسوف تكون تنمية الأفكار لامعة للمواطنة العالمية»^(٢).

وقد أولى عامل التربية والتعليم دوراً مهماً في هذا المجال ودعى الى انقاذه من الإطار العنصري الذي يرتديه واحلال الإطار العالمي محله. ومن ذلك قوله: «بإمكان التربية بسهولة اذا اختار الناس أن تنتج شعور وحدة العنصر البشري واهمية التعاون الدولي.. إن العنصرية التي هي سائدة حالياً في كل مكان هي بصورة رئيسية حصيلة المدارس، ويجب أن تأتي على نهايتها، وأن تسود التربية روح مختلفة»^(٣).

ثم يدعو الى أن تفتح الجامعات أبوابها لكافة القوميات والجنسيات سوى تلك التي ترفض المعاونة العالمية، وأن لا تقوم المناهج العلمية فيها

١ - المصدر نفسه: ١٥٥.

٢ - التربية والنظام الاجتماعي: ٢٧.

٣ - المصدر نفسه: ١٣٦.

على أساس التحزب للوطن والعرق^(١). بينما دعا في الميدان السياسي الى:
 «تطوير الأمم المتحدة بحيث تصبح نواة لحكومة عالمية»^(٢).
 وفي عام ١٩٦٣م عقد عدد من كبار السياسيين والمفكرين في العالم
 مؤتمراً لهم قالوا فيه:

«إنّ السلام الدائم والشامل لا يتحقق بتوقيع المواثيق، وتبادل الوعود
 بين القادة السياسيين، فلا بد للحصول على السلام العالمي الواقعي والدائم
 والشامل من أن نتوسل بحكومة عالمية واحدة تعتمد على برلمان ومحاكم،
 وجيش عالمي موحد، إذ في ظل هذه الحكومة العالمية الموحدة فقط يمكن أن
 نحصل على الاستقرار والثبات»^(٣).

هذه شواهد عصرية معدودة على تنامي الدعوة العالمية واشتداد الطموح
 الإنساني في قيام وحدة إنسانية عامة تذوب فيها الفوارق العنصرية، ويبرز
 فيها الجوهر الأخلاقي للإنسان، وتشهد فيها الفطرة الواحدة بين بني
 البشر.

وما مقولة العولمة والقرية العالمية الواحدة في جانبها الإيجابي إلا تعبيراً
 عن عالم بات مستعداً لتقبل الوحدة والتآخي أكثر من أي وقت مضى، كما
 أن فكرة نهاية التاريخ التي اطلقت بنحو متقارن معها تدل على أن العالمية
 هي الحلم الأخير والأصيل للبشرية. ذلك أن الآمال والشعارات
 والتطلعات تنبع من اصول فطرية سليمة تحث الانسان باتجاه الانجاز
 والتحقق والتجسيد فتظفر بنتائج ناقصة، وتبقى تلح بهذا الاتجاه بحثاً عن
 نتائج كاملة في المستقبل، ونحن وان كنا لا نحسن الظن بمن أطلق مقولة

١ - ردود وحدود: ١٣٩ - ١٤٠.

٢ - الإسلام والعقل: ٢١٣.

٣ - معالم الحكومة الإسلامية: ٣٨٧.

العولمة ونهاية التاريخ إلا أن ظهورهما الآن لم يحصل من فراغ، وإنما جاء مراعاة لشعور موجود من هذا النوع، وأنه شعور فطري صادق إلا أنه لما لا يجد عقيدة صحيحة تتكفل بتنميته وتجسيده يأخذ مساراً منحرفاً ويصبح عرضة للاستغلال والاستفاده السيئة. وأبرز مثال تاريخي لذلك هو ان تظهر قومية قوية طاغية ترفع شعار العالمية كستار تخفي وراءه اغراضها العدوانية في التوسع على حساب القوميات الاخرى، والتحول الى فوسية حاكمة عليها، كما يفعل الامريكان اليوم تحت ستار العولمة ومكافحة الارهاب والدعوة الى الحرية وحقوق الإنسان.

إلا أننا مع ذلك نعتقد ان ظهور هذه المقولة، وقيام أمريكا برفع رايتها سيكون من جملة العوامل المساعدة والممهدة لظهور العالمية الحقيقية المتمثلة بعالمية الإسلام بزعامة مهدوية؛ لأن ظهور النسخة الباطلة من مقولة معينة يدل على دنو ظهور النسخة الحققة منها، كما هو الاعتقاد بظهور الدجال يأتي تعبيراً عن دنو ظهور المهدوية لاحقاً، فانتشار فكرة العولمة ونهاية التاريخ سيساعد على لفت الانتباه وتهيئة النفوس باتجاه المهدوية التي تمثل النسخة الحققة من فكرة نهاية التاريخ والعالمية والعدل. وسيوجه الأنظار نحو هذه الفكرة، كما ان انتشار المسلمين وحضورهم في أوروبا وأمريكا وازدياد نشاطهم وفعاليتهم هناك أكثر من أي وقت مضى من جهة، وشروع أمريكا بحملة عدوانية ضارية ضد العالم الإسلامي تحت ستار محاربة الارهاب وتطبيقاً لمقولة صراع الحضارات من جهة ثانية، سيؤدي الى بيان بطلان النسخة الأمريكية من مقولة العولمة ونهاية التاريخ واندحارها أمام الصحوة الدينية والوثبة الإيمانية التي يشهدها العالم وينزع نحوها نزوعاً خفياً أحياناً وظاهراً في أكثر الأحيان، وسترنوا الأنظار نحو النسخة الحققة من هذه المقولة وهي النسخة المهدوية. ولا يستبعد أن يكون الدجال تعبيراً

عن مرحلة تاريخية زائفة تظهر وترفع شعارات مشابهة لشعارات المهديوية لتهدئ النفوس لتقبل القيادة المهديوية العالمية.

خامساً: التصور الاسلامي بالمفهوم السني

يقوم المفهوم السني عن المهديوية على أساس التبشير بمستقبل إسلامي سعيد ستحظى به البشرية في نهاية المطاف تحت لواء قائد إسلامي علوي يظهر في آخر الزمان يسمى بالمهدي، ويمكن ابراز الفرق الجوهرية بين هذا المفهوم والمفهوم الذي عليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ببيان أن مدرسة الخلفاء تجعل المهديوية عبارة عن رؤية مستقبلية محضة، بينما مدرسة أهل البيت لا تكتفي بذلك، بل يتضمن مفهومها عن المهديوية عنصراً آخر أكثر أهمية وهو التكفل بتحقيق هذه الرؤية والتخطيط لانجازها، فالمهدي الموعد حي مذخور مدخر لانجاز المهمة التاريخية، يراقب التاريخ والتحويلات ويستفيد منها، ويستخلص الانصار والاعوان، ويتدخل في مجريات الامور، ويظهر في بعض اللحظات لبعض الناس ليتعمق ايمان المؤمنين به، وربما يسوق الأحداث بالاتجاه المؤدي الى اليوم الموعد، وعلى المؤمنين به انتظاره والدعاء له بالظهور والفرج، والاستعداد لبذل النصره بين يديه، والدولة التي تقام في زمان غيبته لا تكون مشروعة إلا اذا كانت بقيادة نائب من نوابه العامين، وهم الفقهاء الجامعون للشرائط، فهي دولته بالأصالة ودولة الفقيه بالنيابة، وعليها التمهيد لظهور قائدها الأصيل، وتهيئة الاستعدادات اللازمة لذلك اليوم الفيصل.

سادساً: التصور الإسلامي بالمفهوم الإمامي

اتضح مما سبق الفرق بين المهديوية في مفهوم أهل السنة، والمهديوية في مفهوم أهل البيت عليهم السلام وهو فرق بين مفهوم يصل الى حد معين ولا يتمكن

من تجاوزه الى حد أكمل، ومفهوم كامل. ويمكننا الآن بيان جهات الكمال في مفهوم أهل البيت عن المهدوية في النقاط التالية:

أ- إن المهدي في مفهوم أهل البيت حي مدخر يراقب الأحداث والسير التاريخي لظهور الدول والحضارات وسقوطها، فيكتسب بذلك خبرة واسعة ورؤية متكاملة، بخلاف المهدي في مفهوم أهل السنة، رجل يظهر في زمانه ليس له مزية في ما لديه من خبرة ورؤية سياسية دولية واجتماعية.

ب- إن المهدي في مفهوم أهل البيت له حضور تاريخي سابق على الحضارات والدول التي يريد الثورة عليها واسقاطها، وإن سابقته التاريخية تمتد الى عدة دورات تاريخية وحضارية ولا تختص بالدورة التي يريد اسقاطها، وهذا ما يجعله يشعر بأنه أكبر من تلك الدورة التي يريد إسقاطها، وإن عملية التغيير أمر هين ليس مهولاً ولا خطيراً، بخلاف المهدي في مفهوم أهل السنة، رجل مشبع بالشعور بالانتماء لزمانه وعصره وحضارته الأمر الذي يجعله أقل عزمًا وقدرة على التغيير؛ لأنه يريد الانتفاض على واقع أكبر وأسبق وجوداً منه، وقد قضى شطراً من حياته فيه، فيجد في نفسه التعاطف والحنين ولو الى بعض هذا الواقع.

ج- إن المهدي في مفهوم أهل البيت رجل من ذرية الرسول يتصل عصر ولادته بالدورة الأولى من الحضارة الإسلامية، وهو الحلقة الأخيرة من سلسلة الأئمة الإثني عشر المنصوبين من قبل الله أعلاماً للهداية والإرشاد، وهذه عناصر ثلاثة تجعله في أعلى درجات الأصالة الفكرية والإيمانية، بحيث يكون أكبر من كل زمان يمر عليه، فيؤثر فيه ولا يتأثر به، بخلاف المهدي في مفهوم أهل السنة رجل يظهر في زمانه على انقطاع وفاصلة زمنية وحضارية شاسعة بينه وبين عصر الرسالة الإسلامية، فيكون أصغر من زمانه مستعداً للتأثر به أكثر من استعداده للتأثير فيه، بمعنى ان استعداده

وقابليته للأصالة تكون ضيئة جداً، فلا يكون مناسباً للظهور وقيادة الثورة العالمية الموعودة.

د - إن استمرار حياة الإمام المهدي طبقاً لما عليه مدرسة أهل البيت تشبع المؤمنين وسائر افراد المجتمع البشري بشعور طيب بتواصل العناية الربانية بهذا المجتمع، وإنها عناية مباشرة تفصيلية تتجسد بإمام حي مذخور يراقب سير المجتمع وينظر اليه ويتدخل لصالحه، دون أن يستطيع أحد من الناس تشخيصه، ومثل هذا الشعور يساعد المؤمنين على التكامل والنضج والارتقاء الى المستوى المطلوب اكثر مما لو كان المهدي رجل يظهر في زمانه، كما هي رؤية مدرسة الخلفاء له.

هـ - إن الايمان باستمرار حياة الرمز الأخير للإسلام والرسالة الإسلامية المتمثل بالإمام المهدي يعني الايمان برسالة سماوية حية لا زال لها رمز حي، فيشعر الناس لأجل ذلك بمعاصرة الرسالة كما كان المؤمنون في زمان حياة النبي ﷺ يشعرون بذلك، ويرون أنفسهم في غبطة الاتصال المباشر مع النبي الذي هو حلقة الاتصال بينهم وبين السماء. الأمر الذي يُشبع النفوس زخماً وفعالية واتجهاً مساعداً على الكمال، بخلاف ما عليه مدرسة الخلفاء من الإيثار بانتهاء الصلة بين الأرض والسماء بوفاة النبي ﷺ وعدم وجود رمز حي مستمر يمثل الرسالة الإسلامية بعده، فإن الشعور بذلك يجعل الرسالة الإسلامية أمراً في ذمة التاريخ كما هو شأن النبوات السابقة على الإسلام، الأمر الذي يضعف شعور النفس واحساسها بالزخم والفعالية تجاه الإسلام.

و - إن الإيثار بحياة الامام المهدي منذ منتصف القرن الثالث الهجري يعني الإيثار بامام يقاوم الطواغيت ويقود الأمة بهذا الاتجاه، الأمر الذي

يعني تعميق حس الأصالة والمقاومة للانحراف في وعي الأمة، بخلاف ما عليه الأمر في مهدوية مدرسة الخلفاء الخالية من هذا البعد.

هذه أبرز جهات الكمال في المهدوية بالمفهوم الذي عليه مدرسة أهل البيت، ولو لم تكن المهدوية بهذه المثابة من الكمال ولم تكن تمثل النقطة القصوى منه لم تكن النقطة التي تنطفئ عندها شعلة التاريخ، فان هذه الشعلة تبقى متوهجة مادامت المسيرة الانسانية لم تصل بعد نقطة الكمال التام الذي خلقت من أجل الوصول اليها، قال الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(١).

ونقطة الكمال هذه لا بد وأن تكون مودعة في النفوس، ولا بد وأن تكون النفوس مهيئة ومستعدة للوصول إليها في أصل فطرتها وخلقتها، ولا بد وأن تكون متجسدة الى حدّ ما في المرحلة الأولى من المسيرة البشرية، وان النقص والانحراف من الفطرة ظاهرة طارئة برزت في مرحلة تالية من هذه المسيرة، ومن هنا كان التصور القرآني التاريخي على ثلاث مراحل:

١ - مرحلة الوحدة والاستقامة الفطرية.

٢ - مرحلة التشتت والاختلاف.

٣ - مرحلة استعادة الاستقامة الفطرية.

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(٢).

فالمرحلة الأولى هي قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً..﴾ على الفطرة والاستقامة، والمرحلة الثانية هي قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ

١ - سورة الذاريات: ٥٦.

٢ - سورة البقرة: ٢١٣.

وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿٦٦﴾، وليعيدوا المسيرة البشرية الى سابق عهدها بالوحدة والاستقامة والوئام، والمرحلة الثالثة هي المرحلة المهدوية التي ستشهد التحقق الكامل التام الناجز لهذا الهدف السماوي، وكأن المرحلة الثالثة عملية استرداد تاريخي للمرحلة الأولى، واستنجاز للمطالب الفطرية واستعادة للمواثيق الالهية من الفطرة السليمة والقلب السليم الذي لا يتم الوصول الى الكمال إلا به.

يقوم التصور الإسلامي للمستقبل على أن الحلقة الخيرة من الوجود الإنساني على الارض ستكون عالمية تتوحد عندها الإنسانية ويجد فيها الإنسان هدفه المنشود في الوئام مع أخيه الإنسان، وسيلتذ بطعم الانسجام بعدما شقى بمرارة الانقسام منذ نهاية عهد الفطرة، وسيكون الباعث الأكبر على السعادة هو عثور الإنسان على فطرته وانسجامه مع ذاته. وكأنه بعد طول العناء وازدياد المشقة سيفكر في استعادة هويته الإنسانية الأصيلة وتجاوز المنحدر الذي سقط فيه بعد عهد الفطرة واسترجاع خصائص هذا العهد مجدداً، فيعود المجتمع العالمي في خاتمة المطاف...، كما كان الأمر في بدايته، وهذه هي خلاصة الفكرة المهدوية التي يتم الاستدلال الأسلامي عليها بطريقتين:

١ - طريق نظري عقلي:

وهو نتيجة النظرية الفطرية التي يتبناها الإسلام في تفسير الإنسان والحياة الاجتماعية، فان استناد الإنسان في خلقته واتجاهه وخصائصه الى الفطرة يجعله منشداً اليها وعاجزاً عن الانفصام النهائي عنها؛ لأن الانفصام النهائي يعني تحوله الى مخلوق آخر، فالإنسان مرتبط بفطرته التي رسمت له هدفاً معيناً في الحياة ووجهته نحوه، وحينما يتعد عنها فليس

لأنه يريد الانفصام عنها، وإنما لأنه أخطأ الطريق اليها، وسيظل يعاود السير حتى يجد ضالته يوماً ما. فالتاريخ الانساني هو تاريخ بحث الانسان عن حياة تنسجم مع خصائصه الفطرية، وهو يأخذ سيراً تكاملياً على وجه العموم، وفي بعض الأدوار يتراجع الى الوراء ويعاني من الانحطاط لكنه بمجموعه يطوي مسيرة تكاملية على حد تعبير المؤرخ الإنجليزي توينبي^(١). فالإنسانية تسير نحو غايتها الفطرية وهي الكمال، والغاية التي يعقبها الصنع والايجاد لا بد أن تقع يوماً معجلاً أو على مهل على حد تعبير العلامة الطباطبائي^(٢)، والتجارب القطعية أفادت أن الموجودات يسوقها نظام الخلقة الى غايات مناسبة لها، والانسان غير مستثنى من هذه الكلية^(٣). والبحث العميق في أحوال الموجودات يؤدي الى أن النوع الإنساني يبلغ غايته وينال بغيته وهي كمال ظهور الإسلام بحقيقته في الدنيا وتوليه التام أمر المجتمع الإنساني^(٤)، فالمجتمعات والثقافات والحضارات تتجه نحو التوحيد، والإنسانية تسير نحو المجتمع العالمي، والإسلام هو المصير الأخير للإنسان؛ لأنه المثل الأعلى للكمال، ولأن الإنسان يبحث عن الكمال بغريزته.

٢ - طريق نقلي «الكتاب والسنة»:

أما القرآن فقد تحدث عن حتميتين تمثلان جوهر الفكرة المهدوية:

١ - نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ : ٤١.

٢ - الميزان في تفسير القرآن: ١٣٢/٤.

٣ - المصدر نفسه.

٤ - المصدر نفسه: ١٠٠.

١ - حتمية انتصار رسالة السماء. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١). وهذه الحتمية لم تتحقق بعد، فلا بد وأن يكون المستقبل ظرفاً لها.

٢ - حتمية انتصار الصالحين والمستضعفين. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٢)، ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣). وهذه الحتمية - أيضاً - لم تتحقق بعد، فلا بد أن يكون المستقبل ظرفاً المخصص لها.

وأما السنة فقد اهتمت اهتماماً بالغاً بالقضية المهدوية وشرحت بشكل مفصل أبعادها وجوانبها المختلفة، وبشكل انعدم نظيره في القضايا الأخرى التي تناولتها، بحيث يطالع الإنسان النصوص المرتبطة بهذه القضية وكأنه يقرأ تجربة تاريخية حدثت في عهد قريب، من كثرة ما ورد من أحاديث تفصيلية فيها. ولدى التحليل الايديولوجي للنهضة للمهدوية نلاحظ أنها تنطوي على ثلاثة عناصر متداخلة مع بعضها هي:

١ - الثورية والتحررية الى الحد الذي يجعلها وريثة لا على رمز ثوري تحرري في التاريخ البشري على الاطلاق وهو الإمام الحسين عليه السلام وثورته، ولذا يرفع الإمام المهدي عند انطلاق الشرارة الأولى لثورته شعارات: «يا لثارات الحسين»، ويجعل من مكة منطلقاً للظهور، كما كانت بداية التحرك الحسيني نحو الثورة في كربلاء.

٢ - العدالة الى الحد الذي يجعلها وريثة لأعلى رمز تاريخي في العدالة الإنسانية وهو الإمام علي عليه السلام، ولذا سيجعل الإمام المهدي عليه السلام الكوفة

١ - سورة التوبة: ٣٣.

٢ - سورة الأنبياء: ١٠٥.

٣ - سورة القصص: ٥.

عاصمة له كما كانت عاصمة أمير المؤمنين عليه السلام، فالمهدوية خلاصة الرمزين ونقطة اجتماعهما.

٣ - العالمية بوصفها البعد الذي لا تتم العدالة إلا به، فإن الذي يعطي الجغرافية واللون واللغة والدم صفة حقوقية يتفاوت الناس بحسبها في الحقوق والواجبات والمكانة المعنوية لا يستطيع أن يكون عادلاً، ومثل هذا الشخص لا يمكنه أن يرشح نفسه لقيادة دولة عالمية واحدة تحكم الأرض، بل سيكون امبراطوراً يقوم حكمه على أساس حكومة القومية الغالبة الغاشمة على سائر القوميات في الأرض. وذلك على غرار ما يتحدث اليهود عنه من فكرة شعب الله المختار، وما يطرحه الامريكان اليوم من مقولة العولمة والقرية العالمية الواحدة، ولا يسع الانسان الانفلات من قبضة هذه الملاكات الأرضية الفاسدة إلا في ظل الدين والقيم التوحيدية، وكلما كانت هذه القيم راسخة في نفسه متغلغلة في شخصيته مؤثرة في سلوكه أكثر كانت قدرته على الانفلات من تأثير تلك الملاكات النفسي والذهني والسلوكي عليه أكبر، والدرجة القصوى الكاملة من ذلك هي التي يحضى بها إمام معصوم يتصل عصره بعصر الرسالة، ونسبه بالرسول صلى الله عليه وآله، وموقعه هو التالي لموقع النبوة، وهو الإمام المهدي عليه السلام الذي يجسد بفضل هذا الاتصال الوثيق والحيوي والمتعدد الجهات بالرسالة الخاتمة أكمل وأرسخ صورة توحيدية، وبالتالي سيكون أقدر شخص على انجاز المهمة العالمية الموعودة باقامة دولة العدل العالمية الواحدة في الأرض، وسوف تكون دولته دولة المستضعفين من كافة القوميات والجنسيات، وسيشارك في تأسيسها الأفراد الصالحون من العرب والفرس والترك وغيرهم دون أي تمييز.

وقد بلغ التصور الامامي من الوضوح والتفصيل الى حد نجد معه روايات تشخص عدد اصحاب الامام المهدي وجنسياتهم وأسماءهم، وفي احداها عن أمير المؤمنين عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله انه ذكر أصحاب الإمام المهدي وقال: «أولهم من البصرة وآخرهم من اليمامة»، وجعل علي عليه السلام يعدد رجال المهدي عليه السلام والناس يكتبون فقال: «رجلان من البصرة ورجلان من الأهواز ورجل من عسكر كرم ورجل من مدينة تستر...» حتى ذكرت تلك الرواية أسماءً لمائة مدينة ما بين خراسان شرقاً وطنجة وقبرص غرباً ومن اوربا شمالاً وحتى عدن جنوباً^(١).

ووظيفة المسلمين في هذا العصر أصبحت تقتضي أكثر من أي وقت مضى التركيز والاهتمام الشديد بالقضية المهدوية بالتبليغ المكثف والمبرمج والمدروس لها على أوسع نطاق في العالم، عبر الصحافة ووسائل النشر والدعاية ومن خلال اقامة المؤتمرات الفكرية والملتقيات الأدبية والانشطة الفنية المختلفة، مستثمرين في هذا الاتجاه كافة الامكانيات السياسية والثقافية والاعلامية والتربوية المتاحة على الساحة العالمية، مع الحرص على بيان الإمام المهدي عليه السلام كرمز إنساني منقذ لكافة البشرية، وانه هو الرمز الذي تعلقت به قديماً وحديثاً آمالها، وانه ليس خاصاً بالمسلمين بل لكافة البشر. وبالتأكيد على ان هذا النشاط إنما هو نشاط ديني خالص لا يمت بصلة لجهة سياسية ودولية معينة. ومن خلال هذا النشاط ستتحقق جملة أهداف إسلامية هي:

١ - تهيئة الأذهان لتقبل حق المسلمين في قيادة العالم.

- ٢ - بيان عالمية الرسالة الإسلامية وأنها العالمية الكبرى والحقيقية والوحيدة في دنيا الإنسان.
- ٣ - نقض وإفشال الدعوات الأخرى التي تتلفح بعباءة العولمة ونهاية التاريخ ونحو ذلك من المقولات.
- ٤ - المساعدة على نشر الإسلام في العالم.
- ٥ - بيان تكامل الإسلام وحقانيته في السيادة السياسية على العالم.

العقيدة المهدوية هي الزيارة الجامعة الكبيرة

محمد فاكر ميدي

المقدمة:

إنّ العقيدة المهدوية من أبرز عقائد الشيعة الإمامية، وهي رؤية ممتازة عن سائر العقائد في هذا المجال، إذ هذه الفرقة الحقّة تعتقد بالمهدي الشخصي أي الموجود المولود وهو ابن الإمام الحسن بن علي العسكري من وُلد الحسين الشهيد عليه السلام، وهو الحيّ عبر الزمان، الناظر على الأعمال الغائب عن الأنظار، سيظهر عندما يشاء الله، وسيظهر دين الله بتمامه وكماله وسيملا الأرض قسطاً وعدلاً، لا بالمهدي النوعي أي من سيولد كما زعمته بعض الفرق الإسلامية، ولا بأنه جاء وظهر كما ذهب إليه بعض الفرق الضالة.

وإشارت إلى الحقيقة المهدوية مضافاً إلى نصّ الروايات المروية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بعض آيات القرآن الكريم تفسيراً أو تأويلاً، كما نجد تصريح بعض الزيارات والأدعية المأثورة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، فنحن في هذا المقال بصدد بيان القضية المهدوية من طريق الزيارة الجامعة إذ هي جزء من التراث الإسلامي الأصيل.

والبحث الذي أقدمه إلى القراء الأعزاء يتألف من الأمر التمهيدي، والبحث الأصلي في علاقة الزيارة الجامعة بالعقيدة المهدوية.

التمهيد:

١ - معنى الزيارة:

الزيارة لغةً بمعنى القصد (الفيومي، ١٤١٤: زور) و كذا الميل والانحراف (الجوهري، ١٤٠٤: زور). ومن الباب: الزائر؛ لأنه إذا زارك فقد عدلك عن غيرك. (ابن فارس، ١٤٢٠: زور). وقال بعض الأعلام في العلاقة المعنوية بين العدول والزيارة: إن الشخص الزائر في زيارة أولياء الله والعظماء يحصل له التوجه إلى العالم الروحاني بالانحراف عن الأحداث المادية والعدول عن العالم الطبيعي، مع أنه يتواجد ضمن هذا المحيط الطبيعي. (جوادي الأملي، ١٣٨٧: ١/٢٣).

وفي الاصطلاح «هو أن يحضر الزائر إلى مزار الإمام عليه السلام لتكريمه وتعظيمه ويتم العهد أو يجدد عهده معه». و به ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إِنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْدًا فِي عُنُقِ أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ وَإِنَّ مِنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ زِيَارَةَ قُبُورِهِمْ فَمَنْ زَارَهُمْ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِمْ وَتَصَدِيقًا بِمَا رَغِبُوا فِيهِ كَانَ أَيْمَتُهُمْ شُفَعَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (الصدوق، ١٤١٣: ٢/٥٧٧).

يمكن أن يقال: إن زيارة الإمام هي أن يقيم الشخص الزائر علاقة روحية مع الإمام من قرب أو من بعد ويُسلم عليه بغاية من الأدب والاحترام، متذكراً أقواله وأفعاله عليه السلام ومتأسياً بها، وأن يدعو الزائر لنفسه، وهذا هو المعنى المختار في مصطلح الزيارة عندنا.

الزيارة بملاحظة أركانها الخمسة، وهي: نصّ الزيارة، والزائر، والمزور، والمزار زماناً ومكاناً، تقسم إلى أقسام خمسة. وما يرتبط بهذا البحث تقسم إلى الزيارة الماثورة، أي ما صدر عن الإمام المعصوم عليه السلام، وإلى الزيارة غير

المأثورة. كما تنقسم الزيارة إلى الزيارة الخاصة وهي التي تختص بإمام معين، وإلى الزيارة الجامعة وهي التي يمكن بها زيارة جميع الأئمة عليهم السلام.

٢ - سند الزيارة و قيمته:

روى الصدوق هذه الزيارة بالسند الآتي: محمد بن إسماعيل البرمكي، قَالَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيُّ. قَالَ قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: (عَلَّمَنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا أَقْوَمُهُ بَلِيغًا كَامِلًا إِذَا زُرْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ...). (الصدوق، ١٤١٣: ٢ / ٦١٠). ورواها الطوسي أيضاً. (الطوسي، ١٣٧٦: ٩٦ / ٦).

وهذه الرواية مسندة وصحيحة أو حسنة. ويدل على ذلك، إضافة إلى قيمة السند، تصريح الصدوق نفسه باعتبار روايات الفقيه بقوله: «بَلْ قَصَدْتُ إِلَى إِيْرَادِ مَا أُفْتِي بِهِ وَأَحْكُمُ بِصِحَّتِهِ وَأَعْتَقِدُ فِيهِ أَنَّهُ حُجَّةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ وَتَعَالَتْ قُدْرَتُهُ وَجَمِيعُ مَا فِيهِ مُسْتَخْرَجٌ مِنْ كُتُبِ مَشْهُورَةٍ عَلَيْهَا الْمُعَوَّلُ وَإِلَيْهَا الْمُرْجِعُ». (الصدوق، ١٤١٣: ١ / ٤). إضافة إلى هذا شهد علماء آخرون على صدورها بقوة المتن: منهم الوحيد البهبهاني. (الوحيد البهبهاني: ١ / ٦١) وجوادي الآملي. (جوادي الآملي، ١٣٨٧: ١ / ٨٧).

٣ - مصادر الزيارة

يمكن الحصول على الزيارة الجامعة التي يرويها الصدوق في الفقيه من المصادر التالية أيضاً: «عيون أخبار الرضا عليه السلام» للصدوق، «تهذيب الأحكام في شرح المقنعة» للطوسي، «المزار» للمشهددي، «بحار الأنوار» للمجلسي، «عمدة الزائر في الأدعية والزيارات» للحسيني الكاظمي،

«الصوارم القاطعة والحجج اللامعة في إثبات صحة الزيارة الجامعة»
للعُقيلي، «أنيس المؤمنين» للمدرسي، «موسوعة زيارات المعصومين عليه السلام»،
«الدعاء والزيارة» للحسيني الشيرازي، «موسوعة الأدعية» للقيومي
الأصفهاني. وهناك من نقل هذه الزيارة بصورة مختلفة عن ما نقله الصدوق
كالكفعمي في «البلد الأمين»، والنوري في «مستدرك الوسائل».

٤ - شروح الزيارة:

لهذه الزيارة شروح، من جملتها: «شرح الزيارة الجامعة» للمجلسي
الأول، «شرح الزيارة الجامعة» للعلامة المجلسي، «الأعلام اللامعة في شرح
الزيارة الجامعة» للطباطبائي البروجردي، «شرح الزيارة الجامعة الكبيرة»
للسبزواري النائيني، «الأنوار اللامعة في شرح زيارة الجامعة» لشبر، «شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة» للأحسائي، «البروق اللامعة» لشريعتمدار
الأسترآبادي، «الإلهامات الرضوية في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة»
للعصار، «الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة» للهمداني الدرود
آبادي، «شرح الزيارة الجامعة الكبيرة» للإحقاقي الحائري، «أدب فناء
المقربين» لجوادي الأملي، وغيرها من الشروح.

ومن المناسب في هذه الفقرة أن نستعرض بعض كلمات العلماء حول
الزيارة الجامعة والتي يظهر منها مكانة هذه الزيارة. فمنها ما قاله المجلسي
الأول بقوله: «إنّ هذه الزيارة أحسن الزيارات وأكملها، وإنّي لم أزر الأئمة
عليهم السلام مادمت في الأعتاب المقدّسة إلاّ بها». (المجلسي، ١٣٧٧: ٨ / ٦٦٤)،
وما قاله العلامة المجلسي: «إنّها أصحّ الزيارات سنداً، وأعمها مورداً،
وأفصحها لفظاً وأبلغها معنىً، وأعلاها شأنًا». (المجلسي، ١٣٦٢: ٩٩ /
١٤٤)، وما قاله المحدّث القمي: «الزيارة الجامعة الكبيرة هي بما تحويه من

الكلمات الفصيحة البليغة المعبرة عن أقصى مراتب الطاعة والخضوع والإقرار بعظمة الأئمة عليهم السلام وجلالهم، هي قد صدرت من منبع الجلال والعظمة الإمام الهادي عليه السلام. (القمي، مفاتيح الجنان: ٨٣٢)، وما قاله جوادى الآملى فى شأن الزيارة الجامعة بأنها هي: «منشور العشق ودستور الإرادة». (جوادى الآملى، ١٣٨٧: ١ / ٣٧).

علاقة الزيارة الجامعة بالعقيدة المهدوية:

قبل بيان العلاقة والصلة بين الزيارة الجامعة والعقيدة المهدوية أودّ أن - أشير إلى إتجاهات رئيسية فى الزيارات الصادرة عن المعصومين عليهم السلام لكي - يُتاح المجال لاستعراض المهدوية فى هذه الزيارة التى هي من أعظم الزيارات شأنًا وأعلّاهما مكانةً. فنقول: اهتمت الزيارات على قول مطلق بأمر مهمّة أساسية فى الثقافة الإسلامية الشيعية، كالتسليم على أولياء الله، والتعريف بالأولياء، والافتداء والاهتداء بهم، والشهادة بالتوحيد والنبوة، وتوريث العلم والكتاب، والتولي لمحبي الله والتبري من أعدائه، والطاعة والمحبة، والدعاء والمناجاة. وهذه الأمور الثمانية نجدّها فى القرآن الكريم، وهذا بمعنى أنّ الزيارات الصادرة عن الأئمة الهادين تتحد مع القرآن الكريم فى هذه المضامين. فما من فعل صدر منه سبحانه أو أرادّه منّا، فقد جاء فى الزيارات، والمأثور منها بالخصوص. فبهذه الأمور يوجدُ علاقةً ورابطةً بين الناس وأولياء الله، والزيارات نفسها تشتمل على جميع هذه الأمور بمفردها، وفى الحقيقة أنّ الزيارات مجمع لكلّ تلك القيم والمبادئ.

١ - ضرورة اطروحة الإمامة :

نعلم على ضوء الثقافة الشيعية أنّ الأئمة وإن كان كلّ واحد منهم يعيش في زمن خاص وموصوف بصفات متميزة، إلا أنّهم كلّهم نور واحد، ولهم رسالة واحدة، وهم الحاملون للواء الإمامة، وعلى ضوء هذه الرسالة القيمة لا بدّ من الأطروحة التي تحوي الخريطة الخالدة أمام السالكين لطريق الهداية والولاية والإمامة. هذا البرنامج هو الذي نسميه بحديث الزيارة. والزيارة الجامعة الكبيرة المهدوية هي أحسنها وجهاً، وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنىً، وأصحّها سنداً، وأعمّها مورداً. وبأقصر العبارات: هي بيان الإمامة، ودستور الإرادة ومنشور التودّد.

قال بعض الأعلام في شأن الزيارة: «إنّ حضور الزائر أمام الإمام المعصوم عليه السلام أو مرقدّه المطهر، هو بنفسه فيض من فيوضات الزيارة، وقراءة متن الزيارة بعد الزيارة الظاهرية إنّما هو لتطويل الحضور وبهجة الوصال والتودد إلى المزور، وقراءة نصّ الزيارة وذكر صفات المزور وكلماته والثناء عليه هي العنصر الرئيسي، بل هو أفضل العناصر لتضعيف الشّعف وكثرة الحلاوة والوصول إلى ذروتها وقمّتها. وما يؤدي هذا الدور العظيم وهذه الترتيلة هو الذي يسمّى بـ[متن] الزيارة». (جوادى الأملى، ١٣٨٧: ١ / ٣٧). وهذا مستفاد من المروي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «إِذَا أَحْبَبْتَ رَجُلًا فَأَخْبِرْهُ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ أَثْبَتُ لِلْمَوَدَّةِ بَيْنَكُمَا». (الكليني، ١٣٦٥: ٢ / ٦٤٤). فعليه تعدّ قراءة الزيارة - لاسيما مآثورها - من ضرورات إعلام المودة وإبلاغ المحبة للمزور. والزيارة الجامعة تقوم بهذا الدور الخطير حالياً عن الغلو وعارياً عن التقصير.

٢ - الرسالة الجوهريّة في زيارة الجامعة:

يبدو بالمرور على الزيارة الجامعة الكبيرة أنّ هذه الزيارة البليغة وإن كانت لا تخلو من المعارف الثمانيّة، إلّا أنّ الرسالة الأصليّة التي تحملها هي التعريف بالإمام عليه السلام حقّ المعرفة ومن لسان الإمام المعصوم عليه السلام، إذ لا يمكن الوصول إلى هذه الحقيقة إلّا من هذا الطريق.

أ - معرفة الإمام من لسان الإمام

لا شك في ضرورة معرفة الإمام لكلّ من يريد متابعة إمام الحق والهدى، حتى ورد في الآثار أنّه قال صلى الله عليه وآله: «مَنْ مَاتَ وَلَا يَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (الكليني، ١٣٦٥: ٢ / ١٩)، وسأل الراوي الإمام الصادق عليه السلام عن معنى الجاهلية؟ أهي جاهلية جهلاء؟ فأجابه بأنّها: «جَاهِلِيَّةٌ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَضَلَالٌ». (الكليني، ١٣٦٥: ١ / ٣٧٧). والجدير بالذكر أنّ كثيراً من الناس حتى المؤمنين منهم يظنون أنّهم يعرفون الإمام عليه السلام، لكنهم ليسوا كذلك، إذ هم لا يعلمون حدود الإمامة، ولا يعلمون خصائص الإمام، ولا يعلمون من أين يجب أن يعرفونه؟ وممّن يسجب أن يتعلمون؟ فالإمام الهادي عليه السلام بيّن الإمامة وعرف الإمام كما طلب منه الراوي في كلام بليغ، وهو من الفصاحة والبلاغة على جانب عظيم يكاد لا يبلغ غايته، ومن الإحاطة والشمول بمكانٍ لم يُعرف نظيره؛ لأنّ فصاحة اللسان في هذه الزيارة حاكية ومبيّنة للمعاني الكريمة بما يجعل الإنسان يتعجّب من هذا البحر الأكرم والمحيط الأعظم.

ب - حصول المعرفة الحقيقيّة

ينبغي لكلّ فرد من الأمة أن يعرف إمامه حقّ معرفته، وحقيقة المعرفة لا تحصل إلّا من مصدر الوحي مباشراً أو عن المصدر المتصل بالوحي. تلك

المعرفة التي عبر عنها الإمام عليه السلام بـ «عارفاً بحقه» في كلماتهم، كما جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام التصريح بمعنى «العارف بالحق»، قال عليه السلام: «يُقْتَلُ حَفَدَتِي بِأَرْضِ خُرَّاسَانَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: طُوسٌ، مَنْ زَارَهُ إِلَيْهَا عَارِفاً بِحَقِّهِ أَخَذَتْهُ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ». ثم سألته الراوي وقال: مَا عَرَفَانُ حَقَّهُ؟ فقال عليه السلام: «يَعْلَمُ أَنَّهُ إِمَامٌ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ غَرِيبٌ شَهِيدٌ». (الصدوق، ١٤١٣: ٢ / ٥٨٤). يستفاد من هذه الرواية وغيرها أن حق عرفان الإمام عليه السلام أن يعرفه المزور في بُعدين: البعد الإلهي والبعد البشري. ففي البعد الإلهي على الزائر أن يدعن ويعترف بمكانة الإمام عليه السلام ومقاماته إلهية، وأنه إمامٌ مفترض الطاعة وحجة على الحق. وفي البعد البشري لا بد أن يعلم بمظلوميته وبالظلم الذي كابده. وعاشر الأئمة عليهم السلام بين هذه الحقائق بأحسن الوجوه، فعرف الأئمة بأنهم أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومهبط الوحي، وقادة الأمم، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيثار، وأمناء الرحمن، والأئمة الدعاة، والسادة الولاة، والقادة الهداة، والمطيعون لله، والمعصومون من الزلل، والمطهرون من الدنس، والقوامون بأمر الله، والعاملون بإرادته، والناشرون لأحكام الله، والراشدون إلى سبيله، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، وغيرها من التعابير والتعاريف اللائقة بشأن العترة الطاهرة.

٣- الرسالة المهدوية في الزيارة الجامعة:

لا ريب في أن المقالات الحقة والمقولات الحقيقية التي نطقت بها الزيارة الجامعة العظيمة بشأن الأئمة عموماً، صادقة على الإمام المهدي عليه السلام خصوصاً؛ لأنه منهم، كما أنهم نور واحد، وأرواحهم واحدة وطبيعتهم واحدة، هذا. ومن جانب آخر نجد ما يمكن أن يقال في سر الزيارة

وفلسفتها: بأن الشخص الزائر في زيارة الأئمة والأولياء يحصل له التوجه إلى العالم الروحاني بالانحراف عن الأحداث المادية والعدول عن العالم الطبيعي، وهذا بعينه نجده في زيارة الإمام الحلي الناظر أيضاً بل هو أشد اتصالاً. ولا شك أيضاً في أنّ الأئمة كلّهم ولا سيما الإمام المهدي - مصداق تامّ للإنسان الكامل الذي يصلح أن يكون أسوة وقدوة دائمة للبشرية. وفي الحقيقة أنّ زيارة هؤلاء الأولياء عبارة عن صلة معنوية دائمة مع هكذا أفراد، والتي في الحقيقة يؤتى بها تأسياً بالقرآن الكريم في مسألة الارتباط بالأولياء الإلهيين، والسرّ في عُلقة العقيدة المهدوية مع زيارة كلّ إمام من الأئمة التي تتجلّى في الزيارة الجامعة هو ترابط الأئمة الأولين الماضين مع آخرهم. وأما القضية المهدوية في هذه الزيارة خاصة فهي كالتالي:

٣-١ - الزيارة الجامعة والتمهيد للعقيدة المهدوية:

كان عصر الإمام الهادي عليه السلام قبيل مسألة مهمة في العالم الإسلامي أي غيبة الإمام، خلافاً للأئمة الماضين الذين يعيشون بين الناس علانية، وبما أنّ غيبة الإمام ستحقق في بداية عمر الإمام المهدي عليه السلام، يؤدي ذلك إلى أمر مهمّ آخر، يعني ظاهرة إمامة الإمام الصغير، فلا بد من تأهيل الأمة الإسلامية لقبول هذا الأمر العظيم الذي يمكن أن يجعل الشك والريب في قلوب كثير من الناس بل المؤمنين منهم. ولذا تصدى محمد بن علي الجواد عليه السلام وابنه علي بن محمد الهادي عليه السلام بقضاء الله تعالى أمر الإمامة في صغر سنّهما، يعني لم يمض من عمر كل منهما إلا ثماني سنين فجعله إماماً، وذلك لبيان أنّ تولى الإمامة منذ الصغر أمر طبيعي. ففي مثل هذا الزمن المضطرب بادر الإمام الهادي عليه السلام بصدور الزيارة المشتملة على القضية المهدوية، ولفت نظر الأمة إليها. ومن جانب آخر لم يعهد ذكر المهدوية في

الزيارات إلا إشارة في مثل زيارة عاشوراء حيث جاء فيها: «وَأَنْ يَرْزُقَنِي
طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ نَاطِقٍ لَكُمْ». (ابن قولويه، ١٣٩٨: ١٧٧).

٢-٣ - تجلّي المهدوية في الزيارة الجامعة:

أشار الإمام الهادي عليه السلام بالقضية المهدوية في ضمن هذه الزيارة الشاملة
لمهمات أمر الإمامة في عدة محاور كما يلي:

الأول: الإيذان بالمهدي عليه السلام

من الأبحاث التي جاءت في هذه الزيارة هي مسألة الإيذان بالإمام
المهدي عليه السلام، أي بعد عديد من الشهادات في مرحلتين وفي أكثر من ستين
فقرة، وبيان وظائف الإمامة الحقّة، فالإمام يعلم الزائر التعبير بكلمات
تحكي عن الإيذان بالمهدي عليه السلام.

١ - الإيذان بالسرّ والعلن:

قوله: «مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ». في تفسير هذه الفقرة وجوه:
(أ) إن المراد بسرّ الأئمة هي أرواحهم الطيبة أو الأسرار التي أودعها فيهم
من الحكمة والعلم والإلهام الذي يتمايزون به عن غيرهم. والمراد بعلانيهم
هي أجسادهم الطاهرة التي هي بمرأى الناس والتي يعيشون بينهم.

(ب) المراد بالسر وجودهم الملكوتي وهم «مَحَالٌّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَسَاكِينِ بَرَكَاتِهِ اللَّهِ
وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ» و«عَيْبَةَ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ
وَنُورِهِ»، و«حَفَظَةَ لِسْرِهِ وَخَزَنَةَ لِعِلْمِهِ وَمُسْتَوْدَعًا لِحِكْمَتِهِ وَتَرَاجِمَةً لَوَحْيِهِ»، و«آيَاتُ اللَّهِ
لَدَيْكُمْ وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ» و«الرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ وَالآيَةُ الْمُخْزُونَةُ
وَالْأَمَانَةُ الْمُحْفُوظَةُ». ويراد بالعلن وجودهم في عالم الملك، أي أنهم بشر مثل

الناس يأكلون ويشربون ويلبسون ويضحكون ويبكون، كما قال الله في شأن النبي الأعظم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (سورة الكهف: ١١٠).
 (ج) أن يراد بالسر الاعتقادات، وبالعلانية الاعمال. (المجلسي، ١٤٢٩: ٤٤٩ / ٩).

(د) أن يراد بالسر ما استتر من الأئمة عن الخلق كغرائب أحوالهم (المجلسي، ١٣٦٢: ٩٩ / ١٤٢) والآيات المكنونة في وجودهم. والمراد بالعلن ما أعلن منها، من المعجزات الباهرات.

(هـ) يمكن أن يراد بالعلن الأئمة الظاهرون واحداً بعد واحد من علي عليه السلام إلى الحسن بن علي العسكري عليه السلام. ويراد بالسر الإمام المستور عن الأبصار والغائب عن الأعيان، وهو المهدي عليه السلام.

هذه الفقرة من الزيارة تعطينا أن إمامة الأئمة الاثني عشر أمر بسيط واحد لا يقبل التبعض ولا لأحد أن يؤمن ببعضهم ويكفر أو يُنكر بعضهم، بل هي بمنزلة قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكُتِبَ لَهُ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٥) «في شأن الأنبياء. فلا يكفي الإيثار بأولهم أو ببعضهم فقط، فإن من أنكر واحداً منهم فقد أنكر الجميع، ومن كذب الآخر من الأئمة فقد كذب من نصبه، فتكذيب آخرهم إنكاراً لإمامة الأول.

وفي حديث أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من عرف الأئمة ولم يعرف الإمام الذي في زمانه أمؤمن هو؟ قال: «لا»، قلت: أمسلم هو؟ قال: «نعم». (الصدوق، ١٣٩٥: ٢ / ٤١٠). فعدم معرفة الإمام القائم في زماننا هذا يوجب الخروج من الإيثار.

٢ - الإيـان بالشاهد والغائب:

يتعلم الزائر من الإمام الهادي عليه السلام أن يقول «مؤمن بما شاهدكم وغائبكم». وأشير إلى هذا التعبير في زيارة الأربعين المأثورة عن الصادق عليه السلام أيضا بقوله: «وشاهدكم وغائبكم وظاهركم وباطنكم». (المجلسي، ١٣٦٢: ٩٨ / ٣٣١).

وفيه وجهان:

أ) أن يكون المراد من الشاهد إمامتهم الظاهرية المشهودة يهدون الناس إلى الرشد ويخرجونهم من الظلمات إلى النور وهم بمنزلة العلامات في البر والبحر. ويراد بالغائب ولايتهم التكوينية الغائبة عن الناس.

ب) أن يراد بالشاهد الأئمة المشهودون للناس، وهم الأئمة كلهم دون المهدي، والمراد بالغائب هو المهدي عليه السلام. (المجلسي، ١٤٢٩: ٩ / ٤٤٩). ودلالة الضمير (كم) في هذه الفقرة على المعنى الأخير واضحة. وتفسير الشاهد بالمشهود، إنما هو لشهودهم في الناس علانية.

ثم إن الاعتقاد بالمهدي والإيـان به كسائر المعتقدات يحصل من طريقين رئيسين:

١. المعرفة العلمية الاكتسابية، وهي ما يحصل من طريق دراسة الدروس والكتب الاعتقادية والكلامية.

٢. المعرفة الإعطائية، وهي ما يحصل من طريق العمل والتحلي بالأخلاق؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (سورة الأنفال: ٢٩). وأيضاً قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٩) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (سورة الطلاق: ٢) بداهة أن إطلاق الآية يشمل كل ما يحتاج إلى الفرقان كما نبه عليه بعض المفسرين. (الطباطبائي، ١٤١٧: ٩ / ٥٧).

٣- الإيمان بالأول والآخر:

أشار الإمام عليه السلام في فقرة أخرى بأن الزائر يقول مخاطباً للإمام المزور بأنّي مؤمن بـ «أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ». وفيه وجوه أيضاً:

(أ) المراد بالأول هو علي بن أبي طالب عليه السلام وبالآخر هو المهدي عليه السلام. (المجلسي، ١٤٢٩: ٩ / ٤٤٩).

(ب) يراد بأَوْلَكُمْ الحياة الأولى، وبأَخْرِكُمْ الرجعة. (المجلسي، ١٤٢٩: ٩ / ٤٤٩). وهذا أيضاً يرتبط بالمهدي عليه السلام؛ لأن المراد بالرجعة إما نفس دولة المهدي وحكومته العادلة، وإما رجعة الأئمة في زمن المهدي عليه السلام.

(ج) ذهب بعض إلى أن المراد بالأول وجودهم قبل إيجاد الخلق، وبالآخر ظهورهم في القيامة ظهوراً تاماً بالولاية الإلهية. (نظامي بورالهمداني، ١٤٣١: ٥٣٥).

(د) يمكن أن يكون المراد من الأول رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن الآخر المهدي عليه السلام. وفي الحقيقة أن الزائر في هذا الخطاب يعلن إيمانه بمسار الهدي الذي بدايته محمد صلى الله عليه وآله ونهايته محمد عليه السلام.

ويدلّ عليه ما رواه زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «...خَلَقْنَا وَاحِدٌ وَعِلْمُنَا وَاحِدٌ وَفَضْلُنَا وَاحِدٌ وَكُلُّنَا وَاحِدٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى». ثم قال الراوي أَخْبَرَنِي بَعْدَتِكُمْ! فَقَالَ: «نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ هَكَذَا حَوْلَ عَرْشِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي مُبْتَدَأِ خَلْقِنَا أَوْلْنَا مُحَمَّدٌ وَأَوْسَطْنَا مُحَمَّدٌ وَأَخْرُنَا مُحَمَّدٌ». (المجلسي، ١٣٦٢: ٢٥ / ٣٦٣)، لاسيما إذا قلنا بأنّ محمداً في هذه الرواية اسم، لا وصف.

الثاني - انتظار المهدي عليه السلام:

المحور الثاني في الزيارة العقيدة المهدوية هو انتظار المهدي وارتقاب دولته. جاء فيها «مُنْتَظَرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِذَوْلَتِكُمْ».

١ - انتظار الأمر:

الانتظار لغة هو: طلب ما يقدر أن يقع. (العسكري، ١٣٥٣: ٥٨). وقال الآخر: الانتظار هو: المطاوعة في النظر والأبصار صبراً، أي اختيار النظر. (المصطفوي، ١٣٦٠: ٤ / ١٤٤). فالمنتظر يطلب باختياره الأمر الذي سيقع ومنتظر المهدي يطلب ظهوره ودولته. ويعلم من الروايات الماثورة عن المعصومين عليهم السلام أن انتظار الفرج لإدالة الصالحين وحكمهم على الأرض من أفضل أعمال العباد. ويدل عليه ما روي عن الرسول الأعظم بأنه قال: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْتَظَارُ الْفَرَجِ». (المجلسي، ١٣٦٢: ١٠ / ٩٤). لكنّه لا ينبغي أن يكتفي بالانتظار، بل يجب عليه أن يكون ثابتاً على الدين والولاية، كما في رواية عن الإمام سيد العابدين عليه السلام أنه قال: «مَنْ ثَبَّتَ عَلَى وَلَايَتِنَا فِي غَيْبَةِ قَائِمِنَا أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ أَلْفِ شَهِيدٍ مِثْلِ شَهِدَاءِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ». (المجلسي، ١٣٦٢: ٥٢ / ١٢٥). ثمّ هذا الانتظار يتجلى أيضاً في زيارة عاشوراء بقوله: «وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ نَاطِقٍ لَكُمْ». (ابن قولويه، ١٣٩٨: ١٧٧)، فإن تمّني الزائر لطلب ثار الأئمة مع إمام مهدي الذي ينطق لهم، أمنية لا تتحق إلا في دولة المهدي.

٢ - ارتقاب الدولة:

قال بعض الأعلام: إنّ الأصل في مادّة الارتقاب هو الحرس بقصد التحقيق أو الإشراف على شيء مفتشاً عن خصوصياته. (المصطفوي، ١٣٦٠: ٤ / ١٩٠). الانتظار والارتقاب وإن كانا مترادفين، لكن إذا

اجتمعا يوجد بينهما فرق، وهو أن الانتظار مقدمة للارتقاب وعدّ السنين والشهور، وفي الارتقاب نوع من القيام على العمل ونوع من قطعية الوقوع بخلاف الانتظار. والمراد بارتقاب دولة الأئمة هو غلبة الأئمة على الأعادي في زمن المهدي عليه السلام. (المجلسي، ١٤٢٩: ٩ / ٤٤٩). كما قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (سورة التوبة: ٣٣). وقال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية وتأويلها: «فَإِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ لَمْ يَبْقَ كَافِرٌ وَلَا مُشْرِكٌ إِلَّا كَرِهَ خُرُوجَهُ حَتَّى لَوْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُشْرِكًا فِي بَطْنِ صَخْرَةٍ لَقَالَتِ الصَّخْرَةُ: يَا مُؤْمِنُ، فِي بَطْنِي كَافِرٌ أَوْ مُشْرِكٌ فَاقْتُلُهُ» قَالَ: «فَيَسْحَبِيهِ اللَّهُ فَيَقْتُلُهُ». (المجلسي، ١٣٦٢: ٥١ / ٦٠).

٣- الانتظار والاستعداد للظهور:

علم الإمام عليه السلام زائر الأئمة بأن يعلن حكمة انتظاره وما يتمناه من الظهور بقوله: «يُظْهِرْكُمْ لِعَدْلِهِ». وذلك لأن تحقق الدولة المهديوية منوط بالزامات عديدة، من جملتها أن يكون المنتظرون على استعداد تام في الجوانب الاعتقادية والقلبية والعلمية والعملية. والشاهد على ذلك أن هذه الفقرة الكريمة كانت عقيب إظهار الزائر بأنه: «لَا يَنْدُ عَائِدٌ بِقُبُورِكُمْ مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ وَمُقَدِّمٌكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي» والإعلان بأنه «مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوْلِكُمْ وَآخِرِكُمْ» والإعلام بأنه «مُفَوَّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ وَمُسَلَّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ وَقَلْبِي لَكُمْ سَلْمٌ»، ولا سيما قوله: «وَرَأَيْ لَكُمْ تَبَعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ».

يبدو من ذلك كله أن الهدف الأقصى من هذه الأمور هو ظهور دولة الحق وإحياء دين الله بتامه؛ للتعليل بقوله: «حَتَّى يُجِيبَ اللَّهُ دِينَهُ بِكُمْ» وذلك سيتحقق في أيام الله الموعودة.

الثالث - دولة المهدي عليه السلام:

المحور الثالث في هذه الزيارة البليغة هو الترغيب على انتظار الدولة المهدوية. وأشار إلى هذه الحقيقة كما مرّ قوله عليه السلام: «مُنْتَظَرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَيْكُمْ». علّم الإمام عليه السلام الزائر أن يقرّ ويعلن أمام كل إمام من الأئمة بأنه منتظر للدولة المهدوية ومرتقب لها. وهذا مشير ومشعر بأن المهدي عليه السلام سيؤدي ما كان يرتقبه الأئمة الماضون وما يتسمنوه، وسينجز ما وعده الله تعالى.

١ - الدولة الكريمة المهدوية:

تحدثت المصادر الإسلامية عن الدولة المهدوية وخصائصها، وحيث أننا لا يسعنا الدخول في ذلك تفصيلاً فسنشير إلى بعض صفاتها. فقد جاء في دعاء أول يوم من شهر رمضان وهو المعروف بدعاء الافتتاح: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَالْقَادَةِ فِي سَبِيلِكَ وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». (الكليني، ١٣٦٥: ٣ / ٤٢٤).

ففي هذه الدولة يكون الإسلام عزيزاً، ويكون المسلمون أعزاء ومقتدرين ولا تلحقهم الهزيمة، ويكون حزب النفاق والمنافقين أذلاء، والمؤمنون في هذه الدولة العزيزة يدعون إلى طاعة الله تعالى ويكون الله مطاعاً حق طاعته، ويصبحوا مكرّمين بكرامة الدنيا والآخرة.

أنّ في هذه الدولة يتحقق الأمن، وتكثر بركات السماء والأرض، كما في رواية محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وَلَوْ قَدْ قَامَ قَائِمُنَا لَأَنْزَلَتِ السَّمَاءُ قَطْرَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا وَلَدَهَبَتِ الشَّحْنَاءُ مِنْ قُلُوبِ الْعِبَادِ وَاضْطَلَحَتِ السَّبَاعُ وَالْبَهَائِمُ، حَتَّى تَمُشِيَ الْمُرَاةُ بَيْنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ لَا

تَضَعُ قَدَمَيْهَا إِلَّا عَلَى النَّبَاتِ وَعَلَى رَأْسِهَا زَيْتُهَا، لَا يُهَيِّجُهَا سَبْعٌ وَلَا تَخَافُهُ». (الصدوق، ١٤٠٣: ٢ / ٦٢٦). وتتم العقول وتكمل الأخلاق؛ لما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَلَى رُءُوسِ الْعِبَادِ فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُمْ وَكَمَلَتْ بِهِ أَخْلَاقَهُمْ [وَأَكْمَلَ بِهِ أَخْلَاقَهُمْ]». (الكليني، ١٣٦٥: ١ / ٢٥). وفي دولة المهدي تشرق الأرض بنور ربها كما قاله الرضا عليه السلام: «فَإِذَا خَرَجَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوَضَعَ مِيزَانَ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ فَلَا يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَدًا». (الصدوق، ١٣٩٥: ٢ / ٣٧١). وتُمَلَأُ الْأَرْضُ قِسْطًا وَعَدْلًا؛ لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا». (المجلسي، ١٣٦٢: ١٢ / ١٩٤). وتعمر الأرض؛ لقول الإمام الباقر عليه السلام: «يُظْهِرُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِهِ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ خَرَابٌ إِلَّا قَدْ عُمِّرَ». (الصدوق، ١٣٩٥: ١ / ٣٣٠). وهذه الدولة تذهب بكل آفة وبليّة كما قاله الإمام السجاد عليه السلام: «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مُؤْمِنٍ الْعَاهَةَ وَرَدَّ إِلَيْهِ قُوَّتَهُ». (المجلسي، ١٣٦٢: ٥٢ / ٣٦٤)

ثم أشار الإمام العاشر عليه السلام في هذه الزيارة بكلمة يمكن أن نشعر بأن هذه الدولة هي آخر الدول، وذلك قوله عليه السلام: «بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ». وفي هذه الفقرة وجوه:

(منها): أن الله تعالى خلق الخلق بكم ابتداءً، ويختتم بكم في القيامة انتهاءً. و(منها): أن الله فتح باب الوحي بمحمد صلى الله عليه وآله قرآنًا ويختتم بالمهدي إلهامًا.

و(منها): أن الله فتح الولاية من محمد صلى الله عليه وآله بالرسالة، ومن علي عليه السلام بالإمامة، ويختتم الولاية والإمامة بالمهدي عليه السلام.

و(منها): أن الله تعالى افتتح الإسلام بالدولة المحمدية، ويختتم الدول الحققة العامة بالدولة المهدوية. وهذا إن لم يكن أظهرًا، لأقل من كونه ظاهرًا.

٢ - العدل المنتظر:

مما أشير إليه في هذه الزيارة هو العدل المنتظر المهدوي بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَيُظْهِرْكُمْ لِعَدْلِهِ». ومعنى هذه الفقرة هو تحقق دولة الحق لإقامة العدل والقسط.

وقال بعض الشراح: إن المراد هو إدالة المؤمنين وحكمهم على الكافرين والمنافقين، والانتقام للأئمة المظلومين والمغصوبين حقهم من الظالمين والغاصبين، وإفشاء تمام الطاعات ومحو تمام المنكرات، فيعبد الله جهرة ولا يشرك به شيئاً من الأسماء الطاغوتية. (الهمداني، ١٤٢٥: ٤٩٥). وجاء في دعاء الافتتاح: «اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَبِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ وَالْعَدْلِ الْمُنْتَظَرِ اخْفُفْهُ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ». (الطوسي، ١٣٧٦: ٣ / ١١٠).

٣ - التمكين في الأرض:

أشار إلى هذه الخصيصة قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَيُمَكِّنْكُمْ فِي أَرْضِهِ». معنى التمكين في الأرض هو: الإقدار عليها، أي جعل الإنسان سُلْطَانًا على الأرض ومقتدرًا فيها. كما جاء في قوله تعالى: «كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ» (سورة يوسف / ٢١ و ٥٦). و قوله تعالى في شأن ذي القرنين: «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلاً» (سورة الكهف / ٨٤)، وقوله تعالى في شأن المؤمنين المجاهدين: «الَّذِينَ إِذَا مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ» (سورة الحج / ٤١).

فالمراد بتمكين الأئمة في الأرض أن ينزلهم الله تعالى منزلة عظيمة، بحيث يقدرهم على كل شيء، ويملكهم ملكاً كريماً يفوق كل ملك، أو يشبثهم مكانهم الذي جعل الله لهم الذي لا يطمع فيه طامع، ولا يسبقه سابق، ولا يلحقه لاحق، كما وعدهم الله بقوله: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (سورة النور / ٥٥). (الهمداني، ١٤٢٥ : ٤٩٥). وجاء أيضاً في دعاء الافتتاح «اللَّهُمَّ... مَكَّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ...». (الطوسي، ١٣٧٦ : ٣ / ١١٠).

٤ - الرجعة في دولة المهدي عليه السلام:

من التعاليم ذات الصلة بالقضية المهدوية التي علمها الإمام الهادي عليه السلام الزائر في زيارته للأئمة المعصومين هي الرجعة.

أ - التعريف بالرجعة:

الرجعة بفتح الراء وكسرهما لغة هي: الرد (ابن منظور، لسان العرب: رجع). والمراد بها في مصطلح علم الكلام هي: سيادة الأئمة على العباد في البلاد واحداً بعد واحد في زمن المهدي عليه السلام.

قال بعض الأعلام في بيان المراد من الرجعة: «إن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّز فريقاً ويذلّ فريقاً آخر». (المفيد، (الف): ٤٨). وقال في موضع آخر: «إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، فأما ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب». (المفيد، (ب): ٧)، ثم موتهم وحشرهم مجدداً يوم القيامة. وهذه الجماعة هم من محض الإيمان أو محض الكفر لما روى حمران بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال «إِنَّ الرَّجْعَةَ لَيَسَتْ

بِعَامَّةٍ وَهِيَ خَاصَّةٌ لَا يَرْجِعُ إِلَّا مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحْضاً أَوْ مَحَضَ الشَّرْكَ مَحْضاً». (المجلسي، ١٣٦٢: ٥٣ / ٣٩). وهذا الأمر على درجة كبيرة من الأهمية ولذا روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِكَرَّتِنَا». (الصدوق، ١٤١٣: ٣ / ٤٥٨).

ب - رجعة الأشخاص أو رجعة الدولة؟:

ذهب بعض الإمامية إلى تأويل الرجعة وإنكارها بالمعنى المشهور قبل يوم القيامة. وقالوا: بأن المراد بها رجوع الدولة لآل محمد عليه السلام في زمان القائم، أي دولتهم الحققة التي تحققت بيد المهدي عليه السلام، لا رجوع أعيان الأشخاص وذواتهم التي كانوا عليها في الدنيا، مستدلاً بأن «لا» في مثل قوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٥) زائدة، فتفيد أنهم يرجعون، أو أن الحرام هنا بمعنى الواجب، أي واجب على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون. وفيه ما لا يخفى من الضعف.

وكذا الإشكال بأن الرجعة تنافي التكليف.

قال العلامة الطبرسي في تفسير هذه الآية: «تأويل الأخبار الواردة في الرجعة لأنها تنافي التكليف ليس صحيحاً؛ لأنه ليس في الرجعة ما يلجئ إلى فعل الواجب والامتناع من القبيح. والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر وقلب العصا ثعباناً وما أشبه ذلك. مضافاً إلى أن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرق التأويل عليها، وإنما المعول في ذلك على إجماع الشيعة الإمامية وإن كانت الأخبار تعضده وتؤيده». (الطبرسي، ١٣٧٢: ٧ / ٣٦٧). مضافاً

إلى ذلك أن إقرار الزائر بالرجعة في حضور كل من الأئمة قرينة على أن الرجعة ستتحقق لكلهم أجمعين.

على أية حال قد تكفلت هذه الزيارة الشريفة ببيان مسألة الرجعة في قسمين من التعابير: التصريح بلفظ الإقرار والإيمان، والإشارة إليها بلفظ الدعاء والطلب. سنشير إلى الأول فيما يلي:

(١) **إياب الأئمة ورجعتهم** لقوله **عاشية**: «مؤمن بإيابكم مُقرّ برجعتكم». قال بعض شراح الزيارة الجامعة: إن الظاهر من إيانه بإياب الأئمة وإقراره برجعتهم، وكذا طلباته من الله تعالى في زمن رجعتهم. أما الأول: فهو قوله **عاشية**: «مؤمن بإيابكم مُقرّ برجعتكم»، وهو صريح في رجعة الأئمة. والفرق بين الإياب والرجوع أن الأول هو الرجوع إلى منتهى المقصد، بخلاف الرجوع فإنه يصدق على الرجوع إلى بعض الطريق. (العسكري، ١٣٥٣: ٢٥٠). إن كلاً من هذه الفقرتين مسوغة للتأسيس لا التأكيد، فالأولى مسوغة لبيان الاعتقاد بأن الرجعة واقعة، لما أخبر بوقوعها من عصمه الله تعالى عن الخطأ والاشتباه لا يتخلف ولا بد من الإيمان به. والثانية مسوغة لبيان صيرورة ذلك الاعتقاد في عالم المعتقد وجدانياً فكأنه يراه؛ لأن التصديق بالشيء عبارة عن تكوّن ذلك الشيء ووجوده في عالم المصدق، لا اعتقاده ولو بمجرد التقليد. (الهمداني الدرود آبادي، ١٤٢٥: ٤٤٤).

ثم وإن الرجعة تكون من أهم تمنيات الشيعة عبر التاريخ، إذ بها تحققت الحكومة والحكم الإلهي العدل. والسّر في حكمة الرجعة هي أن إدالة الأئمة **عاشية** وحكومتهم على الناس، مضافة إلى النصب الإلهي، مشروط بوجود المقتضي ورفع الموانع، فكما مُنعوا من حكومتهم العادلة قسراً بواسطة الجبابة والطغاة، عندما ترتفع تلك الموانع يحكمون واحداً بعد واحد ويستعد المجتمع لحكمهم.

ثم نجد الإشارة إلى الرجعة في زيارة الحسين عليه السلام المروية بالإمام الصادق عليه السلام بقوله «... فمعكم معكم لا مع عدوكم، إني من المؤمنين برجعتكم». (ابن قولويه، ١٣٩٨: ٣٨٥).

(٢) رد الأئمة وكرهم في أيامهم؛ لقوله عليه السلام: «وَيُرَدُّكُمْ فِي أَيَّامِهِ». إن الزائر يعلن بهذه الفقرة اعتقاده بأن الأئمة يرجعون إلى الحياة الظاهرة في الدنيا في الرجعة الصغرى، أي في أيام ظهور دين الله، فإنه أيام الله. (المجلسي، ١٤٢٩: ٩ / ٤٥٠). ويدل عليه ما رواه مثنى الحنّاط عن أبي جعفر عليه السلام يَقُولُ: «أَيَّامُ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ يَوْمٌ يَقُومُ الْقَائِمُ وَيَوْمُ الْكُرَّةِ وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ» (الصدوق، ١٤٠٣: ١ / ١٠٨).

وما يدل على أن الرجعة هنا، غير الرجعة التي هي في القيامة، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (سورة النمل / ٨٣). وذلك لأن في الرجعة الكبرى يُبعث فيها جميعُ الناس أفواجاً، لا فوجاً من كل أمة. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٥). هذه الآية تدل على الرجعة، بل هي من أعظم الدلائل القرآنية؛ لأن أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون إلى القيامة من هلك منهم ومن لم يهلك، فلا بد أن يكون هذا الرجوع في غير القيامة وهو الرجعة في الدنيا.

(٣) تمكين الأئمة في الأرض؛ لقوله عليه السلام: «يُمَكِّنُكُمْ فِي أَرْضِهِ»، وقد مضى معنى التمكين في الأرض بأنه هو الإقدار على الأرض وجعل الإنسان سلطاناً عليها ومقتدرراً فيها. والمراد به في هذه الفقرة هي الدولة الباهرة المهدوية كما ذهب إليه المجلسي في روضته. (المجلسي، ١٤٢٩: ٩ / ٤٥٠). وهو في الحقيقة مقتبس من هذه الآية الكريمة: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي

الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُفَعِّلُهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿٥﴾ (سورة القصص: ٥).

ومن النوع الثاني، أي ما يتحدث عن طلبات الزائر، زمن الرجعة. يعني علم الإمام الهادي عليه السلام الزائر أن يسأل الله تعالى أن يجعله في دولتهم كذا وكذا، فمن ذلك قوله:

(١) كر الزائر في زمن الرجعة؛ لقوله عليه السلام «وَيَكُرُّ [يُكْرُ] فِي رَجْعَتِكُمْ» ففي هذه الفقرة يعلن الزائر تمنيه الكرة في رجعة الأئمة التي تقع في زمان المهدي عليه السلام، ويسأل الله أن يحقق له هذه الأمنية التي من لوازمها كون الزائر من خلص شيعتهم.

(٢) تشریف الزائر في عافية الأئمة؛ لقوله عليه السلام: «وَيُشَرِّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ»، الشرف هو: لعلو والمكان العالي، والعافية بمعنى: السلامة من المكروه، فتحكي هذه الفقرة سؤال الزائر من الله أن يجعله سالماً من كل كراهة ويبلغه مبلغاً عالياً في زمان سلامة الأئمة من بغي كل باغ وطاق. (الهمداني الدرود آبادي، ١٤٢٥: ٤١١). بدهاءة أن هذه السلامة والعافية لا تتحقق إلا في الدولة المهديوية الحققة.

(٣) حشر الزائر في زمرة الأئمة؛ لقوله عليه السلام: «وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ»، قد اقتبست هذه الخصيصة من كتاب الله العزيز، حيث قال تعالى في شأن الناس في يوم الجزاء إثمهم على زميرتين: زمرة الكافرين الذين سيقوا إلى جهنم، لقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ (سورة الزمر: ٧١). وزمرة المتقين الذين سيقوا إلى الجنة، لقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (سورة الزمر: ٧٣). هذا في البعث الأكبر. وأما في البعث الأصغر فيسأل الزائر عند إمامه المزور أن يحشره الله في زمرة الأئمة وأوليائهم، لا في زمرة أعدائهم. كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... فَإِذَا قَامَ قَائِمُنَا

بَعَثَهُمُ اللَّهُ فَأَقْبَلُوا مَعَهُ يُلْبُونَ زُمْرًا زُمْرًا فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرْتَابُ الْمُبْطِلُونَ وَيَضْمَحِلُّ الْمُحِلُّونَ وَقَلِيلٌ مَّا يَكُونُونَ هَلَكْتَ الْمُحَاضِرُ وَنَجَا الْمُقْرَبُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ». (الكليني، ١٣٦٥: ٣ / ١٣١).

٤) جعل الزائر ملكاً في دولة الأئمة؛ لقوله عليه السلام: «وَيُمَلِّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ»، وبالنظر إلى كون الفعل (تَمَلَّكَ) مبني للمجهول، يفيد سؤال الزائر أن يجعله الله تعالى ملكاً من الملوك من قبل الأئمة في دولتهم على رعاياهم. (الهمداني الدرود آبادي، ١٤٢٥: ٤١٠). ومثله قوله عليه السلام: «وَيُمْكِّنُ فِي أَيَّامِكُمْ» وقد مضى معنى الأيام آنفاً، والمعنى أصير ذا قدر ومنزلة في دولة الأئمة وزمان غلبتهم.

٥) سرور الزائر برؤية الأئمة؛ لقوله عليه السلام: «وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَدًا بِرُؤْيَيْكُمْ» وحيث أنه من البديهي أن كلّ محب يحبّ أن يرى محبوبه، ففي هذا الفقرة يتمنى الزائر أن تقرّ عينه برؤية إمامه. وقرة العين كناية عن الفرح والسرور والظفر بالمطلوب، فمعنى ذلك أن يجعل الله زائر الأئمة من المسرورين والفرحين والمظفرين في دولة الأئمة، لا من المغمومين والفاشلين. وقوله: «غداً» قرينة على أن الإمام الذي يحبّ أن يراه هو المهدي عليه السلام. كما أن استخدام كلمة [الغد] في هذه الفقرة تدل على أن الرجعة في رؤية الزائر الذي تعلم من المعالم الهادوية قريبة جداً. وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ (سورة المعارج: ٦-٧).

الرابع: التولي للمهدي عليه السلام والنصرة له

من الأبحاث التي تعرّضت لها الزيارة الجامعة الهادوية هي التولي للمهدي عليه السلام كالتولي بسائر الأئمة الهادين المهديين عليهم السلام ونصرته المعدة له.

١ - التولي للأول والآخر:

إنّ ما يدلّ على ولاية الإمام المهدي عليه السلام في هذه الزيارة البليغة على قسمين: عام، وخاص. أي أنّ هذه الزيارة الشريفة وإن تكفلت بيان مسألة الولاية عموماً بجملها وفقراتها كلّها، إلّا أنّ بعض فقراتها تعرّضت لهذا الموضوع بالخصوص. ومما يدل على ولاية الإمام المهدي عليه السلام بالعموم قوله عليه السلام: «وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوِلَايَتِكُمْ»، وعلق الفوز بولاية الأئمة. وقوله: «وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وَوَلَايَتِكُمْ غَضِبُ الرَّحْمَنِ»، حيث أخبر بغضب الرحمن على جاحد الولاية. وقوله: «بِمُؤَالَاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ»، فعدّ تعليم معالم الدين وإصلاح أمور الدنيا وتمامية الكلمة وتعظيم النعمة وإئتلاف الفرقة من ثمرات الموالات للأئمة. وقوله: «وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ»، فقد اشترط قبول الطاعة الواجبة بموالاتهم. وأيضاً قوله: «وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمُ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ». وهنا يعلم الإمام عليه السلام الزائر أن يسأل الله تعالى جعله من خيار الموالى. وكذا قوله: «مُؤَالٍ لَكُمْ وَأَوْلِيَاءِكُمْ مُبْغِضٍ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ سِلْمٌ لِمَنْ سَأَلْتُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ»، فأخبر بأنه موال لهم ولأوليائهم ومعاد لأعدائهم، وقوله: «وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طِيباً لِحَلْقِنَا وَطَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا وَتَرْكِيَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِدُنُوبِنَا»، فجعل الولاية سبباً لطيب الخلقة وطهارة النفوس وتركية الأعمال وكفارة الذنوب. و«مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ»، فهو إخبار بأن ولاية الأئمة عليهم السلام تساوق ولاية الله تعالى، وعداوتهم تساوي عداوة الله، وحبهم حبّ الله وبعضهم بغض الله.

فكلّ هذه الفقرات تدلّ على وجوب ولاية الأئمة وآثارها، وبها أن المهدي عليه السلام منهم، بل هو اليوم مصداق بارز فتشملة.

وأما ما يدل على ولاية المهدي بالخصوص قوله عليه السلام: «تَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوْلَكُمْ». أي أتولى كل واحد منكم كما توليت أمير المؤمنين عليه السلام، فإن كل واحد من اللاحقين آخراً بالنسبة إلى السابقين، أو اعتقد بوجود المهدي الآن، لا كما قالت به العامة: إنه غير موجود الآن بل سيولد وسيخرج. (المجلسي، ١٤٢٩: ٩ / ٤٥٠).

والمراد بالولاية هنا هي حق التصرف، أي ولاء الإمامة والتصرف الذي كان للنبي صلى الله عليه وآله على إطلاقه وشموله الجاري في أمور الدين والدنيا وفي أبعاده المختلفة الفردية والاجتماعية وفي ساحاته المختلفة من التشريع والقضاء والإجراء.

وهذا النوع من الولاية هي التي انتقلت من النبي صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وبعده من إمام إلى إمام آخر حتى تنتهي إلى المهدي عليه السلام. ومعنى التولي هو اتخاذ الشخص ولياً كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٦)، فيكون التولي هنا بمعنى قبول هذه الولاية للأئمة من أولهم إلى آخرهم، وليست هي المحبة وحدها. ويدل على ذلك عطف الموالاتة والمحبة في فقرة أخرى سنشير إليها وهو يدل على تغايرهما.

ومن المعارف الهادوية في هذه الزيارة أنه لا يكفي إظهار الولاية لساناً، كما لا يكفي الإيمان ببعض الأمور التي يجب الإيمان بها، بل يجب الثبات على الولاية والطاعة للأئمة عليهم السلام كما علم الإمام الهادي عليه السلام الزائر أن يسأل الله ويقول: «فَتَبَّتْني اللهُ أَبَدًا مَا حَيَّتْ عَلَيَّ مُوَالَاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ».

٢ - نصره المهدي عليه السلام:

من تعاليم الإمام العاشر عليه السلام لزائر الأئمة أن يخبرهم بأن نصرته معدة لهم بقوله: «وَنُصِرْتِي لَكُمْ مُعَدَّةً».

قال بعض الشراح في شرح هذه الفقرة المباركة: أي أنتظر خروجكم والجهاد في خدمتكم على أعدائكم، أو أعددت نصرتي لإعلاء دينكم صورةً وبالبراهين معني. (المجلسي، ١٤٢٩: ٩ / ٤٥٠)، أو لبيان دينكم وإعلاء كلمتكم بالبراهين والأدلة بحسب الإمكان. (شبر: ١٧٢).

وقال بعض الشراح: إن هذا التعبير أبلغ لإبراز الشوق إلى الأئمة. (نظامي بور الهمداني، ١٤٣١: ٥٣٩). وذلك لأن المخبر في تعبيره هذا، لا يتوجه إلى البعد الزمني المتصور بينه وبين الرجعة، بل يظن أن الرجعة كأنها واقعة عند مقام التخاطب أو في الزمن القريب جداً، وكأنه قائل: أنا لنصرتكم مستعداً. فعليه يكون زمن النصره وزمن هذا الإحياء العظيم واحد وهو في الرجعة مع المهدي، كما رجّحه المجلسي. (المجلسي، ١٤٢٩: ٩ / ٤٥٠).

نعم، يبدو من كلام بعض آخر من الشراح أن النصره يمكن تحقيقها في عهد الإمام المهدي عليه السلام في زمن غيبته وقبل ظهوره كزماننا هذا؛ لأن الفاء في قوله عليه السلام: «فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ» للتفريع، أي بعد إيماني بكم قلباً ولساناً وسراً وعلانية وانتظاري لفرجكم وإعدادي واستعدادي لنصرتكم، فمعكم في حال حياتي باتباعكم، ومعكم في الرجعة لنصرتكم والانتقام من أعدائكم. (الهمداني الدرود آبادي، ١٤٢٥: ٤٩٥).

ونحن نقول: لو كان المراد من النصره نصره كاملة توجب إحياء الدين إحياءً كاملاً وبتمامه، فلا بد من القول بتحقيقه في الرجعة وبعد الظهور؛ إذ علله الإمام عليه السلام بقوله: «حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ دِينَهُ بِكُمْ» أي أن فلسفة النصره

وغايتها هي إحياء دين الله تعالى بعد الاندراس والانطماس، بحيث يصح أن نعبّر بإعادة الدين وتجديده.

وجاء في الرواية الرضوية الأمرة بالدعاء للحجة قوله: «اللَّهُمَّ وَطَهَّرْ مِنْهُمْ بِلَادَكَ، وَاشْفِ مِنْهُمْ عِبَادَكَ، وَأَعِزِّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخِي بِهِ سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَذَارِسَ حُكْمِ النَّبِيِّينَ، وَجَدِّدْ بِهِ مَا مُجِي مِنْ دِينِكَ، وَبُدِّلْ مِنْ حُكْمِكَ، حَتَّى تُعِيدَ دِينَكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ غَضًّا جَدِيدًا صَحِيحًا مَخْضًا لَاعِوَجَ فِيهِ وَلَا بَدْعَةَ مَعَهُ». (المجلسي، ١٣٦٢: ٣٣٢/٩٢). وأما لو كان المراد بالنصرة النصر الممكنة في كل زمان وإحياء الدين مقارناً في زمن الغيبة فيشمل الإحياء في عهد الإمام المهدي عليه السلام قبل ظهوره كزماننا هذا، وبعد الظهور في زمن الرجعة. ويمكن تأييده بإطلاق قوله «وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ». ثم نجد مثل هذا التعبير في زيارة الحسين عليه السلام المروية عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «ونصرتي لك معدة، حتى يحكم الله». (ابن قولويه، ١٣٩٨: ٣٨٥).

ثم إن الإحياء في هذه الفقرة يتم بعد تحقق الأركان الستة، وهي:

(١) المحيي (بالبناء على الفاعل)، وهو الله تعالى بتصريح الزيارة وهو القادر على الإحياء والعالم بأموره.

(٢) المحيي (بالبناء على المفعول)، وهو الدين كما صرح به في الزيارة، ومعناه أن الدين قبل ذلك الزمان يكون بمنزلة الميت، بل هو ميت حقاً، أي لا أثر ولا ثمر للدين.

(٣) المحيي به، وهم الأئمة، أي في جنب الله تعالى الذي يكون علّة لإحياء الدين، والأئمة هم أسباب الإحياء. كما أن المطر هو يحيي الأرض بعد موتها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (سورة البقرة: ١٦٤)، فشبه الأئمة بالمطر، ووجه الشبه هو الإحياء.

٤) المحيى له، أي الغرض للإحياء، وهو ظهور دين الحق على الأديان كلها، ووراثة المستضعفين في الأرض وجعلهم أئمة وأيضاً رفع الفتنة عن العالم.

٥) المحيى فيه، وهي البيئة التي يجري فيها أحكام الدين، وهي الأرض كلها.

٦) زمن الإحياء، وهو دولة المهدي وما بعدها في الرجعة.

نتيجة البحث:

يبدو عند التأمل في الزيارة الجامعة الكبيرة وما تحويه من المعارف المهدوية أنّ هذه الزيارة هي من التراث الروائي العظيم ولها علاقة خاصة بالقضية المهدوية، فإنّ هذه الزيارة هي من أحسن الزيارات وأكملها مضموناً وأصحها سنداً، وأفصحها لفظاً وأبلغها معنى، وأعلاها شأناً، وهي بنفسها بما تحويه من الكلمات الفصيحة والبليغة المعبرة عن أقصى مراتب الطاعة والخضوع والإقرار بعظمة الأئمة عليهم السلام وجلالتهم، وتشهد بأنّها قد صدرت من منبع الجلال والعظمة الإلهية ويمكن أن نعبر عنها: بأنها فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق. وهذه الزيارة التي تكون صادرة عن الإمام المعصوم عليه السلام هي مصدر للأحكام الفقهية، ومفسر للآيات القرآنية. وقد اشتملت على الإشارة إلى جملة من الأدلة والبراهين المتعلقة بمعارف أصول الدين وأسرار الأئمة الطاهرين، وتضمنت شطراً وافراً من حقوق أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، لاسيما آخرهم الإمام المهدي عليه السلام الذي يجب أن نعرفه في غيبته ومنتظر ظهوره ونعتقد بدولته. كما أنّها تحتوي على القضية المهدوية على حقيقتها، فقد اشتملت على أمور، وهي:

١- الإيمان بالمهدي عليه السلام في تعابير «الإيمان بسرّكم»، و«الإيمان بغائبكم» و«الإيمان بأخركم». وتبين هذه المعارف قبيل غيبة المهدي يكون بمنزلة تأهيل الأمة الإسلامية لقبول هذا الأمر العظيم.

٢- انتظار المهدي عليه السلام، هذا هو المحور الثاني في العقيدة المهدوية في الزيارة الجامعة، الذي علّمه عاشر الأئمة عليهم السلام زائرهم بقوله: «منتظر لأمركم».

٣- الاستعداد لظهور المهدي عليه السلام، فمّا ينبغي للزائر أن يعلن حكمة انتظاره وما يتمناه من الظهور، وهو قوله: «يُظهِرْكُمْ لِعَدْلِهِ». وتحقق هذا الأمر منوط بالالتزامات العديدة التي من جملتها أن يكون المنتظرون على استعداد تامّ في الجوانب الاعتقادية والقلبية والعلمية والعملية.

٤- دولة المهدي عليه السلام، فمن التعاليم الهادوية في هذه الزيارة هو الترغيب بالدولة المهدوية. وقد أشار إلى هذه الحقيقة قوله: «مرتقب لدولتكم». فللزائر أن يقرّ ويعلن أمام كل إمام من الأئمة بأنه منتظر للدولة المهدوية ومرتقب لها. تلك الدولة التي يصفها الإمام المهدي عليه السلام نفسه بالدولة الكريمة التي يكون فيها الإسلام عزيزاً، والمسلمون أعزاء، وحزب النفاق والمنافقين أذلاء، وبركات أخرى.

٥- الرجعة في دولة المهدي عليه السلام. فمن التعاليم ذات الصلة بالقضية المهدوية التي علّمها الإمام الهادي عليه السلام الزائر في زيارته الجامعة، إيمانه بإياب الأئمة وإقراره برجعتهم، أي الاعتقاد بأنّ الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّز فريقاً ويذلّ فريقاً آخر في زمن المهدي بقوله عليه السلام: «مُقَرَّرَ بِرَجْعَتِكُمْ»، وقوله: «يُرُدُّكُمْ فِي أَيَّامِهِ» و«يُمْكِنُكُمْ فِي أَرْضِهِ». وكذا طلب الكرة بقوله: «يَكُرَّرُ فِي رَجْعَتِكُمْ»، و«يُشْرَفُ فِي

«عَافِيَتِكُمْ»، و«يُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ» و«يُمَلِّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ» و«تَقْرَعِيهِ غَدَا بِرِوَايَتِكُمْ» و«يُمْكِنُ فِي أَيَامِكُمْ».

٦ - التولي للمهدي عليه السلام، من الأبحاث التي استعرضت لها الزيارة الجامعة الهادوية هي التولي للإمام المهدي عليه السلام كالتولي لسائر الأئمة الهادين المهديين، ونصرته المُعدّة له عليه السلام، بقوله: «تَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوْلَكُمْ»، أي أتولى كل واحد منكم كما توليت أمير المؤمنين عليه السلام، فإن كل واحد من اللاحقين آخرٌ بالنسبة إلى السابقين، أو اعتقد بوجود المهدي الآن.

٧ - النصر للمهدي، وهي أيضاً من تعاليم الإمام العاشر عليه السلام لزائر الأئمة عليهم السلام، فيخبرهم بأن نصرته معدة لهم بقوله: «نُضِرْتِي لَكُمْ مُعَدَّةً». والسلام على القائم الحجة، بقية الله وخليفته، الإمام المهدي عليه السلام.

المصادر:

١. ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، مع هوامش اليازجي وجمع من أهل اللغة، الطبعة الأولى، دار الصادر، بيروت.
٢. ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الثانية، دار الجليل، بيروت، ١٤٢٠ هجرية.
٣. ابن قولويه، أبو القاسم محمد بن جعفر، كامل الزيارات، دار المرتضوية للنشر، النجف الأشرف، ١٣٩٨ هجرية.
٤. جوادى الأملى، عبد الله، أدب فناء المقربين، الطبعة السادسة، مركز نشر الإسرائ، ١٣٨٧ شمسية.
٥. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، ١٤٠٤ هجرية.

٦. شبر، السيد عبد الله، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٧. الصدوق، محمد بن علي، الخصال، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٣ قمرية.
٨. الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين، الطبعة الثانية، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٩٥ هجرية.
٩. الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، قم، ١٤١٣ هجرية.
١٠. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مكتب النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧ هجرية.
١١. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ناصر خسرو، بتحقيق وتقديم محمد جواد البلاغي، طهران، ١٣٧٢ شمسية.
١٢. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، بتصحيح علي أكبر الغفاري، الطبعة الأولى، نشر الصدوق، ١٣٧٦ شمسية.
١٣. العسكري، أبو هلال، مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٥٣ شمسية.
١٤. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الهجرة، قم، ١٤١٤ هجرية.
١٥. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ شمسية.
١٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٦٢ شمسية.
١٧. المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، الطبعة الأولى، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٤٢٩ هجرية.

- ١٨ . المجلسي، محمد تقي، لوامع صاحب قراني، الطبعة الأولى، دار التفسير، قم، ١٣٧٧ شمسية.
- ١٩ . المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، بنگاه ترجمة ونشر كتاب، طهران، ١٣٦٠ شمسية.
- ٢٠ . المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، بتحقيق إبراهيم الأنصاري الزنجاني الخوئيني، مركز الأبحاث العقائدية، (الف).
- ٢١ . المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (العكبري البغدادي)، تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق حسين درگاهي، مركز الأبحاث العقائدية، (ب).
- ٢٢ . نظامي بور الهمداني، علي، المعارف الرافعة في شرح الزيارة الجامعة، الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤٣١ هجرية.
- ٢٣ . الوحيد البهبهاني، محمد باقر، الفوائد الرجالية.
- ٢٤ . الهمداني الدرود آبادي، حسين، الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة، بتحقيق نبيل رضا علوان، الطبعة الأولى، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر، قم، ١٤٢٥ هجرية.

الانتظار الحقيقي لدولة الإمام المهدي

الشيخ أيوب الحائري

أهمية البحث حول المهديّة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين سيما بقية الله في الأرضين الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ، أمل المستضعفين والمحرومين.

من البحوث الإسلامية التي قد نالت الاهتمام الكثير من قبل علماء الإسلام ومفكريهم هو موضوع الإمام المهدي ذلك المصلح العالمي المنتظر عليه السلام، فقد بُحث من جميع جوانبه على ضوء الكتاب والسنة، والعقل والعلم، وهكذا فلسفة التاريخ (السنة الإلهية) ، كما تطرّق لبحثه غير واحد من رجالات العلم والمعرفة في الأديان والمذاهب السماوية الأخرى. ومسألة الإمام المهديّ الموعود عليه السلام والبحث حولها جديرة بالاهتمام؛ لعدة أسباب:

أولاً: لأتّما من المسائل المهمة في الشريعة الإسلامية ويعتقد بها المسلمون بصورة عامّة ، والشيعيّة بصورة خاصّة، فلا بُدّ من الاهتمام بها ومعرفتها حيث ترجع هذه المسألة إلى ضرورة معرفة الحجة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهم الحجج الاثني عشر الذين أوصى النبي صلى الله عليه وآله بمعرفتهم واتباعهم والاقتراء بهم بعده، وأولهم الإمام علي عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ، فإنّ عدم معرفتهم يوجب عدم أتباعهم وهو موجب للضلال، كما في ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، وإذا مات الشخص ولم يعرف إمام زمانه وحقّته في عصره مات ميتة جاهلية كما ورد في دعاء زمن الغيبة الوارد عن

الإمام الصادق: « اللهم عرّفني نفسك... ».

ثانياً: لأنّ هذه المسألة كانت ولا تزال نافذة أملٍ للمستضعفين، والمحرومين، وهي خير حافزٍ للعمل في سبيل نشر الإسلام والخلاص من الظالمين، ولذا أصبحت اليوم هذه المسألة غرضاً لسهام المغرضين والمنافقين والمستكبرين نظراً لأهميتها في حياة المسلمين.

من هنا لا بدّ من العمل بشتى الأنواع لبثّ وتعميق وعوامة هذه العقيدة الحيوية والبناءة وتكوين حالة عامة من الاعتقاد بالإمام المهدي الموعود عليه السلام ونشر الثقافة المهدوية بين الناس عامة وبين المسلمين بصورة خاصّة، لتهيئ العالم لمجيء ذلك المنقذ الكبير وذلك المخلص العظيم للبشرية من شرور الاستعمار والاستكبار ومن برائن الظلم والجور، والفساد والانحراف، ولتحقق به وعدّ الله الذي لا يتخلف. وإنّ انعقاد أمثال هذه المؤتمرات وكتابة المقالات هو في الواقع خطوة للوصول إلى تلك الأهداف المنشودة.

وإنّ الإيمان بفكرة حتمية ظهور المنقذ العالمي وانتظار ذلك الوعد الإلهي يعبر عن حاجة فطرية عامة للإنسان وتقوم هذه الحاجة على تطلع الإنسان إلى الكمال، فهي فكرة قديمة وليست مقصورة على الإسلام، وقد تعرّض القرآن لهذه الفكرة والوعد الإلهي الذي جاء في الزبور وهو كتاب داوود، والذّكر وهو التوراة، كتاب موسى عليه السلام، بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١)، ولا بدّ أن يتحقق هذا الوعد الإلهي يوماً ما، ولو كان هذا اليوم هو آخر يومٍ من عمر الدنيا كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً من

أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»^(١).

وهذا الأمر لا خلاف فيه بين الأديان والمذاهب، وهذه الحقيقة من شأنها أن تساعد على إسقاط و بطلان الشبهة القائلة بتفرد الشيعة بالقول بالمهدوية، وبطلان الشبهة القائلة بأن منشأ هذه الفكرة اليهود، وبطلان القول بأن المهدوية أسطورة، إذ ليست هناك أسطورة تحظى بإجماع الأديان السماوية ويتبناها العلماء والمفكرون.

وأيضاً: تساعد على بطلان قول القائل بأن فكرة المهدوية وليدة الظروف السياسية الحرجة التي عاشها أتباع أهل البيت Γ ، فما أكثر المظلومين والمضطهدين على مرّ التاريخ وعبر الزمن وفي شتى بقاع الأرض ومع ذلك لم يعرف عنهم هذا الاعتقاد.

إذاً فكرة المصلح العالمي ودولته العادلة المنتظرة لم تخص الأديان السماوية، بل هي فكرة أساسية عند كبار العلماء ومدارسهم الفكرية والفلسفية، وحينما تصرّح الأديان بفكرة المنقذ العالمي فإنها تكشف عن ضمير إنساني يتطلع إلى الحياة الأفضل والمستقبل الأزهر، وحينما يصرّح الإسلام بهذه الفكرة، إنما يصرّح بحقيقة دينية أكيدة آتية لا محالة ويطرحها بنحو أفضل مما طرحتها الأديان السابقة، وحينما يتحدث أهل البيت عليهم السلام عن هذه الفكرة فإنها يقدمون البيان الأكمل في هذا الموضوع، ويشخصون مصاديقه ويذكرون رائد هذا الإصلاح والنهضة العالمية، وقائد عملية الإنقاذ والتغيير الشامل، وهو الإمام محمد المهدي ابن الإمام الحسن العسكري، رجل من ذرية رسول الله $\text{صلى الله عليه وآله}$ ومن ولد فاطمة عليها السلام ومن ذرية الحسين عليه السلام ، الذي ولد في سنة ٢٥٥هـ في سامراء، وهو الآن حي يرزق

غائب عن الأنظار ولكن يقوم بمهامه وينتظر الإذن من الله للظهور والقيام لإقامة العدل والقسط في العالم^(١).

والمتبع للأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي المنتظر عليه السلام في كتب علماء أهل السنة سيجدها تنسجم مع روايات علماء الشيعة وتؤكد حقيقة واحدة، وهي: أن نسب المهدي عليه السلام يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه من أهل البيت عليهم السلام ومن الأئمة الاثني عشر المعصومين، وهو آخرهم، فهذا ابن خلكان (المتوفى عام ٦٨١ هـ) يقول في كتابه وفيات الأعيان: «أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري ابن علي الهادي ابن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية المعروف بالحجة... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين»^(٢). وإن كان المشهور عند أهل السنة أن المهدي هو محمد بن عبدالله، وهو من ولد الحسن، ولكن الأمر المتفق عليه أنه من أهل البيت وأنه من ولد فاطمة. وقد روي عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المهدي من عترتي، من ولد فاطمة»^(٣)، وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً فذلك هو المهدي»^(٤).

ونحن في طرح هذا البحث سلطنا دراسة هذه المسألة على ضوء النصوص من الكتاب والسنة، حيث أورد الشيخ علي اليزدي الحائري في

١ - إن الأخبار الواردة حول المهدي عليه السلام تتمثل في مئات الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته^٥، فراجع معجم أحاديث الإمام المهدي وكتاب منتخب الأثر للصافي الكلبايكاني والكتب الأخرى التي ألفت في هذا الموضوع.

٢ - وفيات الأعيان ٤: ١٧٦ و ٥٦٢.

٣ - الصواعق المحرقة: ١٤١، الباب ١١، الفصل ١.

٤ - تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٣٦٣، منهاج السنة لابن تيمية ٤: ٨٦.

كتابه «إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب» ما يقارب (١٣٣ آية) من الآيات المؤلة والمفسرة بقيام الإمام المهدي، وستتطرق إلى بعضها في طيات هذه البحوث، وأما السنة لقد أحصى العلماء أربع مائة (٤٠٠) حديث عن النبي ﷺ في المهدي الموعود من طرق أهل السنة، كما أُحصيت أكثر من ستة آلاف (٦٠٠٠) رواية من طرق الشيعة من النبي وأهل بيته.

وبما أنه لا يمكن دراسة هذا الموضوع من جميع جوانبه في هذا الوقت القصير، فنكتفي بما يناسب عرضه في المؤتمر الذي سيقام من قبل ممثلية الإمام الخامنئي دام ظلته في العراق، وسنركّز البحث حول عنوانين رئيسيين وأساسيين في الموضوع. العنوان الأول: حقيقة الانتظار وتكليف المؤمنين في زمن الغيبة، والعنوان الثاني: كيفية تكوّن دولة الإمام المهدي عليه السلام وإنجازاتها.

العنوان الأول: حقيقة الانتظار وتكليف المؤمنين في زمن الغيبة:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه...»^(١). فالانتظار الحقيقي لفرجه عليه السلام الذي يكون عبادة بل أفضل الأعمال والعبادات كما صرحت به الروايات، هو الانتظار البناء الباعث للتحرك والالتزام الديني، ولا يتحقق هذا الانتظار الحقيقي إلا ضمن الشروط التالية التي تعتبر من تكاليف المؤمنين المنتظرين لظهوره عليه السلام بل من شرائط التعجيل في الظهور، حيث إنّ الأمة لا بدّ أن تتربى على جميع المستويات حتّى يكون لها القابلية لظهوره والعيش في ظلّ حكومته.

تكاليف المؤمنين زمن الغيبة

أولاً: ترسيخ معرفة الإمام المهدي عليه السلام، والإيمان بإمامته والاعتقاد بظهوره وبدوره التاريخي في الإصلاح.

ثانياً: تربية النفس واعدادها بصورة كاملة من خلال العمل بالكتاب والسنة والتمسك بالثقلين كتاب الله وعترته نبيه صلى الله عليه وآله، وقد صرح الإمام المهدي عليه السلام بحقيقة انتظار فرجه في كتابه إلى الشيخ المفيد، بقوله: «فليعمل كل امرء بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يُدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا يُنجيه من عقابنا ندم على حوبة»^(١)، والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته»^(٢).

ثالثاً: من أهم تكاليف المؤمنين في عصر الغيبة التي أكّدها الأحاديث الشريفة، هو الدعاء للإمام المهدي عليه السلام بالحفظ والسلامة من الأعداء والتصديق عنه وتعجيل فرجه وظهوره والنصر على أعدائه والمواظبة على زيارته وغير ذلك مما ذكرته الروايات، وقد جمعت في كتاب «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم» وكتاب «وظائف الأنام في غيبة الإمام» لآية الله السيد الأصفهاني.

إنّ تعميق الارتباط بالإمام الغائب عن الأبصار يتم من خلال توثيق العلاقة الروحية وتعميق الايمان به واستشعار حضوره وترقب ظهوره في كل يوم بل في كل لحظة، وقد قامت الأدعية والزيارات الواردة عن أهل بيت الرسالة بأداء هذا الدور خير قيام، ففي دعاء الندبة يبلغ الموالي في ندبته لإمامه قمة الارتباط والولاء والشوق حين يندبه كل جمعة بدعاء بليغ يبين

١- الحوبة: الخطيئة، والحبوب: الإثم - مجمع البحرين.

٢- الاحتجاج للطبرسي ٢: ٥٩٩.

فيه شدة الانشداد والتعلق بإمامه المنتظر.

ومن تلك الأدعية المهمة المعروفة التي ينبغي لكل مؤمن منتظر أن يدعو بها في زمن الغيبة، هو دعاء الإمام الصادق عليه السلام الذي علمه لزرارة وقال له: إذا أدركت زمن غيبة القائم ادع بهذا الدعاء: «اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفني رسولك...»^(١).

و الزيارة هي سبيل من سبل الارتباط بالمزور ولا سيما إذا كان غائباً عنا كالإمام المهدي عليه السلام ، ففي الزيارة المعروفة بزيارة آل يس والتي وردت من ناحيته المقدسة، استعراض لحالات الإمام المهدي وسيرته حال غيبته، وما ينبغي للمنتظرين الالتزام به والاهتمام به، هي خطوة من خطوات التمهيد للظهور.

وهناك أدعية وزيارات تضمّنت تجديد العهد بالإمام المهدي عليه السلام والبيعة له والدعاء لحفظه والتعجيل لظهوره والتي يزار بها الإمام عليه السلام أو يدعى له ، وهي ما بين أدعية وزيارات قصيرة ومتوسطة وتفصيلية، وهي كثيرة.

مشروع نشر الثقافة المهدوية بين الناس:

السؤال الذي يطرح نفسه دائماً: كيف يتم ترسيخ الإيمان والاعتقاد بظهور الإمام المهدي عليه السلام وتربية النفوس وإعدادها لذلك اليوم الموعود، وبعبارة أخرى كيف يمكن نشر الثقافة المهدوية بين الناس ، وربطهم بإمامهم الحي الذي لولاه لساخت الأرض بأهلها ، وبه رزق الوري ، وثبتت الأرض والسماء ، والطالب بدم المقتول بكر بلاء؟

والجواب على هذا السؤال: أن هذا الأمر يتم عبر تخطيط وبرمجة مشروع

١ - أصول الكافي ١: ٣٣٧، الغيبة للنعماني: ١٦٦، كمال الدين ٢: ٣٤٢.

متكامل لطوال السنة يلاحظ فيه الأمور التالية:

- ١ - اغتنام المناسبات الإسلامية لنشر الثقافة المهدوية بالأساليب التربوية والثقافية، بالأخص المناسبات المتعلقة بالإمام الحجة كيوم ميلاده المبارك في النصف من شعبان وليالي الجمعة وأيامها، والمناسبات المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام، وأشهر التبليغ وهي: شهري محرم وصفر وشهر رمضان المبارك، والعطل الصيفية.
- ٢ - إقامة سلسلة الدروس والمحاضرات والندوات والمؤتمرات، وطباعة المنشورات، وسائر النشاطات من قبل بعض الجهات والمؤسسات كمجمع أهل البيت والحوزات والمدارس الدينية، والمراكز الثقافية والتبليغية لنشر المعرفة المهدوية.
- ٣ - استخدام جميع الوسائل التبليغية الحديثة والمتطورة والإعلام خاصة الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) لعوامة مسألة المهدوية.

العنوان الثاني : كيفية تكوّن دولة الإمام المهدي عليه السلام وإنجازاتها:

إنّ مواعده ظهور المهدي عليه السلام هي اللحظات التي ينتظرها جميع المستضعفين والمحرومين في الارض خاصة المؤمنين العاشقين لإمامهم، بل ينتظرها أهل السماوات والأرض لأتّها موعد خلاص البشر من جميع أنواع الظلم والاضطهاد. وساعة الظهور هي ساعة اللقاء بوارث الأنبياء والأوصياء ومحقق أحلامهم والمنتقم من أعدائهم. إنه يخرج ومعه سيف جده رسول الله ودرعه وعهده ورايته وقميصيه، فياترى متى يكون خروجه ومن أيّ مكانٍ يظهر؟

لقد ورد في الأخبار أنّ بداية ظهور الإمام المهدي عليه السلام وخروجه عن الاستتار يكون في المدينة المنورة، ويصل المهدي عليه السلام إلى مكة وتمرّ الأيام

القليلة ويعلن الإمام عليه السلام قيامه منها في يوم السبت يوم عاشوراء من الأعوام الفردية، أو يوم الجمعة كما في بعض الروايات، ولعل الجمع بين التاريخين هو أن ظهوره يكون يوم الجمعة وفيها يخطب خطبته في المسجد الحرام فيما يكون خروجه منها باتجاه المدينة ثم الكوفة يوم السبت^(١).

ويحضر الإمام المهدي عليه السلام في ذلك اليوم في المسجد الحرام ويصلي ركعات عند مقام إبراهيم عليه السلام ويقف بين الركن والمقام ويخطب في الناس كراراً ويستنصرهم ويشير في خطبته إلى مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وأول من يبايعه في مكة جبرئيل، ثم يبايعه صفوة أصحابه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً (٣١٣) بعدد أصحاب أهل بدر، حيث جاءوا من شرق الأرض وغربها واجتمعوا في مكة، وهؤلاء قوّاته الخاصة، فمنهم قادة جيشه وأصحاب ألويته، ومنهم ولاته في الأمصار، وهؤلاء رهبان في الليل وليوث في النهار، لم يسبقهم الأولون، ولا يدركهم الآخرون، وهم أطوع لإمامهم من الأمة لسيدها، كما عبّر عنهم الإمام الصادق عليه السلام. وقد أورد السيد محسن الأمين في «أعيان الشيعة» أسماء البلدان التي يخرج منها هؤلاء الأصحاب وعددهم وهي مأخوذة من خطبتين لأمير المؤمنين عليه السلام إحداها خطبة البيان والثانية خطبة يصف فيها أصحاب المهدي.

ومن خواص أصحابه وأعوانه في هذه النهضة العالمية، النبي عيسى، والخضر والياس ويوشع وصي موسى عليه السلام ومؤمن آل فرعون وحييب النجار وأصحاب الكهف، وسلمان الفارسي المحمّدي والمفضل ابن عمير وإسماعيل بن الإمام الصادق وغيرهم من الذين استحقوا الرجعة والمواكبة مع الإمام لنصرته في هذا القيام العالمي. ولعل الحكمة في مواكبة هؤلاء مع

١- راجع الإرشاد: ٣٧٨، كمال الدين ٢: ٦٥٣، إعلام الوري: ٤٣٠.

الإمام هي إتمام الحجّة على أتباعهم.

و يبايع الإمام المهدي عليه السلام سائر الناس من أهل الحجاز واليمن وأصحاب رايات السُّود من إيران، و«الأبدال من الشام، والنجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق»^(١) وغيرهم حتى يتم أنصاره عشرة آلاف، من مختلف أقطار العالم، ثم يسير الإمام عليه السلام بأصحابه (٣١٣)، وأنصاره (١٠٠٠٠) من مكّة إلى المدينة، بعد أن ينصب فيها والياً من قبله، وهناك في المدينة يصلح اعوجاج أهلها ويقوم بأعمال وانجازات فيها، ثم ينصب والياً من قبله ويتوجه من المدينة نحو العراق، ويلتحق بالإمام من الأفراد والمجموعات والجيوش حتى يكتمل جيشه ويستقر في الكوفة ويتخذها عاصمة لخلافته وحكومته إقتداءً بجده الإمام علي عليه السلام كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام^(٢).

ويلاحظ أن المسير الذي اختاره الإمام هو المسير الذي اختاره جده الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة الذي منع جده عن الوصول إليها، فيصل المهدي عليه السلام إليها ويحقق جميع الأهداف الإصلاحية التي سعى لها جده سيد الشهداء عليه السلام، وفي الكوفة يلتحق السيد الحسيني وجيشه بالإمام عليه السلام ويبايعونه، ثم الإمام المهدي عليه السلام وبعدهما تستقيم له في الكوفة الأمور، يتوجه نحو الشام للقضاء على السفيناني، ويصل بجيشه إلى فلسطين، عندها ينزل السيد المسيح عيسى عليه السلام من السماء ويقتدي به في الصلاة، وينصره في حربه مع جيش السفيناني^(٣). وإن نزول النبي عيسى بن مريم عليه السلام من السماء والاقتران بالإمام المهدي عليه السلام ومعها الإنجيل الأصلي

١ - معجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ١٠٢ ح ٦٤٥.

٢ - راجع غيبة الطوسي: ٢٧٤، وبحار الأنوار ١٣: ١٨٠.

٣ - راجع الإرشاد: ٣٧٨، وكمال الدين ٢: ٦٥٣.

من الحقائق الثابتة عند جميع المسلمين، ويعتبر نزوله من أهم الحوادث، وأعظم الآيات والدلالات على حقانية الإمام المهدي عليه السلام، ولعلّ الحكمة في نزوله هي تقوية الإمام المهدي عليه السلام، وإتمام الحجة على المسيحيين. وكذلك تتم الحجة على اليهود حيث يخرج الإمام بعصا موسى وتوراته وألواح وتابوت السكينة من بحيرة طبرية.

كيف تكون دعوة الإمام المهدي عليه السلام وحرابه؟

لا شك أنّ الإمام المهدي عليه السلام في البداية يدعو الناس إلى الحق والتوحيد بالسلم وكجده رسول الله يقول للناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فالنصارى الحقيقيين إذا سمعوا بأن عيسى بن مريم عليه السلام قد نزل من السماء واقتدى بالإمام المهدي عليه السلام تجدهم يدخلون تحت راية الإمام المهدي عليه السلام ويعتقون الدين الإسلامي، وهكذا تخضع للإمام المهدي عليه السلام أكثر الدول والحكومات المسيحية وهكذا ترجع النصارى عن تأليه عيسى بمشاهدتهم لمناصرة نبهم لخاتم الأوصياء. وأمّا اليهود الحقيقيون فإنهم يجتمعون عند الإمام المهدي عليه السلام فيخرج لهم ألواح التوراة الحقيقية فيجدون فيها أوصاف الإمام وعلائمه، فيؤمنون به ويعتق الكثير منهم دين الإسلام، وأمّا سائر الأديان والملل فيدعوهم الإمام إلى الإسلام الصحيح الكامل، فيتقبله أكثر الملل والشعوب وتنقاد له أكثر الدول والحكام، ومن لم يخضع للحق بالسلم الذي يدعو إليه الإمام فالسيف والحرب يحكم بينهم، فيضطر الإمام أن يحارب المعاندين والمخالفين للحق والمنافقين والكافرين في جميع العالم.

والإمام عليه السلام في حربه ضد البغاة والطغاة والكفرة يستخدم القوة والسلاح المشروع بأنواعه البارد والحار من السيف والسلاح المتطور،

ولعله ما ورد في الأخبار أن للإمام أسلحة من حديد لو نزل على جبل لقسمه نصفين إشارة إلى تلك الأسلحة القوية المتطورة. كما أنه يأتي المدد الغيبي للإمام عليه السلام وجنوده بواسطة الرعب والخوف الذي يلقيه الله في قلب العدو، أو بإظهار الكرامات أو بإرسال الملائكة والجن المؤمن لنصرة الإمام وجنوده كما صرحت بذلك الروايات، فعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١)، قال: «هو أمرنا يعني قيام قائمنا آل محمد أمرنا أن لا نستعجل به، فيؤيده إذا أتى عليه ثلاثة جنود: الملائكة، والمؤمنون، والرعب»^(٢).

والإمام عليه السلام كما ورد في الأخبار في حروبه هذه سوف يفتح جميع المدن والبلدان، فيملك مشارق الأرض ومغاربها، وهكذا تستغرق مدة حروب الإمام ثمانية أشهر، ويمكنه الله في الأرض بحرها وبرها وسيطر على جميع العالم ليطبق حكم الله فيه، فعن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَ اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٣): «فهذه لآل محمد إلى آخر الأئمة والمهدي وأصحابه يملكهم الله الأرض ومغاربها»^(٤).

هذا وسيعم العالم دين الإسلام في ظل حكومة المهدي، ويكون دين الحق كله لله، كما روي عن المفضل بن عمر، قال: سألت سيدي أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في ضمن حديث طويل إلى أن قال قلت له: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالمُهْدَى وَ دِينَ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ

١ - سورة النحل: ١.

٢ - بحار الأنوار ٥٢: ٣٥٦.

٣ - سورة الحج: ٤١.

٤ - البرهان ٢: ٩٦.

المُشْرِكُونَ»^(١)، ما كان رسول الله ﷺ ظهر على الدين، قال ﷺ: «...يا مفضل لو كان ظهر على الدين كله ما كان مجوسية ولا نصرانية ولا يهودية ولا صابئة ولا فرقة ولا خلاف ولا شك ولا شرك ولا عبدة أصنام ولا أوثان...، وإنا قوله: ﴿...لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾ في هذا اليوم، وهذا المهدي وهذه الرجعة، وهو قوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢)»^(٣).

ومع التمكين في الأرض للإمام وتأسيس حكومته العادلة العالمية، وزوال القوى الشيطانية، تخدم شعلة الحرب وتضع الحرب أوزارها، وتعمُّ دولة المهدي الأمن والسلام والرفاه في العيش للناس.

ما هو دور الإيرانيين في نهضة المهدي ﷺ؟

لقد كان للإيرانيين الدور البارز والمشهود في مساندة الرسالة المحمدية من بداية عصر الرسالة إلى يومنا هذا، والروايات الواردة عن المعصومين والعلماء وتاريخ الإسلام تشهد بذلك، ومن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع كتاب «الإسلام وإيران» للأستاذ الشهيد مرتضى مطهري. وحسب الروايات والأحاديث الواردة سيكون للإيرانيين الدور المهم في التمهيد لظهور المهدي ﷺ ومواكبة ومؤازرة المسيرة الإصلاحية لنهضة حفيد الرسول ﷺ حتى النصر النهائي، وتشكيل دولته العالمية.

١ - سورة التوبة: ٣٣.

٢ - سورة البقرة: ١٩٣.

٣ - معجم أحاديث الإمام المهدي ٥: ١٥٧ نقلًا عن تفسير الرازي ١٦: ٤٠.

ويمكن تلخيص تلك الأعمال البارزة التي سيقومون بها في ظل حركة الظهور المقدس وإقامة الدولة الكريمة ، في ضمن الأمور التالية :

أولاً: وجود أنصار المهدي عليه السلام الخواص من إيران، فإن حضور عدد كبير من إيران بين أصحاب الإمام الخواص ، هو خير دليل على الدور المهم الذي سيقوم به الإيرانيون في نهضة الإمام الحجة عليه السلام، وهؤلاء من مدن الأهواز وشيراز والديلم وقزوین و الري وطوس وغيرها من المدن، وأكثرهم عدداً من مدينتي قم وطالقان، وقد ذكرتهم الروايات منها الرواية المنقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام في «دلائل الإمامة»^(١).

ولا شك أن لقم وأهلها، بحسب ما نستفيد من الأحاديث، دوراً كبيراً في التمهيد لظهور الإمام المنتظر عليه السلام، وسوف يكون لهم الدور الفعال في قيامه وتشكيل دولته العالة ، ولقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : «إنما سميت قم؛ لأن أهلها يجتمعون مع قائم آل محمد صلى الله عليه وآله ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه»^(٢).

وأيضاً فإن وجود مسجد في قم ينسب إلى صاحب الأمر والزمان عليه السلام، والذي يقصده المسلمون من كل مكان، ويدعون لسلامة الإمام وتعجيل ظهوره، يدل على مدى أهمية قم وأهلها كأحد القواعد الأساسية لقيام الإمام المنتظر عليه السلام.

وبالنسبة إلى طالقان لقد عبرت عن رجالها في الروايات بـ «كنوز الطالقان»، فقد روى ابن أعثم الكوفي في كتاب «الفتوح» عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ويجاً للطالقان، فإن فيها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة،

١ - راجع دلائل الإمامة: ٣٠٧.

٢ - ترجمة تاريخ قم: ١٠٠، وفي بحار الأنوار ٦٠: ٢١٦.

ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حقَّ معرفته، وهم أيضاً أنصار المهدي في آخر الزمان»^(١).

ثانياً: خروج الرايات السود و أهل المشرق بقيادة الخراساني وشعيب ابن صالح: ومن العلامات الحتمية التي وردت في سياق علامات الظهور، تلك الروايات التي تشير إلى رايات السود لقوم من المشرق ومن خراسان ، يخرجون لنصرة المهدي ومؤازرته في قتال أعداء الدين، و لا شك أن هؤلاء القوم من أهل إيران ، فعن النبي ﷺ: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتطريداً وتشريداً حتى يأتي قوم من نحو المشرق أصحاب رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوها حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها عدلاً كما ملأوها ظلماً فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم ولو حبواً على الثلج، فإنه المهدي»^(٢)، وفي رواية أخرى عنه ﷺ تصرّح بأن هؤلاء الناس من المشرق، هم من أهل خراسان: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فاستقبلوها مشياً على أقدامكم، لأنَّ فيها خليفة الله المهدي ﷺ»^(٣).

إيران الإسلام تُمهّد لظهور الحجة ﷺ

إنَّ وقوع نهضة الشعب الإيراني وانتصار ثورته الإسلامية المباركة في عصرنا هذا التي بدأت من قم بقيادة الإمام الخميني قدس سره^(٤)، وأثمرت بتشكيل

١ - بحار الأنوار ٥١: ٨٧ باب ١، وراجع أعيان الشيعة ١: ٨٤.

٢ - بحار الأنوار ٥١: ٨٢ باب ١.

٣ - المصدر السابق ٥١: ٨٢ باب ١.

٤ - الإمام الخميني + هو أبرز شخصية علمية سياسية، اجتماعية، في العالم الإسلامي المعاصر، ولد في مدينة خمين التابعة لمحافظة أراك وذلك في العشرين من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ هـ ذكرى ولادة جدته السيدة فاطمة الزهراء + وقد نشأ وترعرع ودرس في مدينة النجف الأشرف وقم المقدسة، وانطلق بثورته الإسلامية المعروفة من مدينة قم إلى أن

الحكومة الإسلامية والتي لا زالت تواصل الإثارة والعطاء بقوة بقيادة الإمام الخامنئي «امظلل»، هو دليل آخر على مكانة إيران والإيرانيين ودورهم في التمهيد لظهور الحجة المنتظر عليه السلام كما تشير إلى ذلك الرواية التالية الواردة عن الإمام الكاظم عليه السلام، حيث يقول عليه السلام: «رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ قُمْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، يَجْتَمِعُ مَعَهُ قَوْمٌ كَزُبْرِ الْحَدِيدِ، لَا تُزَهُمُ الرِّيحُ الْعَوَاصِفُ، وَلَا يَمَلُّونَ مِنَ الْحَرْبِ، وَلَا يُجْبُونُ، وَعَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُونَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»^(١)، وفي رواية أخرى عن أبيه الإمام الصادق عليه السلام: «كأني بقوم خرجوا من المشرق يطلبون الحق... ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، قتلهم شهداء، أما إني لو أدرك ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»^(٢).

إنَّ ما تقوم به الجمهورية الإسلامية في عصرنا هذا من التصدي لأعداء الدين و الدعوة إلى الإسلام المحمدي الأصيل في قبال الإسلام الأمريكي الذي يُروِّجه الغرب ، والدفاع عن الشعوب المستضعفة ودعم حركات التحرير في العالم، ومساندة المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين وأفغانستان والعراق وغيرها من البلدان تجاه الاستكبار العالمي، كلّه في الواقع يشكّل التمهيد العام لظهور الإمام الحجة المنتظر عليه السلام، وسيصبح هذا النظام الإسلامي بشعبه وحكومته من القوائد الأساسية لتشكيل دولة

⇒

انتصرت في (٢٢/ بهمن/ ١٣٥٧ هـ. ش = ١١ / شباط/ ١٩٧٩ م) وبعد ١١ سنة من عمر الثورة الإسلامية توفي في اليوم (١٤ / خرداد/ ١٣٦٨ هـ. ش = ٤ / حزيران/ ١٩٨٩ م)، ودفن في مقبرة بهشت زهراء+ (جنة الزهراء) بطهران، عملاً بوصيته، ودفن بعد ذلك بجانبه ابنه السيد أحمد عليه السلام، وتعلو مرقده+ قبة رئيسية مطلية باللون الذهبي تحيطها أربعة قباب. وهذه القباب الخمسة ترمز إلى أصحاب الكساء الخمس حيث كان الإمام الراحل+ متمسكاً بهم وبنهجهم القويم، والمرقد يقع في بداية أتوستراد طهران قم، ولذا فإن أغلب المسافرين الذين يمرون عليه يذكرون الإمام+ بالخير ويقرأون على روحه سورة الفاتحة، فسلام عليه يوم ولد، ويوم أدى رسالته، ويوم مات، ويوم بيعت حياً.

١- تاريخ قم: ١٠٠.

٢- بحار الأنوار ٥٢: ٢٤٣. علامات ظهوره.

ذلك المصلح العالمي إن شاء الله.

كيف تتكوّن دولة آل محمد ﷺ وما هي إنجازاتها؟

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١) ، إن هذه الآية وإن وردت في شأن بني إسرائيل واستيلائهم على زمام الأمور بعد تخلصهم من قبضة الفراعنة، ولكن هذا التعبير ﴿وَنُرِيدُ﴾ يشير إلى إرادة إلهية مستمرة، ولذلك طبقت الآية في الكثير من الروايات على زمن ظهور المهدي ﷺ^(٢).

ويتمثل هذا الاستخلاف و التمكين بإشادة دولة الحق العالمية العادلة في الكرة الأرضية، وذلك في آخر الدهر ونهاية مسيرة الإنسان في هذه الحياة ، وهي دولة الإمام المهدي ﷺ والتي عبّر عنها في الروايات، بدولة آل محمد ﷺ ، وفي الأدعية بالدولة الكريمة، وستكون هذه الدولة آخر الدول كما أخبر بذلك الإمام الصادق حيث قال ﷺ :

«لكل أناس دولة يرقبونها ودولتنا في آخر الدهر تظهر»^(٣)

وكما أخبر بذلك الإمام الباقر ﷺ حيث قال: «إنّ دولتنا آخر الدول، ولن يبقى أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لثلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجل ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

١ - سورة القصص: ٥.

٢ - الغيبة للطوسي: ١٨٤.

٣ - بحار الأنوار ٥١: ١٤٣ ح ٣٠.

٤ - بحار الأنوار ١٣: ١٨٩.

وطالما دعونا وسندعو لتحقيق هذه الدولة الكريمة التي فيها عزّة الإسلام وأهله: «اللهم، إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّبها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة»^(١).

وتتكون هذه الدولة الكريمة التي طالما انتظرها المستضعفون في الأرض، بعدما يظهر المهدي عليه السلام ويقوم بالأمر من مكة المكرمة ويسير نحو المدينة ثم يتوجه نحو العراق ويستقر في الكوفة، ويتخذها مركزاً وعاصمة لخلافته ودولته العادلة، كما كانت عاصمة جدّه المرتضى، ثم يفتح الإمام عليه السلام شرق العالم وغربه ويبعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً إلى الآفاق كلها ولاة من قبله في الأمصار المهمة^(٢).

وينشر الإمام عليه السلام الإسلام في جميع أرجاء العالم، ويسير ويحكم ويطبق الإسلام حسب كتاب الله وسنة نبيه وجمعه أمير المؤمنين عليه السلام ويحكم بين الناس بعلم الإمامة ولا ينتظر شهادة الشهود ولا إقامة البينة من المدعي، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلى بيّنة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه، ويخبر كل قوم بما استبطنوه»^(٣).

وينهي الإمام عليه السلام الحالة المذهبية، فيوحد المذاهب الإسلامية على أساس السنة النبوية النقية فهو كما قال جدّه عليه السلام: «سنّته سنّتي، يقيم الناس على ملتي وشريعتي»^(٤).

ومع أنّه تنص الأحاديث الشريفة أنه عليه السلام يسير بسيرة جدّه عليه السلام، ولكنّ

١ - فقرات من دعاء الافتتاح (مفاتيح الجنان، أعمال ليالي رمضان).

٢ - راجع بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٦.

٣ - المصدر السابق ٥٢: ٣٣٩.

٤ - كمال الدين ٢: ٤١١، الباب ٣٩ ح ٦.

ثمة فروقاً بين السيرتين تفرضها بعض الخصوصيات الزمانية لكل منها، كما في سياساته العسكرية والإدارية والقضائية، فالإمام يحكم بين الناس بعلمه إذا لم تك بينة كما أشار جده الإمام الصادق عليه السلام في الحديث السابق، وهي من خصوصيات الإمام عليه السلام، فلا يضر ذلك بحقيقة أن سيرتهما واحدة.

ماهي إنجازات وبركاتها دولة الإمام المهدي عليه السلام الكريمة؟

لا شك أن عصر الإمام المهدي عليه السلام يصبح من أفضل العصور منذ خلق الله آدم عليه السلام، ومن الصحيح أن نسمي عصر الإمام بعصر النور وعصر العلم والثقافة؛ لأن في عصره تتكامل العقول والعلوم للبشرية الإسلامية وغيرها من العلوم الطبيعية والتجريبية و...، وتنعم البشرية في دولة المهدي عليه السلام بالأمن والرخاء والعدالة والحرية وتوفر جميع مستلزمات الحياة الكريمة.

وخلال حكمه تظهر الأرض بركاتها وتزداد الثروة وينعدم الفقر ويعيش البشر حياة سعيدة في أمن وأمان، لا فقر ولا حرمان، ولذلك يرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء كما أخبر عن ذلك جده المصطفى صلى الله عليه وآله : فعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «تنعم أمتي زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً، ولاتدع الأرض شيئاً من النبات إلا أخرجته والمال كدس، يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ»^(١).

وهكذا يسود الإسلام والسلام في كافة بقاع الأرض، وترى الشعوب والحكومات تدخل في دين الإسلام أفواجا، وينعم جميع البشر في ظل هذه

الدولة الكريمة.

والشيعة الذين كانوا في عصر الغيبة يتعرضون للظلم والاضطهاد من قبل الأمويين والعباسيين والعثمانيين وأمثالهم من حكام الجور، فإنّ في دولة المهدي عليه السلام سوف تنتعش وسيبلغون قمة العزة والقدرة كما جاء هذا المعنى في حديث الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «يكون في شيعتنا في دولة القائم عليه السلام سنام الأرض وحكامها يعطى كل رجل منهم قوة أربعين رجلاً»^(١).

وتستمر حكومة الإمام المهدي عليه السلام حوالي عشرين سنة حسب ما جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام، منها قول الإمام الصادق عليه السلام «يملك القائم عليه السلام تسع عشرة سنة وأشهرًا»^(٢)، وهناك أقوال أخرى^(٣) حول مدة حكومته، وتصرح بعض الروايات أنّ تلك السنين أطول من سنيننا المتعارفة حيث تطول فيها الأيام والليالي.

وبعد أن تحقق دولة الإمام المهدي عليه السلام أهدافها ، وبعد أن ينجز الإمام عليه السلام كل المهام المأمور إلهيا بإنجازها يتوفاه الله تعالى بالأجل المحدد ، ويدركه الموت الذي لا بد منه إمّا بالسم أو بالقتل، فإنّ الإمام المهدي يشمل هذا الحديث: «ما منّا إلّا مسموم أو مقتول»^(٤) ، ثمّ بما أنه من جملة معتقدات الشيعة أن الإمام المعصوم لا يغسله ولا يصلي عليه إلا الإمام المعصوم، فمن يغسل الإمام المهدي ويصلي عليه؟

إنّ الأحاديث والزيارات تصرّح برجعة بعض الأئمة من أهل

١ - بحار الأنوار ٥٢: ٣٧٢.

٢ - الغيبة للنعماني، باب ٢٦ ح ٢.

٣ - راجع كتاب منتخب الأثر: ٤٩٢.

٤ - بحار الأنوار ٢٧: ٢١٧ ح ١٩.

البيت عليه السلام ^(١) ، وأول من يرجع هو الإمام الحسين عليه السلام حيث يقوم بتجهيز الإمام والصلاة عليه ودفنه ، يقول الإمام الصادق عليه السلام : «... فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله عليه السلام وكفنه وحنوطه ويواريه في حفرته» ^(٢) ، كما تصرّح الروايات برجعة بعض الأنبياء والأولياء والمؤمنين ولو بصورة محدودة وبمهمة خاصة. ولا يعلم تفصيل ذلك كماً وكيفاً إلا الله تعالى.

ومن الزيارات الماثورة المروية عن الأئمة عليهم السلام التي فيها التصريح بالرجعة هي الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام ، وهي من أفضل الزيارات التي يُزار بها كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام وفيها ورد: «... مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم...» ^(٣). وفي زيارة الإمام المهدي عليه السلام المعروفة بزيارة (آل ياسين)، والتي صدرت من ناحيته المقدسة جاء: «... وإن رجعتكم حق لا ريب فيها...».

ولقد أراد الإمام المهدي عليه السلام من شيعته بأن يزوره بهذه الزيارة، حيث خرج التوقيع من الناحية المقدسة لمحمد بن عبدالله بن جعفر الحميري بعد الإجابة على المسائل: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون، حكمة بالغة فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون. السلام عليك وعلى عباد الله

١ - تعني الرجعة، أن الله سبحانه وتعالى سيعيد أشخاصاً من الأموات إلى الدنيا، وإن هؤلاء على قسمين: من تخضع الأبرار محضاً في حياته الأولى، ومن كان قد محض الكفر محضاً فيها، ثم يدبّل الله سبحانه وتعالى المحققين من المبطلين والمظلومين من الظالمين، وأن ذلك سيحدث لدى قيام المهدي عليه السلام، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت. وهناك من فتر- الرجعة بأنها تعني رجعة الحق إلى نصابه وذلك على يد المهدي عليه السلام. والرأي الأول هو الشائع بين الإمامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام. والرجعة ليست من تلك الأصول التي لا يسوغ الخلاف فيها، وقد أجاد الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء حيث يقول: «ليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم، ولا إنكاره بضرار...» (أصل الشيعة وأصولها: ٣٥)، ولمزيد الإطلاع حول الرجعة راجع إثبات الرجعة لابن شاذان، وكتاب الرجعة للشيخ الصدوق، وإثبات الرجعة للعلامة الخلي.

٢ - بحار الأنوار ٥٣: ١٠٣، باب ٢٩ ح ١٣٠.

٣ - عيون أخبار الرضا ١: ٣٠٧، بحار الأنوار ٩٩: ١٣١.

الصالحين، إذا أردتم التوجه بنا إلى الله تعالى، وإلينا فقولوا كما قال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَس...﴾.

وبعد أيام قليلة من شهادة القمر الثاني عشر والأخير من أقطار أهل البيت، (ما يقارب أربعين يوماً كما روي)، وبعد انتهاء دولة آل محمد تأتي النفخة الصور فيموت من في السموات والأرض: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾، وتنتهي الحياة الدنيا، وستبدأ الحياة الأبدية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الصبر والصمود في ثقافة الانتظار

نورالدين شريعتمدار الجزائري

الصبر والانتظار متلازمان مفهوماً ومصداقاً أي يتبادر كل منهما من الآخر، ولا يوجد في الخارج مصداق لكل منهما إلا مع الآخر، فلا ينتج الصبر إلا مع الانتظار ولا ليتحقق الانتظار إلا مع الصبر، وقد يلزم الصبر في الانتظار تحمل المشاق والمصائب كما ان الظفر بالمطلوب لا يحصل إلا بالصمود والاستقامة، وللانتظار في ثقافة الإسلام و التشيع منزلة رفيعة ومكانة مرقومة في الروايات الواردة في المهدوية فإن للمهدي عليه السلام غيبة وحيرة يضل فيها الناس ولا يهتدي فيها إلا القليل ممن وفي لرعاية الحق في أهل البيت وفيما أوصى النبي صلى الله عليه وآله فيهم فعن أمير المؤمنين عليه السلام : «يكون لغيبته حيرة يضل فيها اقوام ويهتدى آخرون أولئك خيار الأمة مع ابرار العترة»^(١).

وأما الانتظار والأمل بالمستقبل فأمرين متلاحمين في حياة الإنسان فلا معنى للحياة إلا مع الانتظار ولا دوام لها ولا الاستمرار فيها إلا به، والحركة الدائبة في تحصيل تطلبات الحياة و السعي في تحقيق متمنياتها لا توجد إلا بالانتظار؛ لأن احتمال البقاء المعقول يوجب الصمود والمقاومة في تداوم الحياة المريحة ويعطى لها الواقعية والحقيقة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما رضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجراً»^(٢).

١ - الزام الناصب : ٥٥.

٢ - أعلام الدين : ٢٩٥.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الأمل رفيق مونس»^(١)، وقال علي بن الحسين عليه السلام:
 «اللهم رب العالمين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين، أسألك من الآمال أوفقها»^(٢).
 فللانتظار علاقة خاصة بواقع الحياة غير منفصلة عنها ومحركة للإنسان
 الى الجهة المناسبة لمطلوبه وصارفة له عن كل الجهات غير المناسبة له.
 وللانتظار في الظفر بالأهداف العالية في الحياة قيمة راقية في انجاز الأعمال
 للحركة إلى تحقيقها وانتخاب الطرق والأساليب المنتهية اليها ورفع الموانع
 الموجودة فيها و لو بتحمل الصعوبات والشدائد، والمنتظر لا يقف عن
 الحركة نحو الهدف المطلوب ولا ينجب عن أمله وامنيته الا مع الوصول الى
 مطلوبه، فالانتظار هو المحرك لتجهيز الأسباب وتهيئة المقدمات والمجالات
 لتحصيل المطلوب.

ثم إن من الوظائف المقررة لشيعه أهل البيت (صلوات الله عليهم) في
 عصر الغيبة انتظار الفرج، والروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام
 في هذه الوظيفة على قسمين: الأول: انتظار الفرج العام لأهل البيت
 وللشيعه، والثاني انتظار الفرج الخاص للمهدي عليه السلام. ومن الأول ما عن
 رسول الله صلى الله عليه وآله «انتظار الفرج عبادة»^(٣) و«أفضل العبادة انتظار الفرج»^(٤) و«أفضل
 أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عز وجل»^(٥) وعن الإمام زين العابدين عليه السلام:
 «انتظار الفرج من اعظم الفرج»^(٦)، وفي بعض الروايات عد الانتظار من أفضل
 الأعمال كما ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج»

١ - غرر الحكم: ٣١١.

٢ - بحار الأنوار م ٩١: ١٥٥.

٣ - كشف الغمة: م ٢: ١٠١.

٤ - كمال الدين م ١: ٢٨٧.

٥ - عيون أخبار الرضا م ٢: ١٣٠.

٦ - الاحتجاج م ٢: ٣١٧.

(١) . وحيث إنّ الجهاد أفضل الأعمال فيكون الانتظار أفضل من جميع الأعمال حتى الجهاد، فلا عمل صالح أفضل من انتظار فرج أهل البيت. ومن المعلوم أنّه لا يحصل ذلك الفرج العام إلا بظهور المهدي، وفي بعض الروايات تصريح بانتظار فرجهم و فرج الشيعة كما عن الصادق عليه السلام: «عليكم بالتسليم والرد اليينا وانتظار امرنا وامركم وفرجنا وفرجكم» (٢).

ولماذا يكون الانتظار أفضل الأعمال بل أفضل العبادات؟ والجواب عن ذلك يعلم بأنّ الشرط في قبول الأعمال الصالحة إنّما هو الإيمان بالعقائد الحقّة، وكلّما كان الايمان اعلى يكون العمل الصادر منه أفضل، و من المعلوم ان الإيماـن المقرون بالانتظار في عصر غيبة النبي صلى الله عليه وآله والإمام المعصوم عليه السلام يكون في أعلى درجاته، لأنّه إيمان بالغيب كما وصف الله تعالى المتقين بذلك في القرآن الكريم: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (٣) ولأنّه إيمان بسواد في بياض كما ورد في الحديث الشريف (٤).

فإنّ الإيماـن بسواد في بياض أي الإيماـن بما وجدوه مسطوراً في الكتب الباقية عن السلف يكون من اعظم درجات اليقين، فإنّ المومنين في زمان الغيبة لم يشاهدوا النبي ولم يلحقوه وحجب عنهم الحجّة فأمنوا بكل ما افترض عليهم من العقائد من التوحيد و النبوة و المعاد و الحشر والنشر و الحساب والإمامة والاعتراف بإمامة المعصومين واحداً بعد واحد، كل ذلك بواسطة الأحاديث الصحيحة التي أخذوها عن أسلافهم.

١ - تحف العقول: ٣٧.

٢ - رجال الكشي: ١٣٨.

٣ - سورة البقرة الآية ٣.

٤ - الوسائل م ١١٢ الحديث ٥١ : ٦٥.

والأهم من ذلك كله إن الاعتراف بالإمامة والولاية بعثهم على انتظار الفرج، فيكون الانتظار مع العمل الصالح المقبول من افضل العبادات، ولأنَّ انتظار الفرج ايمان بالغيب يحمل العبد على العمل الصالح والتعبد بعقيدة متكاملة و يجعله محباً للعدل كارهاً للظلم وأن يوجه نفسه وسائر أعماله نحو ما فيه خيرها وخير الآخرين.

وأما القسم الثاني من الروايات الواردة في الانتظار فهو ما اختص بالمهدي عليه السلام، فمنه ما عن الباقر عليه السلام في حديث: «والتسليم لأمرنا والورع والتواضع وانتظار قائمنا»^(١).

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المعنى وتأتي الإشارة الى بعضها في ما بعد إن شاء الله، فهذه التعبيرات المختلفة حاكية عن أمر واحد وهو المكان الرفيع للانتظار في الثقافة الإسلامية الشيعية.

ولكنّ للصبر والصمود في هذه الثقافة دخالة راسخة؛ لأن الاعتراف بالحق و الجهر به ليس أمراً سهلاً في ظل الحكومات الباطلة والسلطات الظالمة بل هما جهاد صامت ولا جهاد إلا مع الصبر، فمن ذلك ما ورد عن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج»^(٢).

فحقيقة الانتظار وجوهره هو الصبر و المقاومة، والمنتظر لتحقيق هدف مقدّس لا بد له من الصبر والاستقامة وتحمل المصائب والمحن حتى النصر والظفر، وإذا افتقد إلى الصبر وضعف عن المقاومة فقد افتقد الانتظار، فالانتظار والصبر صديقان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وآله في حق المنتظرين في آخر الزمان: «سيأتي قوم من بعدكم

١ - الكافي م ٢ ص ٢٣ الحديث ١٣.

٢ - كمال الدين م ٢: ٦٤٥.

الرجل منهم له اجر خمسين منكم»، قالوا: يا رسول الله، نحن كنا معك ببدر وأحد ونزل فينا القرآن، فقال: «إنكم لو تحملون ما حملوا لم تصبروا صبرهم»^(١).

ويدلنا هذا الحديث على ان الانتظار في آخر الزمان ملازم للصبر الذي لا يتحملة أصحابه، ويعرف المصاعب التي يلاقيها المنتظر لدولة الحق المعترف بحقوق أهل البيت عليهم السلام والحامل لكلمة الحق والمتحمل للتعذيبات الواردة عليه من الحكومات المنطلقة العنان حفاظاً على العقيدة وطمعاً بالفرج الذي قد يمنحه المشاركة في نشر لواء العدل، فالمنتظرون الصابرون قليلون في عباد الله عزوجل كما أن الشاكرين منهم قليل، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي الذي يفتح الله به مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بامامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان»^(٢)، وخاطب أمير المؤمنين وقال له: «يا علي، لا يحفظني فيك إلا الأتقياء الأنقياء الأبرار الأصفياء، وما هم في أمتي إلا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود في الليل الغابر»^(٣).

وما جعلهم أقل قليل إلا تجرع الغصص مما يرون من الفساد في الأرض والقتل والدمار وغربة الدين وعزلته وتحريم الحلال وتحليل الحرام وضلالة الناس عن الحق مع ما هم عليه من الإيمان بالإمام الحي الغائب عن النظر والاستمسك بعروة الولاية استمساكاً لا يزعزعه جهلهم بتفصيلات أموره، وهم صابرون ويأسون مما الناس فيه من الانحراف ولا يستطيعون إقامة حق ولا دفع باطل ولا أمر، بمعروف ولا نهياً عن منكر، فعند ذلك يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى من المنكر، فلا

١ - منتخب الأثر: ٥١٥.

٢ - ينابيع المودة م ٣ الحديث ٥١ ص ٧٧.

٣ - عيون أخبار الرضا م ٢: ١٣٠.

يستطيع أن يغيره المؤمن يمشي بينهم بالمخافة ويجلس فيهم في العزلة لا يقدر على إظهار ما في قلبه فيموت غيظاً وغضباً.

وقد قال الرسول ﷺ فيهم: «اللهم لقني إخواني» فقال له واحد: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: «لا، انكم أصحابي وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني، لقد عرفنيهم الله باسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصابيح الدجى ينجيهم الله من كل فتنة غرباء مظلمة»^(١).

والمقصود من إخوان الرسول ﷺ في هذا الحديث هم المنتظرون لفرج المهدي عليه السلام المعترفون بامامته في غيبته المدافعون عن حقه وحق آبائه الطاهرين الصابرون فيما يصل اليهم من ظلم الظالمين، الصامدون في الحفاظ على الدين، أبصمودهم استقام الدين وأقيمت شعائر شريعة سيد المرسلين ولولاهم لاندرس الدين واضمحلت وصية النبي ﷺ في حق أهل بيته الطاهرين، فهم الأخيار الأبرار من المؤمنين المنتظرين للفرج الأنصار للقائم بالحق.. وقال النبي ﷺ في حقهم: «طوبى للصابرين في غيبته طوبى للمقيمين على محبته، أولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال: ﴿هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾»^(٢)، وعن الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: «إن المتقين شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام، والغيب هو الحجّة الغائب»^(٣).

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما يتلى به المؤمن في عصر الغيبة روايات كثيرة، منها: «ما يجيء أمر الله حتى تكونوا أهون على الناس من الميتة، ألا

١ - بحار الأنوار م ٥٢ : ١٢٤ .

٢ - يتابع المودة م ٣ : ١٠١ ، والآيات من سورة البقرة .

٣ - الزام الناصب : ١٣٧ .

فتوقعوا من ادبار أموركم وانقطاع وصلكم واستعمال صغاركم ذلك حين تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم بحله ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم وتحلفون من غير اضطرار وتكذبون من غير احراج، وذلك اذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير، ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء»^(١). وقد صدق أمير المؤمنين عليه السلام، حيث ان الرخاء والرفاهية في هذا الزمان بلاء ونقمة وليس بنعمة، لأن الناس سكارى من الأشر والبطر ولا يشكرون الخالق المنعم بل يكفرون به، فتكون النعمة عليهم وبالاً وفي الآخرة عذاباً فلا عجب إذا عمت ألوان البلاء؛ لأن الدنيا أعمت الأبصار فلا بصر ولا بصيرة لروية الحق الحقيق والعامل من الناس إنما يعمل الخير لا لله بل للسمعة والرياء.

وعند ذلك فالمؤمن المنتظر للفرج لا بد له من الصبر و الاستقامة في ذات الله والحفاظ على دينه بتحمل المشاق والشدائد حتى يظفر باحدى الحسينين الفرج لآل محمد عليهم السلام أو الموت على محبتهم وولايتهم فان الانتظار للفرج له موضوعية بمعنى أن الانتظار للفرج مع الصبر والاستقامة في الدين يعادل أجر من ظفر بالفرج وعاش في الدولة الحققة مع المهدي عليه السلام وكمن ضرب بسلاحه أعداء الدين، فيكون من المجاهدين في جيشه بل من الشهداء بين يديه. وقد ورد هذا المعنى في عدة من الروايات، منها ما وقع جواباً عن ذلك حيث سأل سائل الصادق عليه السلام في من انتظر ظهور دولة الحق ومات ولم يظفر بمأموله، فقال عليه السلام: «هو بمنزلة من كان مع القائم في فسطاطه - ثم سكت هنيئة ثم قال: «هو كمن كان مع رسول الله»

(١)، وقال في حديث آخر: «بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله»^(٢) ، وقال في حديث آخر: «بمنزلة من كان قاعداً في عسكره لا بل بمنزلة من قعد تحت لواء القائم»^(٣)، وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٤)، بل ورد أنه: «بمنزلة من استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٥) هذا أجر المنتظر الصابر الصامد المواظب بإتيان ما افترض عليه من الوظائف الشرعية في ذلك الزمان.

ومن الوظائف المكنونة في حقيقة الانتظار تهيئة الأسباب والمقدمات لظهوره وظهور الحق بيده بحيث إن المنتظر يرى نفسه في محضه آخذاً بحجزته ما كثر في ظله مؤيداً حقوقه مجتهداً في طاعته مجتنباً معصيته مكتسباً لرضاه ورأفته ورحمته ودعائه وخيره.

وأما دعوى الانتظار مع الانهباك في المعاصي وارتكاب أنواع الفجور وعدم المبالاة في الدين وإباحة المحرمات فليس في الحقيقة انتظاراً للفرج وإن ادّعاه صاحبه، لأن هذه الدعوى مع هذه الأعمال القبيحة لا تصدر إلا من الذي لم يدرك من معنى الانتظار شيئاً، فإن من انتظر شيئاً إنما يعد نفسه للحصول عليه و يهيئ المجالات المناسبة له ويسعى سعياً بليغاً لأن لا يصدر منه فعل غير مناسب له ويجهد بنفسه في الحفاظ عليه، فمن انتظر ظهور القائم عليه السلام يفرض نفسه حاضراً عنده مطيعاً لأمره جاعلاً أفعاله موافقاً لرضاه، فكيف تصدر منه الذنوب وما لا يرضاه و يسخطه؟! هذا

١ - المحاسن م ١: ١٧٣.

٢ - المصدر ص ١٦٤.

٣ - الكافي م الحديث ٢: ٣٧١.

٤ - كمال الدين م الحديث ٣: ٣١٧.

٥ - الكافي م ١: ٣٧١.

مذهب القشريين من هذه الأمة والإباحيين من الملة والذين يعتقدون أنّ ظهوره ثورة كالثورات الشعبية الحماسية تظهر بسرعة، وتزول بسرعة، والهدف فيه رفع الظلم عن الناس ورفع التمايز الطبقي في المجتمع، فوَقوع الفرج إنّما هو بعد شيوع الفحشاء والظلم والطغيان والفساد في الأرض، وبعد وقوع هذه الهائلات المخربة للدين والدنيا تقع ثورة ويقوم عقلاء الناس ومصلحوهم لاصلاح المجتمع ورفع الظلم والاختناق عن الناس، حيث ورد في الروايات أنّ القائم عليه السلام يظهر بعد أن تملأ الأرض من الفساد والدمار وشيوع الفحشاء، فيملأ الأرض عدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، فيلزم ايقاع القبائح وترويج الأباطيل حتى يظهر المجال لقيام المصلح ويثور ثورته لاصلاح الناس، فالهدف هو الاصلاح ولا بد من تحصيل مقدمات الهدف والهدف، يبرر الوسيلة، فالأحسن لتقريب الفرج وتسريعه إنّما هو اشاعة الظلم والفساد وترويج المعاصي وتحريض الناس على ارتكابها!

ولكن هذا الدرك من الانتظار للفرج لا يستقيم مع القيم الدينية من الكتاب والسنة ولا يوافق العقل السليم، بل لا يلائم المعنى الحقيقي للانتظار كما تقدم بيانه، فإن المنتظر الحقيقي لظهور القائم عليه السلام لا يسمح لنفسه أن يكون في صف المعارضين له فاعلاً كل ما يغضبه ويسخطه، بل يجعل نفسه في صف الموافقين له المعاضدين إياه، ولا يمكن الحصول على ذلك إلا بفعل الأعمال الصالحة وصفاء في النفس وطهارة في الباطن وبصيرة في الدين وشهامة وشجاعة للقيام معه والمشاركة له لنصرة الدين، ومن المعلوم ان ذلك كله لا يحصل إلا بحالة مستعدة وأسباب موهلة للجهاد مع معنويات عالية، وهذا هو الانتظار الحقيقي للظهور والفرج، فإنّ اصلاح جميع ما في الأرض ورفع المظالم والهرج والمرج عن العالم كله ليس أمراً بسيطاً، والاستعداد لذلك الأمر العظيم يتطلب تحصيل مجالاته

المناسبة له ويحتاج الى رجال ذوي همم عالية وإرادة راسخة، وهم أقوياء صابرون صامدون لا يدانيهم الفشل ولا تخطر ببالهم الهزيمة. وكما أنهم يواظبون على أنفسهم من الزلة والهفوة والسهو والخطأ والتعدي بالآخرين، كذلك يواظبون على الحفاظ على اخوتهم في الدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر واصلاح دينهم ودنياهم ما تيسر لهم، لأن الفرغ العالمي على يد المهدي عليه السلام يتوقف على ذلك ولا يحصل إلا به، فإذا كان الظهور يحتاج الى كل ذلك فكيف يتقرب إليه باشاعة المنكر وبترويح الباطل؟! وليس هذا الاعتقاد إلا وسوسة النفس الأمارة بالسوء وتسويلات من الشياطين؛ لأن الانتظار لا يسقط تكليفاً بل يتطلب الصبر والصمود في طريق الحق وترك الأهواء الباطلة وردع عوامل الظلم والمعصية ورفعها عن صفحة الوجود واصلاح المجتمع واصلاح النفس قبل ذلك بالتخلي من القبائح والرذائل والتحلي بالأوصاف الحسنة و التاهب لتشكيل حكومة صالحة، فإن منازل الأفراد في القرب إلى إمام العصر عليه السلام في تلك الحكومة إنما هو بمقدار استعدادهم لذلك وتأهبهم في ذلك المجال، فالانتظار للفرج هو الفرغ في الحقيقة قال الرضا عليه السلام: « أو ليس تعلم أنّ انتظار الفرغ من الفرغ؟! إنّ الله يقول: ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ »^(١).

فما ورد في الروايات من كون الظهور بعد امتلاء الأرض من الظلم والجور صحيح، لكن ليس معناه لزوم اشاعة الظلم والجور حتى يظهر المهدي عليه السلام ويكون ذلك تقريباً وتسريعاً لظهوره، بل معنى الانتظار الاستعداد لظهوره وتهيئة المجالات المناسبة له.

وأيضاً قد ورد في بعض الروايات أنه لا يظهر حتى تظهر القابلية في الناس علماً وعملاً ودركاً وشعوراً، فنحن مكلفون بإيجاد هذه الأرضية لظهوره، وهذا هو المعنى الحقيقي للفرج. ونحن اليوم نرى امتلاء الأرض من الظلم والجور من قبل الدول المتحكمة ومرترقة الدول الكبرى في الممالك المستضعفة، وهذا أمر ملموس لكل أحد، فعلينا التأهب للظهور حتى يتخلص الناس من المشاكل التي ابتلوا بها، وقد أصبحت الثورة الإسلامية في إيران عاملاً مؤثراً للصحة الإسلامية في البلاد الإسلامية كما صرح بذلك بمرات وكرات القائد المعظم للثورة الإسلامية في إيران في خطاباته ومحاضراته.

والانتظار الصامد يقتضي الاقدام الواسع لإيجاد الصحو والايقاظ العالمي حتى يظهر الاستعداد الكامل لظهور الفرج إن شاء الله تعالى فانتظار الفرج انتظار للحصول على حكومة إلهية و تحقق العدالة وانتشارها في الأرض، والانتظار هو القيام والجهاد والسعي ومعرفة المصلح العالمي بصفاته وخصوصياته والتقرب إليه بالجهاد بتنسيق الأعمال والأفكار مع أعماله وأفكاره، فنحن شيعة علينا أولاً معرفة صفات الإمام عليه السلام وأفكاره وأعماله ومعرفة ما يحصل رضاه ثم تنسيق ما يصدر عنا من الأعمال مع أعماله و ما يخطر بالبال مع اعتقاداته ثانياً، فعند ذلك يحصل التقرب إليه مع انتظار الفرج، فإنه قريب إن شاء الله.. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج، الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس، والمنتظر للفرج كالمشحط بدمه في سبيل الله»^(١).

والانتظار ملازم للصبر والصمود، وقد ورد عنهم عليهم السلام في ذلك أحاديث كثيرة، منها: ما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الزموا الأرض واصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم، فإن من مات منكم على فراشه - وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته - مات شهيداً ووقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام اصلاته بسيفه، وإن لكل شيء مدة واجلاً»^(١)، دل هذا الحديث الشريف على لزوم معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة أهل بيته أولاً ثم العمل على وفق هذه المعرفة باتيان ما فرضه الله وامر به الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته، ومما امروا به في الغيبة انتظار فرجهم وفرجنا بالصبر والمقاومة حتى النصر؛ لأن الناصر على الحق قليل، فالصبر والاستقامة في زمان غلب فيه الظلم مما لا بد منه ودوره في حفظ الدين والمؤمنين واضح باليقين؛ لأن الصدق في العمل قليل وان كثر مدعوه، والمؤمن الصادق في العمل غير معروف إن حضر في جمع لم يعرف وإن غاب عنه لم يفتقد ولا يقر له القرار ولا يهدء له لسان، ولكن الصبر والالتزام بقول أهل البيت عليهم السلام يثمر ثمره وينتج نتيجته ويحق الحق كما كان ويبطل الباطل: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا».

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله ما يكون ما تأملون حتى يهلك المبطلون ويضمحل الجاهلون ويأمن المتقون، وقليل ما يكون حتى لا يكون لأحدكم موطن قدمه، وحتى تكونوا أهون على الناس من الميتة عند صاحبها، فبينا أنتم كذلك إذ جاء نصر الله والفتح»^(٢).

١ - الزام الناصب: ١٨٩.

٢ - المصدر: ٢٢.

فالصبر هو الفرج في آخر الزمان، ولا تعتقد أبداً أن موعد الظهور بعيد فتقع في اليأس وتذهب ريحك وصفاء روحك فتتظافر عليك الشياطين من الانس والجن ويذهب عنك الأجر العظيم في الانتظار، بل كن صابراً محتسباً حتى يبقى قلبك لينا مطمئناً الى تقدير الله ولا تضره الفتن ولا تزيله الوسائس والتسويلات، وكن بالصمود في طريق الحق من المتبعين لقادة الدين والأئمة الهادين متأدباً بأدابهم ناهجاً منهمجهم متبعاً لعلماء الدين حتى يظهر الفرج بظهور الحجّة كاشف الغموم عن وجه الأمة ورافع علم الهداية، فتكون تحت لواء نصره وناصراً له ولا تخف إلا من الله ولا تستوحش وان حسبوك الناس كافراً وكنتم عندهم خاسراً لأنك كنت عند الله تعالى مؤمناً رابحاً فائزاً بالإيمان؛ لأن عندك كنزاً من كنوز الرحمن أغلى الكنوز وأعلاها قيمة لا يعادله شي ولا يوازنه ميزان، وهو حب آل الرسول ﷺ. وعن الإمام الحسين عليه السلام في عصر الغيبة: «له غيبة يرتد فيها قوم ويثبت على الدين آخرون، فيؤذن لهم ويقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ أما إن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ»^(١).

وهذا الكلام أبلغ كلام في لزوم التمسك بعروة الصبر في آخر الزمان؛ لأن الكلام صادر عن الإمام الشهيد الذي خط الشهادة على المؤمنين في الدفاع عن الدين وإبادة الظلم والظالمين، وقد قاس سيد الشهداء وأبو الأحرار صبر الصابرين على الأذى في غيبة امام العصر عليه السلام بمقياس الجهاد لا بغيره من المقاييس؛ لأنه سيد المجاهدين لازالة الباطل وللدفاع عن حق الله وحق رسوله وأهل بيته، ولأن الجهاد عنده هو الحكم الفاصل،

ولأن له فضلاً كبيراً في عنق كل من نطق بالشهادة وبالشهادتين من المسلمين حتى اليوم؛ لأنه معلم الايثار في سبيل الدين والمؤسس لمدرسة الحرية، ومع ذلك كله فالإمام عليه السلام يأمر بالصبر وتحمل الأذى في عصر الغيبة وينزل هذا الصبر منزلة الجهاد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن هذا يظهر أن انتظار الفرج من أفضل العمل؛ لأن الانتظار اتباع الحق ومن اتبع الحق لا يترك ما وجب عليه من الصلاة والصوم وغيرهما من العبادات ولا يتهاون بأمر من أمور دينه. وقد ورد عن الصادق عليه السلام: «إن أهل زمان غيبته والقائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان؛ لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عند هم بمنزلة المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً»^(١).

ولا عجب من هذه المنزلة العظيمة، هنيئاً لهم ثم هنيئاً؛ لأنهم حاملون أفضل العقائد وهم عاملون أحسن الأعمال، يحملون دعوة الرسول عبر العصور ناقلين لها للأعقاب نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل يودعونها في صدورهم صدراً بعد صدر لتبقى حية قائمة تنفخ الروح في أنصار الحق في آخر الزمان وهم مصابيح الهدى وينابيع العلم وأرباب هذه العقيدة في جهاد مستمر مع منكريها، وقد نال المنتظر للفرج مرتبة قال فيها الإمام الباقر عليه السلام: «ما بال من عرفه الله هذا الأمر أن يكون على قلة جبل يأكل من نبات الأرض حتى يأتيه الموت»^(٢)؛ لأن معرفة هذا الأمر خير للعارف به من زبرج

١ - المصدر نفسه م ٥٢: ١٢٢.

٢ - الكافي م ٢: ٢٤٥.

الدنيا و زخرفها ونعيمها الزائل، وقال: «من مات وهو عارف لإمامه لا يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»^(١) فاذا كان الانتظار بهذه المثابة والمرتبة الجليلة فكيف يكون الانتظار بلا عمل وكيف يتوقع الأجر والثواب مع الكسل والفشل والإهمال فضلاً عن العناد والضلال، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ويرجى التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين، وإن اعطي منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي ويتغنى الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقدم على ما يكره الموت من أجله، إن سقم ظل نادماً وإن صح أمن لاهياً، يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي، إن أصابه بلاء دعا مضطراً وإن ناله رخاء اعترض مغترأً، تغلبه نفسه على ما تظن وما لا يغلبها على ما يستيقن، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأكثر من عمله، إن استغنى بطر وفتن وإن افتقر قنط ووهن، يقصر إذا عمل ويبالغ إذا سئل، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة، إن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة، يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ الموعظة ولا يتعظ، فهو بالقول مدل ومن العمل مقل، ينافس فيما يفتى ويسامح فيما يبقى»^(٢).

وقد قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا*﴾^(٣).

١ - منتخب الأثر: ٥١٥.

٢ - نهج البلاغة الكلمات القصار الرقم ١٥٠.

٣ - سورة النساء الآية ١٢٣ و١٢٤.

ففي ثقافة الانتظار للفرج إنما يحسن الانتظار مع العمل والاجتهاد للخلاص عن الوضع الموجود، فمع القدرة على تغيير القبيح بالحسن والمنكر بالمعروف فليباشر ولا يؤخر، ومع عدم القدرة عليه أن يصبر حتى يفرج الله تعالى.

والانتظار أمنية ملهمة للعقيدة الإسلامية وعلّة مبقية لها في المستقبل ومرآة لمعرفة الأمانى الإسلامية، وفي البلاد النامية والجوامع المترقية مراكز ومؤسسات لتنظيم المشروعات والبرامج لتعبيد الطرق المربحة لمنافعهم الاقتصادية والسياسية في المستقبل البعيد ولو بمئات من السنين في المستقبل والانتظار للفرج مشروع خاص عند الشيعة يرسم للمسلم خطأً وبرنامجاً له في الحال والمستقبل، فإن أخذ به وتحرك على منواله فقد كمل وسعد ونجا من الفتن والمهالك الدينية والدينية.

فالبحث عن الانتظار بحث عن مستقبل ساطع لامع قد رسمه المذهب الإسلامي للحفاظ على دين المؤمن وعقائده في آخر الزمان الذي يكون فيه حفظ الدين أشق من القبض على الجمر، والاعتقاد والاعتراف ببقاء إمام حي حاضر ناظر للأعمال ومساعد للمؤمن وحافظ له في كل الأحوال باذن الله تبارك وتعالى يجعل المؤمن راغباً في دينه وعاملاً على وفاقه، ويكون لهذه العقيدة أثر راسخ عميق في تعليه معنوياته وفي حال الانتظار يحتمل الظهور والفرج في كل لحظة، وهذا الاحتمال يجعل المؤمن مستعداً في كل آن ومجال فتأهب نفسه لتشكيل حكومة إلهية وتحقيق دولة عادلة، وحيث إن الوقت في الظهور غير محدد ففي كل لحظة يحتمل الظهور والفرج فالوظيفة تقتضي اعداد المقدمات، قال الصادق عليه السلام: «ليعدن احدكم لخروج القائم ولو سهماً فإن الله إذا علم ذلك من نيته رجوت لأن ينسى في عمره حتى يدركه

ويكون من أعوانه وأنصاره»^(١)، وفي حديث آخر قال رجل للباقر عليه السلام: إنهم يقولون: إن المهدي لو قام لاستقامت له الأمور عفواً، ولا يهريق محجمة دم؟ فقال: «كلا والذي نفسي بيده، لو استقامت لأحد عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين ادميت رباعيه وشج في وجهه! كلا والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وانتم بالعرق والعلق» ثم مسح بجبهته^(٢).

والانتظار ليس محدوداً بمجيء مصلح قط، بل هو العقيدة بلزوم إمام معصوم حي حاضر في كل زمان لاتمام الحجة من الله على عباده ليهلك من هلك عن حجة ويحيى من حي عن حجة، ولئلا تكون حجة للناس على الله بل تكون الحجة لله على الناس بارسال الرسل وانزال الكتب وابقاء حجة بعد الرسول بوجود امام معصوم خليفة للرسول ومبيناً لشريعته ومرجعاً وملاذاً للناس الى يوم القيامة، والبحث عن الانتظار بحث عن علاقة المؤمن بإمامه وبحث عن الآثار والبركات الوجودية له الواصلة الى شيعته ومحبيه وحفظ لعقيدة الشيعة من الانحراف بيقين.

قال الشيخ المظفر: «إن البشارة بظهور المهدي من ولد فاطمة في آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ثابتة عن النبي بالتواتر وسجلها المسلمون جميعاً فيما رووه من الحديث عنه على اختلاف مشاربهم، وليست هي بالفكرة المستحدثة عند الشيعة دفع إليها انتشار الظلم فحملوا بظهور من يطهر الأرض من رجس الظلم كما يريد أن يصورها بعض المغالطين غير المنصفين، ولولا ثبوت فكرة المهدي عليه السلام عن النبي على وجه عرفها جميع المسلمين وتنبعث في نفوسهم واعتقدوها لما

١ - بحار الأنوار م ٥٢: ٣٦٦.

٢ - المصدر نفسه: ٣٥٨.

كان يتمكن مدّعو المهدوية في القرون الأولى كالكيسانية والعباسيين وجملة من العلويين وغيرهم من خدعة الناس واستغلال هذه العقيدة فيهم طلباً للملك والسلطان، فجعلوا ادّعائهم المهدوية الكاذبة طريقاً للتأثير على العامة و بث نفوذهم عليهم»^(١).

وقال الشيخ الصدوق: «ولا يكون الايمان صحيحاً من مؤمن إلا من بعد علمه بحال من يؤمن به، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فلم يوجب لهم صحة ما يشهدون به الا من بعد علمهم، ثم كذلك لن ينفع ايمان من آمن بالمهدي القائم عليه السلام حتى يكون عارفاً بشأنه في حال غيبته»^(٢).

ومن الوظائف في الانتظار الدعاء للفرج، ففي الجواب عن المسائل التي سأها إسحاق بن يعقوب عن صاحب الزمان عليه السلام ورد: «أكثرُوا الدعاء بتعجيل الفرج، فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ»^(٣)، فَإِنَّ الدعاء للفرج كمال الارتباط والاتصال بين الله تعالى وبين الفرد المنتظر، وبين الإمام المنتظر وهذا الاتصال أفضل أنواع للعبادة، كما ورد: «إِنَّ الدعاء مخ العبادة» ومؤانسة بين الإمام ومأمومه وشيعته ومحبيه، وأيضاً يظهر من هذا الحديث أن الظهور قابل للبداء، والدعاء يصلح لتعجيله والتسريع فيه من الله تبارك وتعالى، فمن أحد أسباب التعجيل في ظهوره الدعاء لفرجه، فَإِنَّ الدعاء يوجب التعجيل، وهذا هو السر في قوله: «فإن ذلك فرجكم»، ومن المعلوم أيضاً ان الدعاء لا يؤثر ولا يستجاب ما لم يكن منبعثاً عن القلب واللسان والعمل الموافق له.

١ - عقائد الإمامية: ٧٧.

٢ - كمال الدين م ١: ١٩ والآية من سورة الزخرف الآية ٨٦.

٣ - كمال الدين م ٢: ٤٨٥.

ومن الوظائف المقررة في حال الانتظار فعل ما يحصل به رضاه من الفرائض والسنن، فإن رضاه رضا الله تعالى، وقد نبّه بنفسه شيعته على هذه الوظيفة فقال: «فليعمل كل امرئ منكم ما يقرب به من محبتنا وليجتنب عما يدينه من كراهتنا وسخطنا»^(١) وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من كان منكم يريد أن يكون من أنصار القائم عليه السلام فليكن متقياً ومتورعاً»^(٢). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من دين الأئمة الورع والعفة والصلاح وانتظار الفرج بالصبر»^(٣)، فهذه كلها من الوظائف في حال الغيبة، فلا تنبغي الغفلة عنها وإهمالها؛ لأنها كما في الحديث من دين الأئمة عليهم السلام. وقال عليه السلام: «هيئات هيئات، لا والله، لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا، لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا، لا والله، ما يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا، لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد»^(٤).

ففي عصر الغيبة والانتظار يكون المؤمن محزوناً محتقراً لا يستطيع أن ينكر إلا بقلبه، فعليه بالصبر والصمود حتى يظهر الفرج، والمؤمن يتلى في الدنيا ويذوق المرارة، ولكنه مأمون في الآخرة من العمى والشقاء مثل المؤمن الخالص في الغيبة مثل شهداء كربلاء أصحاب الحسين عليه السلام؛ لأنهم محصوا بالبلاء تمحيصاً وصبروا وتجرعوا المرارة حتى اقبلوا على الشهادة شوقاً وفرحاً، يقدم كل منهم نفسه للشهادة في سبيل الله قبل الآخرين فمحصوا بالشهادة فكانوا مخلصين من كل شائبة بالرغم من اكتئابهم من جو الظلم المحيق بمعركة كربلاء.

١ - بحار الأنوار م ٥٣ : ١٧٤ .

٢ - المصدر نفسه م ٥٢ : ١٢٨ .

٣ - منتخب الأثر : ٤٩٨ .

٤ - الزام الناصب : ٧٩ .

ومما يبتلى به المؤمن الشيعي في آخر الزمان اختلاف الشيعة فيما بينهم، وهو بلاء خطير ولا ينجو منه إلا قليل، وعند ذلك لا بد من التحري والتوخي في طلب الحق واتباعه والالتزام به.

وقد أخبر الإمام الصادق عليه السلام عن وقوع هذه الفتنة في الشيعة فقال: «أني يكون ذلك ولم يستدر الفلك؟ فقيل له: ما استدارة الفلك؟ فقال: «اختلاف الشيعة فيما بينهم»؟^(١). وقال: «كيف أنتم إذا وقعت البطشة بين المسجدين فيأزر العلم كما تأزر الحية في حجرها واختلفت الشيعة وسمى بعضهم بعضاً كذابين وتفل بعضهم في وجوه بعض»؟! فقال له صاحبه: جعلت فداك، ما عند ذلك من خير، فقال: ^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا؟ - شبك أصابعه وادخل بعضها في بعض - فقال صاحبه: يا أمير المؤمنين، ما عند ذلك من خير، فقال: «الخير كله عند ذلك، عند ذلك يقوم قائمنا فيقدم سبعين رجلاً يكذبون على الله ورسوله فيقتلونهم ثم يجمعهم الله على أمر واحد»^(٣).

والمسؤولية على علماء الشيعة في هذا الزمان كبيرة فعليهم توضيح الحق وهداية الناس اليه وانقاذهم من الضلال؛ لأنهم في هذا العصر أعلام للدين وحجة عن الأئمة المعصومين.. قال الإمام الهادي عليه السلام: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين للضعفاء من عباد الله من شبك إبليس ومردته لما بقى أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة

١ - الغيبة للنعماني: ٨٠.

٢ - الكافي م١: ٣٤٠.

٣ - بحار الأنوار م٥٢: ١١٥.

سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل»^(١)، وهكذا تكون وظيفة علماء الدين في عصر الحيرة والضلالة الذي لا ينجو منه إلا القليل، فإن العلماء هم الذين يمسكون قلوب الشيعة ويقومون عقيدتهم ويثبتونهم على الإيمان ويوضحون لهم كل إبهام ويحنبونهم مزالق الشك وضعف اليقين، قال الإمام المنتظر عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حدیثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم الراد عليهم كالراد علينا»^(٢)، فإن الحوادث جمع محلي باللام، فيفيد العموم أي كل حادثة وكل مسألة تحتاجون إلى السؤال عنها لجهلكم به فإن عليكم الرجوع إلى راوي الحديث عن الإمام لأنه حجة من قبل الإمام على الأنام كما أن الأئمة حجة من الله عليهم.

والمقصود من رواية الحديث ليس مجرد نقلها من دون فهم معناها، لأن الجاهل بالحديث لا يرجع إليه أحد والجاهل لا يرجع إلى الجاهل بل يرجع إلى العالم، فلا بد وأن يكون راوي الحديث الذي يأمر الإمام عليه السلام بالرجوع إليه عالماً بما يروي عن الإمام وبالحكم الشرعي في كل واقعة وحادثة؛ لأن الأمر بالرجوع في الحوادث إنما يكون لتحصيل الجواب عن حكم الحادثة، فلا بد وأن يكون الراوي للحديث عالماً بالجواب وعلمه به إنما يكون مما يرويه، فيعلم من ذلك كله أن المقصود من الراوي هو العالم بالحكم الشرعي من الحديث الذي يرويه عن الإمام، وليس هذا إلا الفقيه الجامع لشرائط الفتوى، ومعنى كونه حجة من قبل الإمام على الأنام أن الإمام عليه السلام فوض إليه النيابة العامة في المرجعية الدينية، فيكون للفقيه الجامع لشرائط

١ - المصدر نفسه م ٥١: ١٥٦.

٢ - الوسائل الباب ١١ صفات القاضي الحديث ٩.

ما للإمام المعصوم عليه السلام من المناصب الدينية إلا ما دل عليه الدليل من أنه خاص بالإمام فيختص به، فعلى الناس الرجوع إليه للسؤال والاستفتاء وعلى الفقيه الجواب والافتاء.

وهكذا عين الإمام عليه السلام الوظيفة للجاهل والعالم في زمان حرمان الناس عن حضور الإمام، وحيث إن التطور في العلوم والفنون في زماننا هذا قد كثر فتكون الحاجة إلى الفقيه العالم بزمانه أكثر، فإن التطور بمعنى ظهور مستجدات كثيرة في الحياة وهذه المستجدات لا بد من معرفة الحكم الشرعي فيها؛ لأن الله سبحانه بين في كتابه أنه لا بد في كل حادثة من حكم وان الدين كامل لا يحتاج إلى غيره، وهذه المستجدات هي الحوادث الواردة في كلام الإمام عليه السلام التي يجب الرجوع فيها لاستعلام الحكم الشرعي فيها إلى الفقيه وظروف التطورات وتقدم الحياة وتعدد المشكلات، وكل هذه المقومات تنشأ من أجلها قضايا جديدة ومشكلات متعددة تلبي حاجة الناس في البر والبحر والجو، وما أكثر هذه المسائل والقضايا فالعصر الجديد مما يجعل الضرورة بمكان لمعرفة الحكم الشرعي في هذه المسائل، فيكون الرجوع إلى الفقيه - وبتعبير الرواية إلى راوي حديثهم - الزم وأكثر، فالإمام عليه السلام من حيث علمه بهذه الحاجة الشديدة في عصر الغيبة إلى من يرجع إليه الناس في مسائلهم ووقوع الاختلاف بين الشيعة، فلذا نصّب علماً للهداية وهو العالم بأحكامهم من الحلّية والحرمة المستنبطة من الكتاب والسنة.

ولابد وان يكون هذا العالم في مجمل شروطه ومواصفاته أفضل الناس وأكثرهم تجسيدا للرسالة ولقيم الرسالة الإسلامية؛ لأنه نائب في عصر الغيبة عن الإمام المنتظر نيابة عامة، وهذه تتضمن ارتباط الفقيه الجامع للشرائط بالمعصوم من خلال النصب العام، وهذا الربط والارتباط بين

الفقيه وبين الإمام ثم الربط بينه والأمة يبعث ارتباطاً بين الإمام والأمة. وهذا هو السرفي النصب العام للفقهاء للنيابة العامة لهم ولزوم الرجوع إليهم في الحوادث الواقعة، وقد ورد في الأحاديث المتواصلة على انتظارالفرج أن يكونوا بانتظاره، وفي ذلك تحقيق لذلك الربط والارتباط الروحي والصلة الوجدانية بينهم وبين الإمام عليه السلام وكل ما يرمز إليه من قيم، وهي رابطة وصلة ليس بالامكان ايجادها ما لم يكن المهدي قد تجسد في إنسان حي معاصر. وهكذا نلاحظ ان هذا التجسيد اعطى الفكرة زخماً جديداً وجعل منها مصدر عطاء وقوة بدرجة أكبر اضافة الى ما يجده المنتظر ما يقاسيه من آلام الظلم والحرمان حتى يحس ان إمامه وقائده يشاركه في هذه الآلام ويتحسس بها فعلاً بحكم كونه إنساناً معاصراً يعيش معه وليس مجرد فكرة مستقبلية.

ولكن التجسيد المذكور أدى في نفس الوقت إلى مواقف سلبية تجاه فكرة المهدي نفسها لدى عدد من الناس الذين صعب عليهم أن يتصوروا ذلك ويفترضوه، وهذه المواقف السلبية هي ما ورد في الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام من وقوع الناس في عصر الغيبة في الحيرة والضلالة والارتداد ووقوع الفتن كقطع الليل المظلم لا ينجو منهم إلا القليل، وهذا القليل هم المنتظرون مع الصبر والصمود؛ لكونهم متمسكين بما نقله الفريقان من الرسول الأمين في الثقلين الكتاب المبين وعترته الطيبين الطاهرين، وهم الصابرون فيما يصل إليهم من الكرب العظيم والصامدون فيما تمسكوا به من ولاية الأئمة الطاهرين النائلون الأجر العظيم، فطوبى لهم ثم طوبى لهم إلى يوم الدين لصبرهم وصمودهم في انتظارهم الفرّج الأعلى للدين وفرّج الإمام الغائب عليه السلام.

وهكذا ينجو ويفوز الصابرون عن فتن آخر الزمان وعن كل المواقف السلبية في طريق التساؤلات عن المهدي عليه السلام عن عمره وأنه كيف تأتي له أن يعيش هذا العمر الطويل وينجو من قوانين الطبيعة التي تفرض على كل إنسان أن يمر بمرحلة الشيخوخة والهزم في وقت سابق على ذلك.. وتؤدي به تلك المرحلة طبيعياً إلى الموت، أو ليس ذلك مستحيلاً من الناحية الواقعية؟ ولماذا كل هذا الحرص من الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان فتعطل من أجله القوانين الطبيعية لاطالة عمره والاحتفاظ به لليوم الموعود، ولماذا لا يترك اليوم الموعود لقائد يولد؟ الى غير ذلك من التساؤلات في الجانب المنفي في أبحاث المهدي عليه السلام، ولكن المؤمن الصابر الثابت القدم قد سلم نفسه مطيعاً لأمر مواليه عالماً وعلى يقين من حياته وطول عمره الشريف بدلالة الكتاب المبين والسنة المتواترة عن النبي العظيم وأهل بيته الطاهرين وبدلالة عقله السليم على أن الله قادر على ذلك كله وليس العمر الطويل مستحيلاً في العادة.

وقد أجاب علماء الفن عن جميع هذه الشبهات، وليس الآن مكان بيانها، والمقصود من بيان هذه السلبيات ان المنتظر للفرج مبتلى بأنواع البلاء جسماً وروحاً فلا بد له من الوقوف في جانب الايجاب الى الثبت واليقين بالبراهين الساطعة والأنوار اللامعة من الأدلة العقلية والنقلية المثبتة لوجود المهدي عليه السلام وطول عمره وعصمته وعلمه وغير ذلك من الأوصاف الثابتة لغيره من الأئمة الهداة (صلوات الله عليهم أجمعين). والمنتظر الصابر الصامد يعلم بيقين ان هذه التساؤلات لم تكن علماً حديثاً وإنما هي مجرد تشكيكات ومحاولات يائسة للفرار من أصل القضية ولوازمها الضرورية، فهي اشبه شيء بتشكيكات الماديين عند عجزهم عن الجواب من الأدلة العقلية والمنطقية والعلمية فيما يتعلق بالله تعالى فلجأوا إلى تساؤلات

ساذجة تحكي عدم إيمانهم بما قامت عليه الأدلة الوافرة نظير قولهم: لو كان الله موجوداً فلماذا لا نراه؟ ولماذا لا يفعل كذا وكذا؟ وهكذا شأن هؤلاء. فعندما عجزوا في الجواب عن الأدلة المنطقية والروايات المتواترة في مسألة المهدي عليه السلام مما أطبق عليه الخاص والعام وما لا يسع لأحد انكاره لجأوا الى التشكيك في أنه كان طفلاً صغيراً عند موت أبيه لا يتجاوز خمس سنوات، وهي سن لا تكفي للمرور بمرحلة إعداد فكري وديني كامل على يد أبيه، فكيف وبأي طريق يكتمل هذا الشخص لممارسة دوره الكبير دينياً وفكرياً؟! أو يقولون: إنه لم يعرف للحسن العسكري ولد، أو يقولون: إن الشيعة يقفون على السرداب يوماً ينادون على إمامهم بالخروج إلى غير ذلك من الأكاذيب والأراجيف المكذوبة على شيعة أهل البيت الطاهرين المطهرين من هذه الأمور اللإنسانية.

ولقد قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحق بشيراً؛ ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود إليه مني حتى يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمد حاجة، ويشك آخرون بدلائله، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان عليه سبيلاً بشكه فيزوله عن ملتي ويخرجه من ديني، فقد أخرج أبويكم من الجنة من قبل، والله عز وجل جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون»^(١).

دع الناس وما يقولون ويشكّون ويخرجون من دين الله ويكونوا أولياء للشيطان ويكون للشيطان عليهم السبيل، ولكن إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واشكره على إكمال الدين وإتمام النعمة بظهور القائم من ولد الرسول صلى الله عليه وآله، فإن المؤمن

المنتظر للظهور الصابر على الأذى فيه المتمسك بدينه بعيد عن الشيطان
وتسويلاته.

إنّ التهم المجعلولة على الفرقة المحقة لا تزيدها إلا وفاء لمولاهما وتشبثاً
في قلبها و يقيناً في عقائدها وإن كانت محزونة كثيبة مما جرى على أهل بيت
الرسول بدءاً وما يجري الآن على صاحب الزمان عليه السلام من الغربة والعزلة
عن حقه الثابت من الله عز وجل بظلم الظالمين، وقد قال أبوه الإمام
العسكري عليه السلام: «لاتزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به
النبي صلى الله عليه وآله»^(١)، فالصبر والصمود والاستقامة في سبيل هذه العقيدة الكريمة
حتى يظهر الفرج لمولانا ويكشف الله تعالى هذه الغمة عن هذه الأمة
بظهور صاحب الزمان عليه السلام أم مهم؛ لأن الصبر والاستقامة في
انتظار الفرج نجاة عن الحيرة والضلالة وبشارة للمؤمنين المنتظرين في هذا
الصبر العظيم؛ لأن الله مع الصابرين وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير
حساب، ولأن الملائكة تنزل على من استقام في دينه أن لا يخاف ولا يحزن
ويبشر بالجنة الموعودة ، وقال الصادق عليه السلام: «لا تكونوا مؤمنين حتى تكونوا
مؤمنين وحتى تعدوا النعمة والرخاء مصيبة، وذلك أن الصبر على البلاء أفضل من
العافية عند الرخاء»^(٢).

إنّ الله تبارك وتعالى أراد لعباده الابتلاء والامتحان التي يتكامل
الإنسان من خلالها ولم يرد لهم السهولة من طريق الاعجاز، كما لم يستعمل
هذا الأسلوب للتوسعة في انجاز رسالة نبيه صلى الله عليه وآله وأراد أن يكون التقدم
فيها طبيعياً وعلى طريق العادة. ومن هذا الناحية تتطلب رسالة المهدي

١ - بشارة الإسلام ص ١٦٨ .

٢ - الوسائل م ٢: ٩٠٨ الحديث ٢٣ .

ظروفاً موضوعي، مطلوباً فيها عملية التغيير العالمي وإخراج البشرية كل البشرية من ظلمات الجور الى نور العدل واخراجها من ذلة الجهل الى عزة العلم، وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «إِنَّ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ غِيَةَ الْمَتَمَسِّكِ فِيهَا بَدِينُهُ كَالْخَارِطِ لِلْقِتَادِ بِيَدَيْهِ، فَأَيْكُمْ يَمْسِكُ شَوْكَ الْقِتَادِ بِيَدَيْهِ؟! إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غِيَةَ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ عَبْدًا، وَلْيَتَمَسَّكَ بِدِينِهِ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾»^(١)، وفي هذا الحديث إشارة الى ما تقدّم من الامتحان والابتلاء في آخر الزمان للشيععة في حال الانتظار وأنّ عليهم الصبر والاستقامة حتى يظهرالفرج.

اللهمّ، إنّنا آمنّا بك وبما جاء به الرسول وبما أوصى به في أهل بيته وبما وعد من النصر والفرج على يدي الغائب من ولده وأنه يظهر ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. اللهمّ، أرنا الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة واكحل ناظرنا بنظرة منا إليه وعجّل فرجه وسهل مخرجه واوسع منهجه واسلك بنا محجته وانفذ أمره واشدد أزره واعمر اللهم به بلادك واحيي به عبادك وصلّ عليه وعلى أمه فاطمة الزهراء وعلى آبائه الطاهرين المعصومين الى يوم الدين يا أرحم الراحمين.

باثولوجيا المجتمع المنتظر (العقبات التي تواجه الفكرة المهدوية)

الدكتور ناصر رفيعي

المقدمة:

إن النظرية المهدوية مع كل ما لها من قداسة وأهمية تعرّضت كسائر المباحث العقائدية الأخرى إلى صدمات وانحرافات جعلت هناك مخاوف من خروجها عن خطوطها العريضة؛ لكون العقبات التي تواجه الاعتقاد بالمهدي عليه السلام أخذت تُغطي أحياناً على الاعتقاد بالإمام عليه السلام والمعرفة الصحيحة لزوايا هذا الموضوع، وأصبحت مشاكل المهدوية الناشئة عن سوء الفهم والأداء والأغراض والانحرافات والهفوات المقصودة وغير المقصودة، تُهدد هذه القضية.

إن ضرورة دفع الأضرار وإزالة العقبات ومعرفة العوامل التي تقضي على المشاكل التي تواجه قضية الإمام المهدي عليه السلام وتقطع جذورها من الأمور الجدير بالأهمية.

إن طول الغيبة، وضعف المباني العقائدية والدينية، إلى جانب المخططات التي تُدبرها الأعداء ويسعى لها المغرضون لإبعاد الناس عن الإمام المهدي عليه السلام، تُعتبر من العوامل الأساسية لزيادة المشاكل وتقوية العقبات التي تواجه العقيدة المهدوية.

علماً أنّ الروايات الشريفة أشارت إلى هذه العوامل، منها ما روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «وَإِنَّ لِلْقَائِمِ مِنَّا غَيْبَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا أَطْوَلُ مِنَ الْأُخْرَى... وَأَمَّا الْأُخْرَى فَيَطْوُلُ أَمْدُهَا حَتَّى يَرْجِعَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ أَكْثَرُ مَنْ يَقُولُ بِهِ، فَلَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ

إِلَّا مَنْ قَوِيَ يَقِينُهُ، وَصَحَّتْ مَعْرِفَتُهُ، وَلَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْنَا وَسَلَّمْنَا لَنَا أَهْلَ
الْبَيْتِ»^(١).

ولهذا السبب أشارت بعض الروايات إلى مقاتلة بعض المسلمين للإمام عليه السلام، فهم مع كونهم يدعون الناس إليه بحسب الظاهر، إلا أنهم يخرجون عليه حاملين رايات الخلاف لمواجهة عند ظهوره؛ فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الْقَائِمُ عليه السلام يَلْقَى فِي حَرْبِهِ مَا لَمْ يَلْقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَتَاهُمْ وَهُمْ يَعْبُدُونَ حِجَارَةً مَنْقُورَةً وَخُشْبًا مَنْحُوتَةً، وَإِنَّ الْقَائِمَ يَخْرُجُونَ عَلَيْهِ فَيَتَأَوَّلُونَ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ وَيُقَاتِلُونَهُ عَلَيْهِ»^(٢).

كما أن الإمام الصادق عليه السلام من خلال وصف رائع لمنتظري الإمام الحجة، يقسمهم إلى ثلاثة فرق: فرقة منهم ناجية، وفرقتان في الجحيم، فيقول: «افْتَرَقَ النَّاسُ فِينَا عَلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ أَحْبَبُونَا أَنْتِظَارَ قَائِمِنَا لِيُصِيبُوا مِن دُنْيَانَا فَقَالُوا وَحَفِظُوا كَلَامَنَا وَقَصَّروا عَن فِعْلِنَا فَسَيَحْشُرُهُمُ اللَّهُ إِلَى النَّارِ، وَفِرْقَةٌ أَحْبَبُونَا وَسَمِعُوا كَلَامَنَا وَلَمْ يُقَصِّروا عَن فِعْلِنَا لِيَسْتَأْكِلُوا النَّاسَ بِنَا فَيَمْلَأُ اللَّهُ بَطُونَهُمْ نَارًا يُسَلِّطُ عَلَيْهِمُ الْجُوعَ وَالْعَطَشَ، وَفِرْقَةٌ أَحْبَبُونَا وَحَفِظُوا قَوْلَنَا وَأَطَاعُوا أَمْرَنَا وَلَمْ يُخَالِفُوا فِعْلِنَا فَأُولَئِكَ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ»^(٣).

إن معرفة العقبات والأضرار التي تلحق بالعقيدة المهدوية من الوظائف المهمة التي تقع على عاتق كل منتظر؛ وذلك من أجل أن يبادر إلى تجنب الخرافة وتصحيح الاعتقادات في هذا المجال.

على ضوء ما تقدم سنشير في هذا المقال إلى عشرة عقبات ونتعرض إلى شرحها بشكل مختصر:

١ - كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٢٤.

٢ - الغيبة، النعماني: ٤٢٤.

٣ - تحف العقول: ٥١٤.

العقبة الأولى: الفهم السلبي للانتظار

إن البعض يفهم الانتظار على أنه حَجْرٌ صحي وغرفة انتظار، بحيث لا يقوم بأداء أي عمل سوى الجلوس والبقاء منتظراً حتى يأتي دوره، مع أن الانتظار يعني التطلع، والاهتمام، والتفاؤل بالمستقبل، والأمل الذي يبعث على الحركة والنشاط والإقدام والاستعداد؛ فأبي عاقل عندما يتعرض للغرق يبقى ينتظر من ينقذه دون أن يحرك ساكناً؟! كلا، فهو يسعى بكل ما يمكن لإنقاذ نفسه إلى أن يصل المنقذ. وأي حكيم عندما يتعرض للحريق يبقى مكتوف الأيدي إلى أن يحترق هو وأسرته دون أن يفعل شيئاً؟! كلا، فهو يسعى بكل ما يستطيع لإنقاذ المنزل من الحريق إلى أن يصل المنقذ. وأي إنسان يبقى يرتجف في برد الشتاء مرتقباً الصيف يأتي ليعث له الدفء؟! كلا، فهو بالتأكيد يحاول تدفئة نفسه بوسائل التدفئة حتى يأتيه الدفء الحقيقي. وأي إنسان يجلس في الظلام عندما ينقطع التيار الكهربائي إلى أن يأتيه الضياء؟! كلا؛ لأنه بالتأكيد سيشعل شمعاً أو مصباحاً اضطرارياً لإنارة المكان مؤقتاً، وهذا ما أكدت عليه الروايات والنصوص الدينية، فقد ورد في حديث يبين إحدى الخصائص التي يمتاز بها أنصار المهدي: «ويوطنون للمهدي سلطاناً».^(١)

إن الانتظار ليس انعزالاً أو يأساً وسكوناً، بل هو عقيدة فاعلة، وتواجد في ميادين العمل، وتمهيد حقيقي وتحوّل أساسي، ومن هنا يجب على الشخص المنتظر أن يتمتع بالاستعداد الفكري والروحي والعملي.

إنّ بعض الجهلة استدل ببعض الروايات التي تشير إلى ضرورة نشر الظلم والفساد على أعتاب الظهور، دون أن يلتفت إلى أنّ تفشي الظلم وانتشار الفساد هو وصف لزمان الظهور لا شرط له، وإنّ ظهور الآيات القرآنية التي تحث على مقاومة الظلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الفساد مشروط بزمان الظهور؛ لأنّ القرآن عام وواسع يشمل كل زمان وكل مكان.

فضلاً عن ذلك فإنّ هناك الكثير من الروايات التي تدل على أنّ وظيفة المنتظرين هي الاستعداد والتخطيط والهدفية في مختلف الأبعاد، ومن جملة الروايات التي أشارت إلى ذلك ما روي عن جابر أنّه قال: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ع وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ بَعْدَ مَا قَضَيْنَا نُسُكَنَا فَوَدَّعَنَا وَقُلْنَا لَهُ: أَوْصِنَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: «لِيَعْنُ قَوِيَّتُكُمْ ضَعِيفُكُمْ وَلِيَعْطِفَ غَنِيَّتُكُمْ عَلَى فَقِيرِكُمْ وَلِيَتَصَحَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ كَنُصْحِهِ لِنَفْسِهِ، وَاکْتُمُوا أَسْرَارَنَا وَلَا تَحْمِلُوا النَّاسَ عَلَى أَعْنَاقِنَا وَانظُرُوا أَمْرَنَا وَمَا جَاءَكُمْ عَنَّا فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُ لِلْقُرْآنِ مُوَافِقاً فَخُذُوا بِهِ وَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُ مُوَافِقاً فَرُدُّوهُ وَإِنْ اشْتَبَهَ الْأَمْرُ عَلَيْكُمْ فَقِفُوا عِنْدَهُ وَرُدُّوهُ إِلَيْنَا حَتَّى نَشْرَحَ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا شَرِحَ لَنَا، فَإِذَا كُنْتُمْ كَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ لَمْ تَعُدُّوا إِلَى غَيْرِهِ فَمَاتَ مِنْكُمْ مَيِّتٌ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ قَائِمُنَا عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ كَانَ شَهِيداً، وَمَنْ أَدْرَكَ قَائِمَنَا عَجَلَ اللَّهُ فَرَجَهُ فَقَتِلَ مَعَهُ كَانَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدَيْنِ»^(١)

وقال الإمام السجادة عليه السلام لأبي خالد الكابلي - وهو يصف له المنتظرين للإمام الحجة عليه السلام ويعرفه بمكانتهم -:

«يَا أَبَا خَالِدٍ، إِنَّ أَهْلَ زَمَانِ غَيْبَتِهِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ وَالْمُنْتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ

الْغَيْبَةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمَشَاهِدَةِ، وَجَعَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِينَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، أُولَئِكَ الْمُخْلِصُونَ حَقًّا وَشِيعَتُنَا صِدْقًا وَالِدُّعَاةُ إِلَى دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سِرًّا وَجَهْرًا، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنْ أَكْثَرِ الْفَرَجِ»^(١).

العقبة الثانية: الفهم الخاطيء لمفهوم الغيبة

إنَّ الفهم الخاطيء وغير الواضح لمفهوم الغيبة يمثل العقبة الأخرى التي يمكن التطرق إليها في موضوع المهديوية.

إنَّ الغيبة تعني عدم الرؤية، والخفاء، والبعد والفراق، والبعض فهمها بمعنى عدم الحضور، وهو فهم خاطيء؛ لأنَّ الغيبة تعني عدم الظهور لا عدم الحضور، فالإمام حاضر لكنّه ليس ظاهراً، وهو بيننا، لكننا لا نراه.

ولذلك جاء في دعاء الندبة: «بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا».

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «يَفْقَدُ النَّاسُ إِمَامَهُمْ، يَشْهَدُ الْمَوْسِمَ، فَيَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ»^(٢).

وإنَّ الروايات التي تُشبهه الإمام صاحب الزمان عليه السلام بالنبي يوسف عليه السلام، ناظرة في أحد جهاتها إلى الشبه في الغيبة؛ ولذلك قال الإمام الباقر عليه السلام: «وَأَمَّا شَبَهُهُ مِنْ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَالْغَيْبَةُ مِنْ خَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ وَاخْتِفَاؤُهُ مِنْ إِخْوَتِهِ»^(٣).

١ - إعلام النوري: ٤٠٧.

٢ - تهذيب المقال، الأبطحي ٢: ١٠٠.

٣ - كمال الدين ١: ٤٤٣.

فإن إخوة يوسف عليه السلام جاءوا إلى مصر لشراء الطعام، فدخلوا على يوسف، وتكلموا معه، لكنهم لم يعرفوه، ولم يدركوا هويته ومكانته، قال تعالى: ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «وَأَمَّا سُنتُهُ مِنْ يُوسُفَ فَالسِّرُّ يَجْعَلُ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ حِجَابًا يَرَوْنَهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ»^(٢).

في الحقيقة إن مشكلتنا ليست هي الغيبة، بل الغفلة؛ فإن موضوع الغفلة هو الذي يجب أن يُطرح في هذا العصر قبل أن يُطرح موضوع الغيبة، فأبي محبوب لا يعيش وهو يذكر محبوبه؟ وأي عاشق لا يتجه نحو معشوقه بعزم وشوق؟ فالإمام ليس غائباً، بل إن الحجب غصت أبصارنا عن رؤيته؛ ومن هنا جاء في التوقيع الشريف الذي أمضاه الإمام الحجة عليه السلام إلى علي بن محمد السمرري آخر سفرائه: «فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً»^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن الغيبة هي من الأمور التعبدية، وإن ذكرت لها بعض العلل، إلا إنها تُعتبر حكماً وليست عللاً، والمراد من الحكمة هو أن الله حكيم، يضع كل شيء في أفضل ما يليق به، وإن كافة أعماله تعالى قائمة على أساس العلم والحكمة، ولا شك أن بني البشر لا يتمكنون من إدراك جميع العلل والحكم؛ لقصور علمهم ومعرفتهم. بناء على ذلك فإن الكثير من الأحكام الموضوعية من قبل الله هي على سبيل التعبد.

١ - سورة يوسف، الآية ٥٨.

٢ - كمال الدين، ج ٢، ص ٢٠.

٣ - كمال الدين ٢: ٥١٦.

إننا لا نعلم فلسفة عدد ركعات الصلاة، كما أن أحكام الطهارات والنجاسات قائمة على أساس حكم أغلبها خافية علينا، لكن بما أنها جاءت من قبل الله الحكيم، نعلم أنها قائمة على أساس المصلحة، وموضوع الغيبة كذلك أيضاً، فبالرغم من أن الروايات ذكرت لها حكماً، لكن لا تعتبر أيّ منها حكمة تامة^(١)

العقبة الثالثة: استبعاد الظهور أو استباقه

إن استباق الظهور أو استبعاده والغفلة عن الاستعداد هو عقبة أخرى من العقبات التي تواجه القضية المهدوية.

والاستباق هو طلب الشيء قبل حلول زمانه وتحقيق شروطه ومقدماته اللازمة، وهو أمر يؤدي إلى ضعف العقائد وعدم التصديق بها، بالشكل الذي يفقد فيه الشخص المنتظر شوقه ورغبته للقاء.

فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمًا وَعِنْدَهُ مِهْزَمُ الْأَسَدِيِّ فَقَالَ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ مَتَى هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَهُ؟ فَقَدْ طَالَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «يَا مِهْزَمُ كَذَبَ الْمُتَمَنُّونَ، وَهَلَكَ الْمُسْتَعْجِلُونَ، وَنَجَا الْمُسَلِّمُونَ، وَإِلَيْنَا يَصِيرُونَ»^(٢)

وقد أشار صاحب «مكيال المكارم» إلى أربعة عشرة ضرراً من أضرار استعجال أمر الظهور، من جملتها:

- ١- اتباع المدعين للظهور. ٢- اليأس من تحقق الظهور. ٣- ردّ أخبار الظهور والفرج. ٤- الاستهزاء والسخرية. ٥- توفير الأرضية المناسبة لمن

١- ر.ك. آب حياء (ماء الحياء)، آية الله ناصرى: ٨٤ وما بعدها.

٢- الغيبة، النعماني، ص ٢٨٤.

يدّعي المهدوية. ٦- الاعتراض على قضاء الله وقدره. ٧- ترك الدعاء لتعجيل الفرج^(١)

إنّ التعجيل في أمر يعود تحققه إلى الله تعالى، وزمان وقوعه من الأسرار التي لا نعلم بها، يؤدي إلى إيجاد روحية متدمرة وشاكية، وربما تجر إلى إنكار وجود الإمام عليه السلام (لا سمح الله).

ولو أننا أدركنا حقيقة الغيبة، وعلمنا بأن وجود الإمام صاحب الزمان عليه السلام في زمان الغيبة يؤثر بنوره في الأرض كتأثير الشمس التي حجبها السحاب، وأنّ الظهور من السنن الإلهية التي تتحقق عندما تتوفر شروطها، فسوف لا نستعجل في هذا الأمر أبداً؛ وهذا هو سبب تأكيد الروايات على الصبر إلى جانب انتظار الفرج في زمان الغيبة.

وهنا نلقت إلى الكتاب السادس من الكتب التي ذكرها صاحب «البحار»، وأورده الشيخ الطوسي في «الغيبة»، والطبرسي في «الاحتجاج»، وهو الكتاب الذي كتبه الإمام الحجة (أرواحنا فداه) جواباً على كتاب بعثته مجموعة من الشيعة وابن أبي غانم القزويني، حينما تشاجروا فيمن يكون الخلف للإمام العسكري عليه السلام، فقد جاء في هذا الكتاب الذي صدر من الناحية المقدسة: «وَلَوْ لَا أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ لَا يُغْلَبُ، وَسِرَّهُ لَا يُظْهَرُ وَلَا يُعْلَنُ، لَظَهَرَ لَكُمْ مِنْ حَقِّنَا مَا تَبَهَّرُ مِنْهُ عُقُولُكُمْ، وَيُزِيلُ سُكُوكَكُمْ، لَكِنَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَسَلِّمُوا لَنَا وَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَيْنَا، فَعَلَيْنَا الْإِصْدَارُ كَمَا كَانَ مِنَّا الْإِيرَادُ، وَلَا تُحَاوِلُوا كَشْفَ مَا غُطِّيَ عَنْكُمْ، وَلَا تَمِيلُوا عَنِ الْيَمِينِ وَتَعْدِلُوا إِلَى الْيَسَارِ، وَاجْعَلُوا قُصْدَكُمْ إِلَيْنَا بِالْمُودَةِ عَلَى السُّنَّةِ الْوَاضِحَةِ»^(٢)

١. ر. ك. مكّيال المكارم، ج ٢، ص ٣٩٢-٣٩٨.

٢. الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي ٢: ٤٦٧.

فكما أنّ الاستعجال معضلة من المعضلات المليئة بالأخطار، فإنّ استبعاد الظهور ورؤيته بعيداً يُعتبر آفة خطيرة وضرراً فادحاً أيضاً. إنّ الأشخاص الذين يرون الظهور بعيداً، لم يجدوا في أنفسهم استعداداً للظهور، بل ينتابهم نوع من الفتور، وإنّ كسر السنن وتجاوز القيم وتعدّي الحدود الإلهية من علامات هذه الرؤية.

وهذا ما أشارت له بعض الروايات، حيث دلّت على أنّ بعض الناس يجعلون القضية المهدوية في معرض الغفلة والنسيان، إلى أن يفاجئون بحقيقة هذا الأمر عند الظهور؛ ولذلك روى حماد بن عبدالكريم عن الإمام الصادق عليه السلام، قوله: «إِنَّ الْقَائِمَ إِذَا قَامَ يَقُولُ النَّاسُ أَنِّي ذَلِكَ وَقَدْ بَلَيْتُ عِظَامَهُ»^(١) إنّ هؤلاء لا يرون دوراً للمهدوية في التربية الدينية والفردية والاجتماعية؛ بسبب إهمالهم في أمرها والنظر إليها نظرة هامشية، وإنّ مثل هذه النظرة تؤدي إلى الجرأة على الله ونسيان التكليف الشرعي.

العقبة الرابعة: الخطأ في تطبيق علامات الظهور

تناولت بعض الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام علامات للظهور، تحتاج دراستها إلى بحوث مستقلة، لا نجد من المناسب التعرّض لها هنا^(٢)

وإنّ من أبرز المصادر التي ذكرت علامات الظهور، كتاب «الغيبة» للنعماني، و«كمال الدين» للصدوق، و«الغيبة» للشيخ الطوسي، و«الإرشاد» للشيخ المفيد، و«أعلام الوري» للطبرسي، و«كشف الغمة» للأربلي.

١ - الغيبة، النعماني: ٢٢٣.

٢ - ر.ك تحليل تاريخي نشانه های ظهور (تحليل تاريخي لعلامات الظهور)، مصطفى صادقي؛ دراسة في علامات الظهور، الجزيرة الخضراء، جعفر تقي العاملي.

إنّ الشيخ المفيد من خلال تعرّضه لسيرة حياة الإمام صاحب الزمان عليه السلام يذكر أكثر من ٤٠ مورداً حول هذا الموضوع. من هنا يجب الالتفات إلى أننا نواجه مجموعة كبيرة من الروايات تتحدث عن علامات الظهور ولها أسانيد مختلفة، منها أخبار آحاد، ومنها الضعيف، فضلاً عما ورد من أخبار في مصادر أهل السنّة تتحدث عن هذه العلامات على لسان النبي صلى الله عليه وآله، إلا أنّ كثرة الروايات في هذا الخصوص، لاسيما الروايات صحيحة السند والمستفيضة أو المتواترة منها، تدعونا إلى تجنب تطبيقها على الأحداث المختلفة على أساس ملاك وثاقة الراوي الذي اعتمد عليه البعض فقط، بالرغم من تصديقها وعدم السعي لإنكارها وردّها^(١) إنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا يسعون من خلال بيان علامات وشرائط الظهور لإحياء فكرة الإمام المهدي بين الناس، وإن كانت الفاصلة الزمنية بين الإخبار عن هذه العلامات وتحقيقها تمتد إلى مئات السنين، وقد ذكر البعض جملة من الآثار الإيجابية الناجمة عن الإخبار عن علامات الظهور، ومنها:

١- الاطمئنان بأصل الظهور وتحقيقه. ٢- العلم بالإرادة الإلهية الحتمية المتعلقة بظهور المنقذ والقضاء على الظالمين. ٣- الاستعداد الروحي والفكري للناس. ٤- العمل بالتكاليف والابتعاد عن ارتكاب المعصية. ٥- إبقاء فكرة المهدوية حيّة وناضجة^(٢)

إنّ محاولة التكلّف في إيجاد العلاقة بين أي حادثة وبين الظهور - وإنّ كانت هذه الحادثة تشبه علامة من العلامات التي دلّت عليها الروايات -

١- ر.ك مشرعة بحار الأنوار، محمّد آصف محسنی؛ ومجلة الانتظار، مقال الدفاع عن روايات المهدوية (نقد مشرعة بحار الأنوار) مهدي حسينيان القمي، العدد ٨-٩، ص ٣٣٥.

٢- ر.ك موعود شناسی (معرفة الموعود)، علی اصغر رضوانی، ص ٥١٥.

يؤدي إلى ضعف إيمان الناس بقضية الإمام المهدي عليه السلام؛ ولذلك أشار أحد المراجع العظام إلى أنه عندما يتم تحديد وقت لتحقيق بعض العلامات، أو تطبيقها بتكلف على بعض الحوادث، في الوقت الذي لم يتحقق فيه الظهور، فإن ذلك سيؤدي إلى تكذيب الروايات ونفي الحقائق وترك التدين.

العقبة الخامسة: دعوى اللقاء

لا شك أن رؤية الإمام صاحب الزمان عليه السلام واللقاء به أمر ممكن في عصر الغيبة الكبرى، وقد وقع بالفعل، فقد قام أشخاص ثقات بنقل قصص حول ذلك بالحد الذي لا يمكن إنكاره، كما دُوّنت مؤلفات كثيرة في هذا المجال، ومن جملة هذه المؤلفات القيمة كتاب «عبقري الحسان في أحوال مولانا صاحب الزمان»، تأليف الحاج الشيخ علي أكبر النهاوندي^(١)، وقد قسم كتابه إلى ٧ فصول، وهي:

١- التشرّف باللقاءات التي تعرّف أصحابها على الإمام صاحب الزمان لحظة لقائه.

٢- التشرّف باللقاءات التي لم يتعرّف أصحابها على الإمام صاحب الزمان لحظة لقائه.

٣- المشاهدات والمكاشفات.

٤- الرؤيا الصادقة.

٥- تجليات الإمام.

١ - ولد الشيخ علي أكبر النهاوندي عام ١٣٨٠ هـ.ق، وهو من تلامذة مامقاني، وحاجي نوري (رحمهما الله)، وهو معروف بشدة زهده وتقواه، ومن جملة مؤلفاته خزينة الجواهر، گلزار اکبري، طور سيناء، جواهر الكلمات، الياقوت الأحمر، توفي عام ١٣٦٩ هـ.ق عن عمر يناهز ٨٩ عاماً ودُفن في مرقد الإمام الرضا عليه السلام. (مقدمة كتاب بركات الإمام صاحب العصر #، ترجمة عبقرى الحسان، سيد جواد معلّم).

٦- التوسلات.

٧- الملازمين للإمام والسفراء.^(١)

ومن هنا لا بد من الالتفات إلى مسألة مهمة، وهي أنّ البعض يتصور بأنّ اللقاء مع أنصار الإمام عليه السلام هو لقاء مع الإمام نفسه؛ وهذا ما أشار إليه سماحة آية الله جوادى آملى بقوله: (كثيراً ما يمرض الإنسان ثمّ يشفى، أو يفقد شيئاً ثمّ يجده، لكن هل يتحقق هذا على يدي الإمام عليه السلام أو أنصاره الذين يعملون بأمره، أو تلامذته الكثيرين الذي يتبعون منهجه؟ أو أنّه يُرسل أحد أعوانه؟! فليس هناك أي برهان على هذه المسألة، وليس هناك دليل على أنّ الإمام عليه السلام بنفسه هو الذي يوصل ذلك الضال إلى منزله، أو هو الذي يحل مشكلة الشخص الفلاني، بل إنّ هناك الكثير من الأولياء يعملون بين يدي الإمام وتحت سلطته، ومن الممكن أن يأمر أحدهم ليحل مثل تلك المشاكل. ففي بعض الموارد تحدث لدى بعض الناس تمثّلات نفسانية فيتصوروها واقعاً، وهذا القسم الأول مما يشاهدونه وهي تمثّلات يجب التفريق بينها وبين الواقعية، والقسم الثاني يرى البعض شخصاً حقيقياً فيحل له مشكلته أو يتدخل في شفاء مرضه أو يوصله إلى منزله إذا كان تائهاً، وفي مثل هذه الحالة أيضاً لا يوجد برهان على أنّ كون ذلك الشخص هو الإمام أو أحد أعوانه أو تلامذته، والقسم الثالث هو التشرف باللقاء الحقيقي كما حدث للسيد بحر العلوم رحمه الله الذي تشرف بلقاء الإمام عليه السلام، وإن كان البعض أنكر ذلك الأمر، مع أنّه لا يُستبعد بل هو من الأمور الممكنة)^(٢).

١- ر.ك. النجم الثاقب، الشيخ التوري.

٢- مجلة الموعود، العدد ٤٨، مقال: إننا نحن الغائبون.

العقبة السادسة: إدعاء المهدوية

إنّ تاريخ الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام يمتد مع امتداد التاريخ الإسلامي، وقد كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام يسعون من أجل إحياء الفكرة المهدوية، وإنّ كثرة الروايات وانتشار هذا الفكر أدّى إلى أن يجازف البعض ليّدعي بأنّه المهدي الموعود، وهي دعوة باطلة ناجمة عن الهوى والهوس الذي يصيب أصحاب هذه الدعوات، بالإضافة إلى جهل وسذاجة الناس الذي أدّى إلى استمرار هذا الأمر وتفشيه.

علماً أنّ البعض لم يدّع المهدوية لنفسه؛ بل إنّ الآخرين يروّج له ويدعون بأنّه الإمام الموعود من أجل تحقيق أغراضهم الخاصة، علماً أنّ الدعم من قبل بعض القوى لمن يدّعي المهدوية ومحاولة كسب نصر على أعدائهم من خلال إيجاد الأمل في نفوس الأتباع، يعتبر من جملة الأسباب التي أدّت إلى رواج مثل هذه الإدعاءات؛ لأنّ الجاذبية الشديدة التي تتمتع بها العقيدة المهدوية وأصالتها، فسح المجال لبعض الانتهازيين والمنحرفين للكشف عن أهدافهم وأطماعهم.

العقبة السابعة: النظرة الأحادية (إمام الشدّة والغضب)

من جملة المنزلقات التي وقع فيها الباحثون حول قضية الإمام المهدي عليه السلام تقديم صورة قاهرة وإرهابية راغبة في إثارة القتال عن الإمام عليه السلام، وهو ما يؤدي إلى تفكيك الأواصر بين الناس والإمام عليه السلام، وقد يبعث بدوره على انزعاج الناس واستنكارهم لأمر الظهور (لا سمح الله).

إن التركيز على الجانب الذي يصف الإمام عليه السلام بالشدة والغضب، دون الأخذ بنظر الاعتبار رأفته ورحمته، يؤدي إلى ابتعاد الناس عنه، ورسم صورة غير صحيحة عن شخصيته من جهة، ومن جهة أخرى يؤدي إلى إنكار ضرورة الشدة والغضب والتطهير والاستئصال الذي تحتاجه كل ثورة، لاسيما الثورة العالمية، مع إن محاولة تحقيق أي تحوّل عظيم بدون أن ترافقه عملية إزالة للأشواك ورفع الموانع واستئصال للمفاسد، تُعد محاولة فاشلة جداً.

بناء على ذلك لا بد أن تقترن الرأفة بالشدة، مثلما نجد ذلك في سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي كان للناس بشيراً ونذيراً، ومع الكفار والمنافقين غليظاً شديداً، ومع المؤمنين رحيماً ودوداً؛ وسيرة صاحب الزمان عليه السلام هي سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فهو يتعامل مع الناس وفقاً لسنة النبي صلى الله عليه وآله.

فَعَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينِ الْقَلَاءِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الْقَائِمِ عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ إِذَا قَامَ بِأَيِّ سِيرَةٍ يَسِيرُ فِي النَّاسِ فَقَالَ: «بِسِيرَةِ مَا سَارَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَتَّى يُظْهَرَ الْإِسْلَامَ»، قُلْتُ: وَمَا كَانَتْ سِيرَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، قَالَ: «أَبْطَلُ مَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِالْعَدْلِ، وَكَذَلِكَ الْقَائِمُ عليه السلام إِذَا قَامَ يُبْطَلُ مَا كَانَ فِي الْهُدْنَةِ مِمَّا كَانَ فِي أَيْدِي النَّاسِ وَيَسْتَقْبَلُ بِهِمُ الْعَدْلَ»^(١)

إن النظرة الأحادية لروايات الإمام المهدي تؤدي إلى الضرر والاختلال؛ لأن الروايات أشارت إلى رحمة الإمام عليه السلام وعطفه كما أشارت إلى شدته وغضبه، وهذا أمر طبيعي جداً؛ لأن كل ثورة بحاجة إلى كلا الجانبين،

فالذين يتصورون بأن الإمام عليه السلام سيهدر حمّاماً من الدم، ويقتل ناساً من المسلمين ومن أصحاب العقيدة، ويتنصر بثورته بواسطة قطع رؤوس العباد، قد وقعوا في خطأ فادح، فهذا الأمر منافٍ لصفات المهدي الموعود؛ لأن الإمام الرضا عليه السلام وصف صاحب الأمر عليه السلام بأنه: «الإمام: الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشفيق، والأمّ البرّة بالولد الصّغير»^(١)

هذا الإمام المنتظر الذي يقول عن نفسه: «إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء»^(٢). إن الهدف من ظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام إقامة العدل وإقرار الأمن، ومن أولويات قيامه القضاء على الظلم والجور، فعند قيامه ينصرم عصر التشتت والتفرقة، والتمييز، وعدم استقرار الأمن، وفقدان العدالة، بل إن الطبيعة ستزدهر بظهوره وتُنزل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها وكنوزها، فهو آمان أهل الأرض^(٣)، ودولته دولة كريمة يعيش الجميع فيها سعادة مطمئنين.

وفي مقابل روايات الرحمة والعطف، نجد عشرات الروايات التي تتحدث عن شخصيته الشديدة، كما أن البعض من هذه الروايات جمعت بين رحمته وغضبه، فقد ورد في رواية عن ليث بن طاووس أنه قال: (علامة المهدي أن يكون شديداً على العمال، جواداً بالمال، رحيماً بالمساكين)^(٤).

١- الكافي ١: ٢٠٠، باب ١٥.

٢- بحار الأنوار ٥٣: ٧٥.

٣- ر.ك بحار الأنوار ٥٣: ٧٥.

٤- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ٣: ٥٦١.

ونقرأ في دعاء الندبة: «أَيْنَ طَامِسُ آثَارِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ، أَيْنَ قَاطِعُ حَبَائِلِ
الْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ، أَيْنَ مُبِيدُ الْعُتَاةِ وَالْمُرْدَةِ، أَيْنَ مُسْتَأْصِلُ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالتَّضْلِيلِ
وَالْإِلْحَادِ»^(١).

وجاء في بعض الروايات «فيقتل المقاتلة»^(٢).

وفي رواية عن عبدالعظيم الحسني، قال: «لَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى
اللَّهُ»^(٣)

من مجموع الروايات التي تدل على رافة الإمام عليه السلام وغضبه نستنتج بأنه
يمسك في إحدى يديه السيف كعلامة للجهاد، وفي اليد الأخرى راية
العطف والمحبة؛ فكلاهما يمهد للعدالة في المجتمع؛ لأنَّ حرب وجهاد
الإمام عليه السلام تكون مع المخالفين والمعاندين، وإذا ما جاء في بعض الروايات
بأنه يقطع دابر بعض العلماء، فالمقصود منهم العلماء المنحرفين عن الدين،
والمكركين للإمام عليه السلام، وعبيد الدنيا، وهؤلاء هم الذين يُصدرون الفتاوى
اليوم بقتل الشيعة، ويستخفون بأهل البيت عليهم السلام نتيجة لعقائدهم الباطلة.
إن الوهابيين والسلفيين يُجرِّمون توطيد العلاقة مع الأئمة عليهم السلام أو السعي
من أجل التبرك والتوسل بهم؛ وذلك لإنكارهم فضائل
أهل البيت عليهم السلام؛ لأنهم يعتبرون فكرة الإمام المهدي فكرة وهمية مجعولة،
دون أن يلتفتوا إلى مئات الروايات التي روتها مصادر الفريقين^(٤).

ولو أننا رتبنا الروايات التي تتحدث عن غضب وشدة الإمام عليه السلام مع
بعضها وقارنا بينها سنستنتج بأنَّ الإمام عليه السلام لا يتوسل بالقتال ويستخدم

١ - مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.

٢ - بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٨.

٣ - مسند عبدالعظيم، ح ٢٧.

٤ - انظر صحيح البخاري، البخاري ٣: ٢٣٢.

السيف إلا بعد إتمام الحجّة وبعد أن يرى عدم تأثير الموعظة والنصيحة؛ لأنّ سيف الإمام المهدي عليه السلام نقمة للظالمين والسفاكين والمستكبرين والمنكرين والمعاندين، ولأهل العدل والمظلومين والمستضعفين حياة ونجاة ورحمة. بالإضافة إلى أنّ الروايات تدل على أنّ الغضب والشدة والقتال هي أمور مؤقتة تتعلق بالأيام الأولى من حكومة الإمام عليه السلام، لكن بعد إتمام هذه المرحلة واستقرار العدالة تنتهي مرحلة القتل؛ لكون الأمور في بداية الظهور غير مستتبة والظلم متفشٍ إلى درجة لا يكون أمام الإمام الرؤوف خيار إلا سلوك مثل هذا السبيل.

العقبة الثامنة: انتشار الظلم والغفلة عن التكليف

لا بد لنا أن ننظر إلى روايات الإمام المهدي عليه السلام نظرة شاملة، بحيث نجعل بعضها يُفسّر البعض الآخر؛ لأنّ النظرة السطحية الناشئة عن الاعتماد على رواية أو عدّة روايات دون الأخذ بنظر الاعتبار الجوانب التي تناولتها الروايات الأخرى ينجم عنه آثاراً سيئة جداً.

إنّ البعض من خلال ملاحظته لعدد قليل من الروايات أخذ يتصوّر بأنّ محاربة الظلم والجور، والسعي من أجل نشر العدالة في المجتمع هو ابتعاد عن خط الظهور وعرقلة لمسيرته؛ ولذا يرى وجوب السعي من أجل نشر الظلم لكي يظهر الإمام عليه السلام، وهذه الفكرة تستند إلى روايات أخبرت عن انتشار الظلم على أعتاب الظهور، منها الرواية التي جاء فيها: «الْمُنْتَظَرُ الَّذِي يَمْلَأُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا»^(١).

ولو أننا دققنا في الروايات التي تُخبر عن انتشار الظلم في العالم، سيتضح لنا بأنّ انتشار الظلم ليس شرطاً للظهور بل وصفاً لأحوال عصر الظهور،

وكمثال على ذلك إذا فرضنا أن أحد الأشخاص أخبر بأن فرقة إطفاء الحريق في طريقها لإطفاء حريق، فهذا لا يعني أننا يجب أن نُحدث حريقاً من أجل تعجيلهم؛ وهكذا في قضية الإمام صاحب الزمان عليه السلام فإنه يأتي لدرء الظلم، وإعانة المظلوم، فكيف يمكن أن يساعد المظلوم في تفشي الظلم؟!

بناء على ذلك، فإن الرواية المذكورة تعني أن الظلم سيصل إلى ذروته، فتمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، وتصل الشقاوة إلى أوجها، لا أن السعادة تنتفي وتخلو الأرض من الصالحين والمؤمنين، بل إن الأمر يكون على العكس من ذلك؛ لأن أتباع المهدي يجب أن يوطدوا للظهور بأعمالهم الصالحة؛ ولذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «طُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَ زَمَانَ قَائِمِ أَهْلِ بَيْتِي وَهُوَ مُعْتَقِدٌ بِهِ قَبْلَ قِيَامِهِ وَيَتَوَلَّى وَلِيَّهُ وَيَتَبَرَّأُ مِنْ عَدُوِّهِ»^(١)

كما جاء في مصادر أهل السنة حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله جاء فيه:

«يَخْرُجُ أَنَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِئُونَ لِلْمَهْدِيِّ سُلْطَانَهُ»^(٢)

كما روي عن الإمام السجاد عليه السلام قوله: «فَلَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ قَوِيَ يَقِينُهُ وَصَحَّتْ مَعْرِفَتُهُ وَلَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْنَا وَسَلَّمْنَا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(٣)

العقبة التاسعة: الهامشية وطرح البحوث الفرعية

يوجد في كل بحث سلسلة من الأمور الأساسية وسلسلة من الأمور الهامشية والفرعية، والبعض أحياناً يغفل عن المحاور الأساسية والمهمة قاصداً ذلك أو غير قاصد نتيجة لجهلة، فتراه يتجه نحو مواضيع فرعية

١- بحار الأنوار ٥٢: ٥٣.

٢- بحار الأنوار ٥١: ٨٧، كنز العمال، ح ٣٨٦٥٧.

٣- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق ١: ٣٢٤.

وغير ضرورية لا يؤثر التعرّف عليها أو عدم التعرّف عليها أدنى أثر أو ضرر على أصل القضية.

إنّ الإهمال بالنسبة إلى ثقافة الانتظار، وغض النظر عن الوظائف في عصر الغيبة، والغفلة عن حضور الإمام في المجتمع، تعتبر منزلقات خطيرة تؤدي إلى ولادة الخرافة واغترار الناس، وإذا احتلت الخرافة مكان الحقيقة فإنّ المنتظرين سيبتعدون عن المعارف الدينية السامية، ويبقون يراوحوون في دائرة الفروع والحواشي دون الوصول إلى نتيجة، وهذا ما يتطلع له الأعداء. إنّ السؤال عن محل سكنى الإمام عليه السلام، وزوجته، وأبنائه، ومحل عيشه، وأكله، ولباسه، وأسفاره، وأمثال ذلك، وإعطاء الأولوية لهذه الأمور؛ يُعتبر من مصاديق الاهتمام بالبحوث الهامشية والفرعية.

إنّ هذه البحوث تُصبح شائعة يُعلق عليها المغرضون والمخالفون تبريراتهم؛ من أجل الهجمة على عقائد الشيعة النقية والمقدّسة؛ ومن هنا نجد أنّ البعض مثل ابن حجر وابن خلدون بدل أن يتعرضوا إلى فكرة المهدوية ويراجعوا الكتب الأساسية والمعتبرة عند الشيعة في هذا المجال، فإنّهم يهتمون بالمفتريات والأمور المجعولة، كقولهم: إنّ الإمام عليه السلام مخفي في السرداب.

ومن هنا لا بد أن يتضح بأنّ الشيعة يقصدون السرداب الموجود في سامراء، لكن لا لكونه مكان تواجد الإمام عليه السلام، بل لأنّه المكان الذي ولد فيه الإمام عليه السلام وظهرت فيه معجزاته، وهو الآن مجاور لقبر أبيه وجدّه.

ومن جملة الأمور المجعولة الأخرى قصة الجزيرة الخضراء التي ذكرتها بعض المصادر، فنحن لا يمكن أن نلتزم بأنّها محل سكنى الإمام عليه السلام الدائم، بالرغم من وجود اختلاف في الرأي بين علماء الشيعة حول صحة وسقم مصدرها، فحقيقة هذه الجزيرة غير واضحة المعالم لدينا.

ومن هذا القبيل أيضاً البحث حول أبناء الإمام عليه السلام وعياله، وهو من البحوث غير الواضحة لدينا أيضاً. نعم، توجد بعض الأخبار التي تشير إلى أنّ للإمام زوجة وأبناء، لكن مَنْ هم؟ وأين يسكنون؟ وما هو عددهم؟ وما هي أسماؤهم؟! فإنّ كل ذلك لا نعلمه.

وعلى أي حال، فإنّ التطرّق لمثل هذه البحوث، مع عدم وجود الروايات التي نعتمد عليها، ليس فيه ثمرة تُذكر، بل إنّ البعض من هذه البحوث يؤدي إلى الغفلة عن أصل القضية، والابتعاد عن أساس التكليف.

العقبة العاشرة: الاستنكاف من اتباع العلماء

جاء في التوقيع الشريف الصادر عن الساحة المقدسة لصاحب الزمان (أرواحنا فداه) والذي بعثه إلى محمد بن عثمان العمري: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(١)

كما روي عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: «لَوْ لَا مَنْ يَبْقَى بَعْدَ غَيْبَةِ قَائِمِكُمْ عَ مِنْ الْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، وَالِدَّالِّينَ عَلَيْهِ، وَالِدَّابِّينَ عَنْ دِينِهِ بِحُجَجِ اللَّهِ، وَالْمُنْقِذِينَ لِضَعْفَاءِ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ شِبَاكِ إِبْلِيسَ وَمَرَدَّتِهِ وَمِنْ فِخَاخِ النُّوَاصِبِ، لَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ أَرْمَةَ قُلُوبِ ضَعْفَاءِ الشَّيْعَةِ كَمَا يُمَسِّكُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ سُكَّامَهَا، أُولَئِكَ هُمُ الْأَفْضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢)

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «عُلَمَاءُ شَيْعَتِنَا مُرَابِطُونَ فِي الشَّغْرِ الَّذِي يَلِي إِبْلِيسَ وَعَفَّارِيَّتَهُ يَمْنَعُونَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى ضَعْفَاءِ شَيْعَتِنَا وَعَنْ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَشَيْعَتُهُ»^(٣)

١ - كمال الدين وتمام النعمة ٢: ٤٨٣.

٢ - المحجة البيضاء ١: ٣٥.

٣ - منتخب ميزان الحكمة، العدد ٤٥٣٥.

إنّ بعض الأشخاص في عصر الغيبة تورّطوا بالفعل في مثل هذه المعضلة؛ نتيجة لغرض النظر عن دور العلماء، وإحلال الطريقة بدل الشريعة، وتحريم أتباع ولاية الفقيه، مع أنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام أوكلوا شؤون الناس إلى الفقهاء، واعتبروهم أمناء عليهم؛ من أجل أن يتجنبوا من يستقطب الأتباع ويؤلف الفرق.

إنّ الاستنكاف من أتباع العلماء والنظرة الأحادية في هذا الجانب، من عوامل تفرقة الشيعة وتشتتهم، وسقوطهم في ورطة التيه والضلال، وهذا ما يجعل الأرضية مناسبة لنفوذ المستعمرين وتسلطهم.

تجدر الإشارة إلى أنّ العقبات العشرة التي ذكرناها هي مجموعة من المشاكل التي تواجه النظرية المهدوية، وإنّ الغفلة عن هذه العقبات تؤدي إلى انحراف تيار المهدوية الأصيل والمتجدّر؛ ومن هنا بات على المبلغين ووسائل الإعلام وأرباب الصحف والمراكز الإعلامية والتربوية العمل على تعميق فكرة الإمام المهدي عليه السلام، والسعي الحثيث من أجل إزالة مثل هذه العقبات.

المهدوية المفتراة الفتنة القديمة الجديدة

مجتبى المحمودي

اللّهم، ادفع عن وليك وخليفتك وحجّتك على خلقك، وأعدّه من شرّ الأشرار، واحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته بحفظك الذي لا يضيع من حفظته به، وانصره بنصرك العزيز، ووالٍ من والاه وعادٍ من عاداه.

اللهم، اسلك بنا على يديه منهاج الهدى، وقوّنا على طاعته، وأعدنا من السّامة والكسل والفترة، واجعلنا ممن تتصر به لدينك، ولا تستبدل بنا غيرنا.

المهدوية المفتراة.. الفتنة القديمة الجديدة:

اخترت هذا العنوان نظراً إلى أنّ فتنة التمويه بالعتيدة المهدوية هي محنة قديمة جديدة لطالما أخذت مأخذها في المجتمعات الإسلامية، وكان لامتدادها العريض الواسع آثاراً بليغة في هدم العقيدة الإسلامية.

وهذا التمويه والتشويه يكشف عن أن هناك حقيقة ناصعة وثابتة تهوي إليها البشرية جمعاء وتتلهّف بشوق لتحقيقها، إذ لولا الذهب المصفى لما وُجد المزيّف منه من يغترّ به، ولولا الماء الصافي لم يحسب الظمآن السراب ماءً.

وهناك سمات تحيط بالعتيدة المهدوية تميّزها عن سائر مفردات العقيدة وتجعلها محطّ اهتمام المناوئين والطامعين، وأهمّها هي:

أولاً: دور المهدوية في خلاص البشرية والمسلمين وبسط العدل والأمن

على بسيط الأرض.

ثانياً: رسوخ هذه العقيدة في قلوب المسلمين وأذهانهم، وتواتر الأدلة عليها لدى كافة الطوائف الإسلامية.

ثالثاً: هيمنة قوى الغطرسة والمستعدين على عروش الطغيان، وإذلالهم للمسلمين ومنعهم عن أبسط حقوقهم المعنوية والمادية - وذلك على مر التاريخ - مما جعلت بعض المضطهدين يندفع من دون تروء - وراء النداءات المغرية ويرى اخلاصها فيها.

هذه العوامل وغيرها دفعت المتربصين دوائر السوء إلى استغلال هذا المبدأ الإلهي في سبيل مطامعهم الخبيثة والرخيصة، وبذلك نشأ الانحراف في مسيرة الانتظار منذ بزوغ شمس الإسلام وإلى فجر الوعد الصادق. وعلى المجتمع الإيماني المنتظر أيضاً أن يراقب ويمحص إيمانه بالمهدي المنقذ؛ ليبقى صافياً نزيهاً عن الشوائب، ينبع بالخير والهداية في حياته.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة المتواضعة لتتناول الأسباب التي أدت أو تؤدي إلى الانحراف في العقيدة المهدوية ودعواها من قبل المرتابين. وهذا التحليل الملخص وإن استتج من خلال بعض مراحل التاريخ الإسلامي لكن المستخلص منه هو الأسباب الجوهرية المؤثرة في الانحراف التي لا تختص بالماضي، وإنما تجري وتنطبق على الحاضر والمستقبل، ولذا فإن البحث ليس عن أمرٍ مضى وقته ولزم أجله، وإنما هو عن انحرافٍ مُعاشٍ حاضرٍ يثير الخوف والقلق على أمن العقيدة ويدعو الأئمة على دين الله لإعداد العُدّة والعدد في مواجهة ذلك.

نمطان متمايزان في دعوى المهدوية:

النمط الأول: دعوى المحبين والموالين ذلك بالنسبة إلى الأئمة أو زعماء

المسلمين، في حين أنهم كانوا بُراء من ذلك، وقد ظهر هذا النمط من الانحراف بالنسبة إلى العديد من الشخصيات الإسلامية. وهؤلاء هم على عدة أصناف:

الصنف الأول: المندفعون بسبب الولاء المفرط أو الغلوّ لدعوى مهدوية بعض أعلام الدين، وقد يعود العامل في ذلك إلى أمرين: أولاً: عدم بلورة المفاهيم والأطر المحددة لشخصية المهدي في أذهان هؤلاء الموالين، وتسرعهم إلى تطبيق عنوان الإمام الحيّ القائم على هذا الإمام أو القائد استناداً إلى بعض ملامح المنتظر الموعود التي عرفوها في هذا القائد أو الإمام.

ثانياً: انبهارهم بشخصية الإمام أو القائد وأوصافه الفذة الفريدة، كعلمه وعدله وشجاعته و... الذي كان يصدهم أحياناً عن الإذعان بمماته، فيزعمون أنه لم يمت، بل هو حيّ سيقوم، أو أنه رفع إلى السماء وسيعود. وهذه بعض نماذج الانحراف في الولاء^(١):

١- الكيسانية: وهم الذين قالوا بإمامة أبي القاسم محمد بن أمير المؤمنين: ابن خولة الحنفية، وزعموا أنه هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأنه حيّ لم يمت ولا يموت حتى يظهر الحق.

واستدلوا أنه المهدي بقول النبي ﷺ: «لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث

١- لم ندرج السبابة في هذا السياق، ولم نكرّر مقولة بعض المؤرخين، من أنهم أتباع عبد الله بن سبأ الذي لما بلغه نعي علي وهو بالمدائن، قال للذي نعاه: كذبت يا عدو الله! لو جئتنا والله بدماعه في صرة فأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدقناك، وتعلمنا أنه لم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض، ثم ذهب مع جماعته من يومه إلى باب دار الإمام يستأذن عليه استئذان الواصل بحياته وأنكر على أهل بيته قولهم بوفاته... وذلك لأن عبد الله بن سبأ هذا هو من مختلقات سيف بن عمر في القرن الثاني الهجري، وهو غير عبد الله بن وهب السبئي أول رؤساء الخوارج، وقد نسب سيف إلى ابن سبأ المختلق أقاويل متناقضة من القول بالوهية علي ومهدويته و...
انظر: عبد الله بن سبأ (للسيد مرتضى العسكري) ٢: ٣٦١، وما بعدها.

الله عز وجل رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي وكنيته كنيتي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

قالوا: وكان من أسماء أمير المؤمنين: عبد الله بقوله: «أنا عبد الله وأخو رسول الله»^(١).

٢- الباقرية: وهم أدعياء مهدوية الإمام محمد بن علي الباقر، حيث رأوا في رواية إِبلاغ جابر تحية النبي ﷺ إلى الإمام دلالةً على مهدويته، وإلا لما أمر جابر بالإبلاغ إليه دون غيره من الأئمة^(٢).

٣- الناووسية: أتباع رجل يُقال له: ناووس. وقيل: نُسبوا إلى قرية ناووسا.

قالت هذه الفرقة: إن الصادق حيٌّ بعد، ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره، وهو القائم المهدي، ورووا عنه أنه قال: (لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا، فإني صاحبكم صاحب السيف)^(٣).

الصنف الثاني: الموالون الذين ادّعوا مهدوية الإمام لا بسبب الولاء والانتفاء، بل لأنهم كانوا قد ظفروا بأموال جمّة من خلال علاقتهم بالإمام أو وكالتهم عنه، وبعد رحيل الإمام أصبحوا ينكرون موته ويدّعون أنه الإمام الحي القائم، ولا إمام بعده، ليكونوا غير ملزمين بدفع الأموال إلى الإمام الحي الذي تولى أمر الإمامة.

وأبرز مثال لهذا الصنف من السلوك الانحرافي هم الواقفية، فقد روى الكشي بإسناده: (كان بدء الواقفة أنه كان اجتمع ثلاثون ألف دينار عند الأشاعثة زكاة أموالهم وما كان يجب عليهم فيها، فحملوا إلى وكيلين

١ - الفصول المختارة (للسيد المرتضى) ٢٩٦-٢٩٧.

٢ - يراجع: شرح إحقاق الحق (للسيد المرعشي) ٢٨:٢١٥.

٣ - الملل والنحل: الشهرستاني ١: ١٦٥.

لموسى عليه السلام بالكوفة، أحدهما حيّان السراج والآخر كان معه، وكان موسى عليه السلام في الحبس، فاتخذوا بذلك دوراً وعقدوا العقود واشتروا الغلات، فلما مات موسى وانتهى الخبر إليهما أنكرا موته، وأذاعا في الشيعة أنه لا يموت، لأنه هو القائم، فاعتمدت عليه طائفة من الشيعة وانتشر قولهما في الناس، حتى كان عند موتها أوصيا بدفع المال إلى ورثة موسى عليه السلام واستبان للشيعة أنها قالا ذلك حرصاً على المال^(١).

وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن أحمد بن حماد، قال: كان القوام عثمان بن عيسى الرواسي وكان بمصر وعنده مال كثير وستّ جوارى. قال: فبعث إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام فيهنّ وفي المال. قال: إنّ أباك لم يمت. وأضاف الشيخ الطوسي في روايته قوله: وهي حيّ قائم، ومن ذكر أنّه مات فهو مبطل^(٢).

قال: فكتب إليه: «إنّ أبي قد مات وقد قسّمنا ميراثه وقد صحّت الأخبار بموته» واحتجّ عليه، قال: فكتب إليه: إن لم يكن أبوك مات فليس لك من ذلك شيء، وإن كان قد مات - على ما تحكي - فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وقد أعتقت الجوارى وتزوجتھنّ^(٣).

ومن أمثلة هذا الصنف: جعفر بن علي الهادي المعروف بجعفر الكذاب، أخ الإمام العسكري، كان يكيده ويدسّ عليه، ولما توفي الإمام خرج إلى بني العباس وأخبرهم بمكان الحجّة وطلب منهم تفتيش بيت الإمام العسكري، وادّعى الإمامة بعد أخيه، ولذلك قيل له: الكذاب. وحمل عشرين ألف دينار إلى الخليفة، وقال له: يا أمير المؤمنين تجعل لي مرتبة أخي

١ - اختيار معرفة الرجال: ٤٥٩، الحديث: ٨٧١.

٢ - الغيبة: ٤٢.

٣ - عيون أخبار الرضا ١٠٤: ٢.

ومنزلته؟ فقال الخليفة: إن منزلة أخيك ليست منّا، إنّما كانت من الله، ونحن كنّا نجتهد في حطّ منزلته والوضع منه، وكان الله يأبى إلا أن يزيده كل يوم، بما كان معه من الصيانة وحسن السمات والعلم والعبادة، وإن كنت شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما في أخيك لم نغن عنك في ذلك شيئاً^(١).

الصف الثالث: المدفوعون من قبل جهاز السلطة أو المستعمرين وأجهزتهم الاستخباراتية، حيث رصدت هذه القوى بعض ضعاف النفوس ودفعتهم إلى تحلّل دعوى المهديّة، وذلك بهدف ضرب مناشئ القوة الإسلاميّة، فحالفهم الحظ في ذلك أحياناً ونشأت الفرق الهدّامة التي مزّقت وحدة الصفّ الإسلامي وأثارت الفتن بين المسلمين.

ويعتبر السيد علي محمد باب الشيرازي ودعوته ونشوء البابية والبهاية أصدق شاهد على هذه المحاولة الاستعمارية، فقد كان يحضر درس السيد كاظم الرشتي في كربلاء، وكان يحضر معه حلقة الدرس هذا جاسوس روسيٌّ تظاهر بالإسلام يُسمّى: كينيازد الغوركي، فحوّل اسمه إلى الشيخ عيسى اللنكراني، فعقد معه أواصر الصداقة والمودّة وتبادلا الزيارات وانعقدت مجالسهما في جوف الليل على دخان الحشيش، وقد عرف هذا الجاسوس أن صيده ثمين، وأن عقيدته غير مستقرة، وقد ذكر في مذكراته: رأيت في المجلس الميرزا علي محمد الشيرازي فتبسّمت وصمّمت في نفسي أن أجعله ذلك المهدي المزعوم، ومن ذلك اليوم بدأت كل ما أجد الفرصة أرسخ في ذهنه أنه هو الذي سيكون القائم، وكنت أخاطبه يومياً منادياً له: يا صاحب الأمر، يا صاحب الزمان، فكان يبدو عليه امتعاض أوّلاً، ولكنّه

لم يلبث أن أخذ يتقبّل ذلك بسرور كلّما سمع هذا النداء، فأثمرت هذه النداءات، وبدأ يميل إلى إعداد نفسه داخلياً بما يتطلّع إليه من شهرة. فبعد انتقاله من كربلاء إلى مدينة بوشهر جاءني فجأة خطابه في مايو سنة ١٨٤٤م يخبرني أنه الباب ويدعوني إلى الإيمان به. فكان جوابي إليه بأنّي أوّمن به أنّه إمام العصر، لا بابه ونائبه.

ثم يعقّب هذا الروسي الماكر قائلاً: وحمدت الله أنّ سعبي لم يضع هباءً، وأنّ جهودي التي أنفقت فيها الجهد والمال قد أثمرت وآتت أكلها. وهكذا تنكشف الدوافع الخفية والعوامل التي كانت تخطط من وراء ستار على إقامة هذا الصنم الجديد ليثير القلاقل في المجتمع الإسلامي^(١).
الصف الرابع: المتمهدين الذين اشتبه الأمر على أنفسهم، فزعموا أنهم هم المعنيون من بشارات ظهور المصلح في آخر الزمان، وقد يكون إعجاب المرء بقدرته العلمية وثقافته العالية وقوّة الخطاب هو الذي يستدرجه إلى التورّط في هذه الشبهة.

وقد يلاحظ هذه الأوصاف في نشوء حركة القادياني الميرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى المولود في سنة ١٢٥١هـ، حيث كان ذا شغف بالقراءة والمطالعة منذ صغره، وقد تفرّغ لدراسة الكتب الدينية والصوفية، وكانت له مع كبار المبشرين وغيرهم مناظرات مشهورة وتفوّق بارز، وكان يصرف أوقاته كلّها في الذبّ عن الدين الحنيف، وقد واصل مطالعة كتب العرفان والتصوّف والفلسفة وثقّف نفسه ثقافة عالية أهّلتة للصدارة والتأليف، فأنتج آثاراً قيّمة قُوبلت بالإعجاب والإكبار، ثم بعد فترة ادّعى أنه مجدد الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري، وظلّ يؤكّد ذلك في خطبه ومؤلفاته

١- البهائية.. حقائق ووثائق: عادل عبد المنعم أبو العباس، ١١، نقلاً عن مذكرات كينبازد الغوركي.

فترة، ثم ادّعى أنه المهدي المنتظر، وبقي على تلك الحال يواصل الدعوة ولم يرض طموحه ما حصل عليه من إقبال، فادّعى النبوة^(١).

وختاماً هناك نقاط جوهرية لا بدّ من الالتفات إليها:

١- إنّ فرز العلل والدّواعي في دعوى المهديوية ليس بمعنى أنّ العامل القريب والبعيد في الدعوى هو واحد من تلك العلل فحسب، بل قد تتعاضد العوامل وتتكاثر الجهود، فمن أوهام باطنية ووساوس شيطانية وأساليب مغرية تتفاعل وتؤدّي إلى الانحراف، ثم انخداع بعض الجهلة والتفافهم حول المدّعي المفترى يمهد الطريق لتدخل القوى المعادية للإسلام، لتضع ما بحوزتها من العُدّة والعدد والإعلام والعملاء لتوجيه الفتنة واستثمارها.

٢- إنّ أدعاء المهديّة اليوم التي تعلو أصواتهم بين حين وحين في مختلف بقاع العالم، مهما اختلفت أساليبهم وتنوّعت دعواتهم، تنحصر غاياتهم ودوافعهم في أمرين لا ثالث لهما، فإمّا مغرّرون بحبّ الجاه والسلطة، أو أنّ الأجنحة الاستعمارية هي المحرّضة الأساس وإن لم تنكشف مؤامراتهم الخبيثة إلى بعد حين، ولا يكاد يصل أمر المدّعين إلى مرتبة التمويه على الذات والالتباس على النفس، بحيث يجزمون بصدق ما يدّعون، بل هم على بصيرة من دجلهم وغوايتهم، والله مبطل ما هم يفترّون.

٣- نقترح على أمانة المؤتمر المؤقّر إعداد لائحة تدرج بكلّ وضوح وتفصيل خصائص المهدي المنتظر التي لا يشاركه فيها أحد من العالمين، من الاسم واللقب والنسب وتاريخ الولادة والغيبة و... ويحدّد فيها علامات

الظهور الحتمية وما إلى ذلك من دلالات فارقة، ثم الإعلان عنها في أرجاء العالم الإسلامي، والإفصاح عنها بشكل متواصل وبطرق إعلامية مختلفة وبكل اللغات المعنية، لتكون الأمة على بصيرة تامة في أمر إمامها المغيب ولكي يقطع السبيل أمام الطامعين الدجالين.

اللهم، إنا نشكو إليك فقد نبينا صلواتك عليه وآله، وغيبة ولينا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا، وشدة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا، فصل على محمد وآله، وأعنا على ذلك بفتح منك تعجله، وبضر تكشفه، ونصر تعزه، وسلطان حق تظهره، ورحمة منك تجل لناها، وعافية منك تلبسناها، برحمتك يا أرحم الراحمين.

الإمام المهدي عليه السلام عند علماء أهل السنة (بالتركيز على علماء الشافعية)

أحمد نفيسي (خوركوئي كذائي)

المقدمة

إنَّ المهدوية فكرة نجاة وتحرّر تنشبت عروقها في الدين الإبراهيمي الحنيف على أساس حكمة خلق العالم والإنسان.
إن المهدوية مخطّط تنفيذي إلهي لمستقبل راجح للإنسان واستقرارٍ منتصر للإيمان والقيم الدينية وحكومة عباد الله الصالحين الذين يرثون الأرض.
إن المهدوية رأي زاهر ومتفائل بالنسبة إلى مسار التاريخ المتكامل، كما هي فكرة مُطمئنةٌ بالنسبة إلى نهاية الإنسان في مصيره التاريخي.
وتحقيق هذه الفكرة والمخطّط الإلهي الذي يضمن سعادة البشر، بيد شخصية تُدعى في روايات الفريقين البالغة حدّ التواتر والشهرة: «المهدي عليه السلام».

السنة النبوية

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

فرض على المؤمنين [وبمقتضى الآية الكريمة] أن يؤمنوا بالروايات الصادرة عن رسول الله (ص) ويزعنوا لها.

بعد أن امتدّ الإسلام جغرافياً وتسلّم بنو أمية وبنو العباس مقاليد الأمور، خطّطوا سياسياً وثقافياً وعقائدياً للبقاء في السلطة، إلى جانب

ذلك تسربت الأفكار غير الإسلامية خاصة الفلسفة اليونانية في العالم الإسلامي مما أشاع المباحثات الكلامية بين المسلمين، وثمره ذلك كلها هي تواجد أفكار بعيدة عن مدرسة الأنبياء في الذهن الإسلامي الثقافي. ونُشرت هذه الأفكار بين المسلمين تحت عنوان «الحضارة الإسلامية» بينما تبنتي نظرية التوحيد على الفطرة البشرية الطاهرة، وإنما الله هو الخالق والرازق والغفار والسميع والعليم والحكيم، وليس «علة العلل». إنه ربُّ أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، يسبِّح له ما في السماوات وما في الأرض، أقام الكون بالعدل والحكمة، يريد للإنسان السعادة فيبعث الرسل، وبعد ختم النبوة يودع الثقلين بين البشر لإجاءهم ويجعل التمسك بهما طريق السعادة.

الإمام المهدي عليه السلام من منظور الأحاديث

إن المهديوية في الفكر الإسلامي مما أجمع عليه المسلمون، وظهر الإمام في آخر الزمان كرجل من عترة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقيم دولة الحق على أساس بسط العدالة من الضروريات المتفق عليها بين المسلمين.

يقول ابن حجر في كتابه «تهذيب التهذيب» (المجلد ٧، الصفحة ١٣٣، طبع دار الفكر في بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٥٥ م. ١٤١٢ هـ.) نقلاً عن الحافظ أبي الحسن الأبري من علماء القرن الرابع: «وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - في المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين ويملا الأرض عدلاً، وأن عيسى - عليه الصلاة والسلام - يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى خلفه في طول من قصته وأمره.»

ويقول القرطبي في تفسيره المسمى بالجامع لأحكام القرآن (المجلد ٨، الصفحة ١١٣، طبع دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة الرابعة: ٢٠٠١ م. ١٤٢٢ هـ.) في تفسير الآية ٣٣ من سورة التوبة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: «وقيل: المهدي هو عيسى فقط، وهو غير صحيح، لأن الأخبار الصحاح قد تواترت على أن المهدي من عترة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا يجوز حمله على عيسى.»

كما يعتقد الكتاني في كتاب «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (الصفحة ٢٢٨، طبع دار الكتب السلفية في مصر، الطبعة الثانية) أن أحاديث المهدي متواترة ويعزو هذا القول إلى بعض العلماء، منهم الحافظ السخاوي ومحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ومحمد بن علي الشوكاني. يقول الكتاني في نفس المصدر (الصفحة ٢٢٩): «فيتحصّل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر والدجال ونزول عيسى ^{عليه السلام} متواترة.»

حديث الخلفاء الاثني عشر

قال رسول الله (ص): «يَكُونُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ.» لا أحد يشك في صدور حديث الخلفاء الاثني عشر المروي عن النبي (ص) وأذعن أهل الحديث إلى تواتره، كما يذكر الإمام أحمد بن حنبل (من علماء القرنين الثاني والثالث) هذا الحديث في المجلد الخامس من مسنده بـ ٣٤ سنداً من جابر بن سمرة. (مسند أحمد، المجلد ٥، الصفحات ٨٦-١٠٨)

ورد شبه هذا الحديث في المجلد التاسع من صحيح البخاري، قبل باب إخراج الخصوم، الصفحة ١٠١.

ذكر أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري (من علماء القرن الثالث) نفس الحديث بستة طرق في صحيحه. (صحيح مسلم، المجلد ٢، كتاب الأمانة، الباب الأول، الصفحة ١٢١ و ١٢٢)

ذكر حديث الخلفاء الاثني عشر أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (من علماء القرن الثالث) في سننه الذي هو من الصحاح الستة. (سنن الترمذي، المجلد ٤، كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلفاء، الصفحة ٥٠١).

نقل هذا الحديث أبو داود سليمان بن الأشعر السجستاني (من علماء القرن الثالث) في سننه الذي هو من الصحاح الستة المعتبرة بعد كتابي البخاري ومسلم. (سنن أبي داود، المجلد ٢، كتاب المهدي، الصفحة ٤٢١).

ينقل المحدث والمورخ الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المشتهر بالحاكم النيشابوري الشافعي نفس الحديث في كتابه «المستدرک علی الصحیحین». (كتاب معرفة الصحابة، ذكر جابر بن سمرة، الصفحة ٦١٧).

كما يذكر الشيخ علاء الدين علي بن حسام الدين المشتهر بالمتقي الهندي (من علماء القرن العاشر) هذا الحديث في كتاب «كنز العمال» حاشية مسند أحمد (المجلد الخامس، الصفحة ٣١٢) بثلاثة طرق من ضحاک بن قيس وجابر بن سمرة وابن مسعود.

يقول العالم الكبير والمورخ الأديب الحافظ أبو بكر جلال الدين السيوطي الشافعي في كتابه «تاريخ الخلفاء» (فصل مدة الخلافة في الإسلام، الصفحة ١٠): «نقل هذا الحديث بألفاظ مختلفة.» ثم ينقله بتسعة تعابير.

روى الحافظ الطبراني (من علماء القرن الرابع) هذا الحديث في المجلد الثاني من كتاب «المعجم الكبير» بسبعة وثلاثين طريقاً، كما يرويه في المجلد الأول من كتاب «المعجم الأوسط».

وردت هذه الرواية في مصادر ومجموعات حديثة أخرى عند أهل السنة لا يسع ذكرها هذا المختصر.

مغزى الحديث

شاهدنا تواتر الحديث المذكور وصحة صدوره عن النبي (ص). لكن هناك خلافات بين علماء السنة في تفسير الحديث وتعيين مصاديقه.

إن العناصر المفردة في الحديث هي: الخليفة وعدد الأثني عشر وكونهم من قريش والزمان الذي عبّر عنه بـ«بعدي».

أما «الخليفة» في الأجواء الثقافية للعصر النبوي فهي حقيقة شرعية تطلق على من يشبه رسول الله (ص) وبسبب ميزاته. إذاً لا يمكن إطلاقها على كل من جلس على سدة الحكم في المجتمع الإسلامي وأصبح حاكماً بأيّ خطة، كما أن في الفقه السياسي الإسلامي مواصفات ومؤهلات للخليفة في ساحة الحكومة التي هي أسفل مراتب الخلافة.

كيف يمكن اختيار الخليفة من بين أشخاص اعترض عليهم الأمة بأسرها لما فيهم من انحرافات في العقائد والأخلاق وأساليب الحكم، خاصة مع الخلافات التي دارت بعد مصالحة الإمام الحسن عليه السلام وحكم معاوية والضجة التي أحدثها الحكم يزيد في المجتمع الإسلامي؟ إذاً فالنبي (ص) الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ أولى بتفسير الحديث المذكور، كما تلقى من معدن الوحي:

هناك رواية عن عبد الله بن عباس يذكرها شيخ الإسلام أبو المجمع صدر الدين إبراهيم بن سعد الدين محمد بن المؤيد الحموي الخراساني الشافعي (من علماء القرنين السابع والثامن للهجرة) في كتابه «فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام» (المجلد ٢، الصفحة ٣١٢، الحديث ٥٢٦): «قال رسول الله (ص): إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثني عشر، أولهم أخي وآخرهم ولدي. قيل: يا رسول الله ومن أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب. قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.»

وينقل الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي البلخي (من علماء القرن الثالث عشر) نفس الرواية في كتابه «ينابيع المودة في شمائل الرسول (ص) وأهل البيت عليهم السلام» (الباب ٥٦: المودة العاشرة، الصفحة ٢٥٨). بناءً على ذلك، فالنبي (ص) نفسه يفسر «الاثني عشر» ويبيّن أنهم علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده الذين آخرهم الإمام المهدي عليه السلام. هناك روايات أخرى تتضمن نفس المعنى منقولاً عن النبي (ص) بأسانيد مختلفة ذكر بعضها الحافظ سليمان القندوزي في كتابه عن مصادر عدّة.

فبيّن رسول الله (ص) حديث الخلفاء الاثني عشر بعبارات مختلفة وسماهم بأسماءهم كي لا يرتاب أحد فيهم، وذلك في أحاديث مروية عن علماء أهل السنة.

أورد السيد مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي (من علماء القرن الثالث عشر) في كتابه «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار» (فصل تمة في الكلام على أخبار المهدي، الصفحة ١٧١) عن علي بن أبي

طالب عليه السلام: «قال: قلت: يا رسول الله، أمنا محمد المهدي أو من غيرنا؟ فقال عليه السلام: لا، بل منا، يختم الله به الدين كما فتح بنا.»

يقول الشبلنجي بعد نقل الرواية: «ذكر الحديث الطبراني في الأوسط و أبو نعيم في حلية الأولياء وعبد الرحمن بن حماد في العوالي.» ذكر الحديث نفسه الحافظ شيخ الإسلام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي (من علماء القرن العاشر) في كتابه الذي كتبه ضد الشيعة «الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والروافض والزندقة» (باب خصوصياتهم الدالة على عظيم كراماتهم، الصفحة ٢٣٥).

ابن حجر وبكل مخالفته للفكر الشيعي إلا أنه خصّص الفصل الثاني من كتاب الصواعق بالبحث عن أحاديث المهدي عليه السلام، وله كتاب بعنوان: «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر». يدّعي فيه هذا العالم السني بالعتيدة المهدوية كما يعترف في كتابه بالكثير من فضائل أهل البيت عليهم السلام، مع ما له من النكاية والعداء ضد الشيعة. على سبيل المثال، يذكر في باب «وصية النبي (ص) بهم» من كتاب الصواعق (الصفحة ١٣٥) حديث الثقلين ويدافع عنه.

أورد محمد بن علي الصبّان المصري الشافعي أبو العرقان (من علماء القرن الثالث عشر) عين الحديث منقولاً عن الطبراني في كتاب «إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل البيت الطاهرين» (فصل الكلام على المهدي الذي يبعث في آخر الزمان، الصفحة ١٣٤).

كتب الحافظ أبو عبد الله فخر الدين محمد بن يوسف بن محمد النوفلي الكنجي الشافعي كتاب «كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» وزعم أعداء الشيعة أن هذا الكتاب دليل على تشييعه، فقتلوه

شهيدياً في ٢٩ من شهر رمضان المبارك في الجامع الأموي بدمشق سنة ٦٥٨ للهجرة. ينقل النوفلي في كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان عجل الله فرجه» (الباب ١٣، الصفحة ١٢٩) حديثاً بإسناده عن حذيفة أن النبي (ص) قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً اسمه اسمي وخلقه خلقي، يكنى أبا عبد الله، يبائع له الناس بين الركن والمقام، يرد الله به الدين ويفتح فتوحاً، فلا يبقى على ظهر الأرض إلا من يقول لا إله إلا الله. فقام سلمان فقال: يا رسول الله، من أي ولدك هو؟ قال: من ولد ابني هذا، وضرب بيده على الحسين».

يقول الحافظ القندوزي الحنفي في كتاب «ينابيع المودة» (الباب ٧٧، الصفحة ٤٤٦) إن مراد النبي (ص) من حديث «اثنا عشر خليفة» اثني عشر من أهل بيته وعترته، لأن الحديث لا يحمل على الخلفاء من الصحابة، فعددهم أقل من اثني عشر، والخلفاء الأمويون كانوا أكثر من اثني عشر، فلا يحمل عليهم، بالإضافة إلى كونهم ظالمين غاشمين عدا عمر بن عبد العزيز، وخاصة على رواية جابر التي قال فيه رسول الله (ص): «كلهم من بني هاشم».

وكذلك لا يمكن حمله على ملوك بني العباس، حيث كانوا أكثر من اثني عشر، إلى جانب أنهم لم يراعوا آية ﴿... قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى...﴾ وحديث الكساء. فلا بد من حمل الحديث على اثني عشر من أهل بيته (ص) إذ كانوا أعلم عصرهم وأجل وأتقى وأورع وأفضل في النسب والحسب وأحب إلى الله، وكانت علومهم متصلة إلى رسول الله (ص) بالوراثة الروحية. هذا من جهة ومن جهة أخرى حديث الثقلين وأحاديث أخرى منقولة بكثرة في كتاب «ينابيع المودة» وغيره. فلا يبقى ريب للكاتب أن رسول الله (ص) يقصد بالاثني عشر إماماً علياً عليه السلام وأولاده (ص).

هناك مقالة للشيخ ناصر الدين الألباني (من العلماء المعاصرين ومن العاملين بمجلة «المجمع العلمي العربي» في دمشق) بعنوان «حول المهدي» كتبها في الإجابة عن أسئلة بعض قارئتي مجلة «التمدن الإسلامي» (طبع دمشق). له تعليقة على الحديث ١٥٢٩ من كتاب «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (طبع مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، سنة ١٩٩٥ م. ١٤١٥هـ. المجلد ٤، الصفحة ٤١) حيث يذكر تصحيح خمسة من أئمة الحديث وهم الترمذي والذهبي والحاكم وابن حبان وابن تيمية له ويقول: فهؤلاء الخمسة من كبار الأئمة صحّحوا أحاديث خروج المهدي، وأسّمى بعض الكبار الذين هم بعد هؤلاء وكذلك المتأخرين ممن وافقهم على السرد التالي ويقدر الإمكان:

- ١ - أبو داوود في «السنن».
- ٢ - العقيلي.
- ٣ - ابن العربي في «عارضه الأحوذى».
- ٤ - القرطبي.
- ٥ - الطيبي.
- ٦ - ابن قيم الجوزية في «المنار المنيف».
- ٧ - الحافظ ابن حجر في «فتح الباري».
- ٨ - أبو الحسن الأبري في «مناقب الشافعي».
- ٩ - الشيع غلى القاري في «المرقاة».
- ١٠ - السيوطي في «العرف الوردى».
- ١١ - العلامة المباركفوري في «تحفة الأحوذى».

فلا مجال للرد والنقض في ظهور المهدي في آخر الزمان وقيام دولة الحق الإلهية، ما أجمع عليه العلماء وأهل الحديث. إذا، نتطرق إلى مسألة أخرى في موضوع المهديوية، ألا وهي ولادته عليه السلام.

يرى الشيعة أن المهدي الموعود الذي وردت فيه الأحاديث الصحاح هو ابن الإمام حسن العسكري عليه السلام قد ولد وعاش حياً حتى الآن بحول الله وقوة منه.

مَن المهدي؟

هو محمد المهدي بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب (عليهم جميعاً سلام الله). ولد في ليلة المنتصف من شعبان عام ٢٥٥ للهجرة في سامراء من أم كانت تدعى نرجس، يلقب بالمهدي والحجة والخلف والمنتظر والقائم، وكنيته أبو القاسم.

نال إمامة المسلمين سنة ٢٦٠ للهجرة في الخامس من عمره وبعد ارتحال والده الإمام حسن العسكري، وأخذ في الغيبة الصغرى نفس العام (أي الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠) والتي استمرت ٦٩ سنة. ونصّب في تلك الفترة أربعة نواب لعلاقاته مع الناس، وهم على الترتيب التالي:

١ - الشيخ أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري.

٢ - الشيخ أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

٣ - الشيخ حسين بن روح النوبختي.

٤ - الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمرري.

انتهى عصر الغيبة الصغرى وبوفاة النائب الرابع في العام ٣٢٩ للهجرة وبدأت الغيبة الكبرى المستمرة حتى الآن.

ولادة الإمام المهدي في كلمات علماء أهل السنة وكبارهم

ان هناك اتفاقاً على ظهور المهدي في آخر الزمان. أما بالنسبة إلى ولادته عليه السلام فبعض علماء أهل السنة يذهبون إلى ما ذهب إليه الشيعة، والبعض الآخر يعتقدون أنه يولد في آخر الزمان، وإذا اعترفوا بولادة محمد بن الحسن العسكري فينكرون مهدويته أو يصمتون عنها. لم يذهب الكثيرون من هؤلاء الذين قبلوا الولادة وأنكروا المهدوية إلى وفاته وصمتوا عنه، أما بعضهم فتكلموا عن وفاته رجماً بالغيب.

هناك فريق آخر يعتقدون أن الإمام حسن العسكري عليه السلام فارق الحياة من دون أن يكون له ولد، بينما يقبلون أصل المهدوية. نتعرض هنا لكلمات بعض العلماء حول ولادة الإمام عليه السلام:

١ - يقول أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني الأنصاري الشاذلي الشافعي المصري (من علماء القرن العاشر) في كتابه «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر» (المجلد ٢، المبحث ٦٥) بعد ذكر خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام: «آنذاك يُترقب خروج المهدي عليه السلام الذي هو من أولاد الحسن العسكري، ولد في ليلة منتصف شعبان سنة ٢٥٥، وهو حيّ حتى يخرج متزامناً مع عيسى بن مريم عليه السلام، والآن، أي سنة ٩٨٥ للهجرة، يبلغ من العمر ٧٠٦ سنة».

ثم يسهب في الكلام عن الإمام المهدي عليه السلام.

٢ - يقول العالم الفاضل السيد مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي (من علماء القرن الثالث عشر) في كتاب «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي

المختار» في الفصل الذي يذكر فيه مناقب محمد بن الحسن الخالص بن علي (طبع مصر وبحاشيته كتاب «إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين» من العلامة الشيخ محمد الصبان، الصفحة ١٦٨): «فصل في ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، أمّه أمّ ولد يقال لهما نرجس وقيل صيقل وقيل سوسن، وكنيته أبو القاسم، ولقبه الإمامية بالحجة والمهدي والخلف الصالح والقائم والمنتظر وصاحب الزمان وأشهرها المهدي، شاب مرفوق القامة حسن الوجه والشعر يسيل شعره على منكبيه ألقى الأنف أجلى الجبهة، بوابه محمد بن عثمان (معاصره) المعتمد، وهو آخر الأئمة الاثني عشر على ما ذهب إليه الإمامية...».

٣ - يقول العالم الأنف ذكره في نفس الكتاب أنّ الشيخ أبا عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي يقول في كتابه «البيان في أخبار صاحب الزمان»: «في الدلالة على كون المهدي عليه السلام حياً باقياً منذ غيبته الى الآن: ولا امتناع في بقاءه بدليل بقاء عيسى وإلياس والخضر من أولياء الله تعالى وبقاء الدجال وإبليس الملعونين أعداء الله تعالى».

٤ - يكتب ابن الأثير من علماء القرن السابع والذي يعبر عنه ابن خلكان بالإمام في حفظ الحديث ومعرفته والحفاظ في تواريخ الماضين والآخرين والخبر بأنساب العرب ويذكره الذهبي بتعبيرات مشابهة في كتاب «التاريخ الكبير» المشتهر بالكامل في التاريخ (المجلد ٧، الصفحة ٢٧٤، طبع دار الفكر للطباعة والنشر) في أحداث سنة ٢٦٠ للهجرة: «و فيها توفي أبو محمد العلوي العسكري وهو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية

وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر بسرداب سامراء وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين ومأتين».

٥ - أورد المؤرخ الشهير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي الشافعي (من علماء القرن الثامن) في كتابه التاريخ المسمى بـ«المختصر في تاريخ البشر» (طبع مكتبة المتبي القاهرة، المجلد ٢، الصفحة ٤٥): «والحسن العسكري المذكور هو والد محمد المنتظر، صاحب السرداب، ومحمد المنتظر المذكور هو ثاني عشر الأئمة الاثني عشر، على رأي الإمامية، ويقال له القائم، والمهدي، والحجة. وولد المنتظر المذكور في سنة خمس وخمسين ومائتين».

فيتعقد هذا المؤرخ المشهور ولادة إمام العصر عليه السلام محققاً أيضاً.

٦ - يقول أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلّكان الشافعي (من علماء القرن السابع) في كتاب «وفيات الأعيان وأنباء الزمان» (طبع دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨ م. ١٤١٩ هـ. المجلد الرابع، الصفحة ٣١-٣٢) ذيل عنوان الحجة المنتظر: «أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، المعروف بالحجة، هو الذي يزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم المهدي... وكانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه - وقد سبق ذكره - كان عمره خمس سنين. واسم أمه خنط، وقيل: نرجس. وذكر ابن الأزرق في تأريخ فارقين: ان الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل: في ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح».

- ٧- يقول زين الدين عمر بن المظفر المشتهر بالوردي الشافعي (من علماء القرن الثامن) في كتابه التاريخ المعروف بـ«تاريخ ابن الوردي» (من منشورات مطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف، المجلد ١، الصفحة ٣١٩) في الكلام عن وفاة الحسن العسكري ضمن حوادث سنة ٢٦٠ للهجرة: «حسن العسكري والد محمد المنتظر صاحب الصرداب وثاني عشر الأئمة، ويلقب بالقائم والمهدي والحجة، ولد المنتظر سنة ٢٥٥».
- وبما أن ذكر تفاصيل آراء العلماء بأجمعهم خارج عن إطار هذا المقال، فنكتفي بسر د أسماءهم وأسماء كتبهم:
- ٨- حسين بن محمد الديار بكري القاضي (من علماء القرن العاشر) في كتاب «تاريخ الخميس» (دار صادر، مطبوع عن النسخة الوهبية بمصر، سنة ١١٨٣، المجلد ٢، الصفحة ٣٤٣).
- ٩- أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي (من علماء القرن العاشر) في كتاب «الصواعق المحرقة» (دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٩٩٩ م. ١٤٢٠هـ. الصفحة ٣١٣-٣١٤).
- ١٠- محمد بن الحسين بن عبد الله الحسين السمرقندي المدني (من علماء القرن العاشر) في كتاب «تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلى عبد الله وأبي طالب» (طبع دار المصطفى للتوزيع والنشر، الصفحة ٥٤).
- ١١- الشيخ ملا علي القاري (من علماء القرن الحادي عشر) في كتاب «مرقاة المفاتيح» (طبع دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢ م. ١٤٢٢هـ. المجلد ٩، الصفحة ٣٨٦٤، شرح حديث رقم ٥٩٨٣).
- ١٢- أحمد بن يوسف القرمانى الدمشقي في كتاب «أخبار الدول وآثار الأول» (طبع بيروت، ١٩٩٢ م. ١٤١٢هـ. المجلد ١، الصفحة ٣٥٣) يقول: «عمره [أي: محمد بن الحسن] عند وفاة والده خمس سنين، وآتاه الله الحكمة صبياً كما أتى يحيى».

- ١٣ - شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن العماد الحنبلي (من علماء القرن الحادي عشر) في كتاب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (طبع دار الكتب العلمية ببيروت، طبعة ١٩٩٨ م. ١٤١٩ هـ. المجلد ٢، الصفحة ٢٩٠).
- ١٤ - الحافظ أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم الطوسي البلاذري (من علماء القرن الرابع) ذهب إلى مهدوية الإمام محمد بن الحسن العسكري، كما يذكر في أنساب السمعاني (المجلد ١، الصفحة ٤٢٣، طبع دار الجنان، بيروت).
- ١٥ - شيخ المشايخ العارف والأديب والعالم الشيخ أحمد الجامي ممن ذهب إلى مهدوية الإمام الثاني عشر.
- ١٦ - الشيخ فريد الدين محمد العطار النيشابوري من طلائع العرفاء في القرن السابع قال بمهدوية الإمام محمد بن الحسن العسكري.
- ١٧ - الحافظ أبو الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن فارس ابن أبي الفوارس سهل البغدادي (من علماء القرن الخامس).
- ١٨ - عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر البغدادي (أبو محمد ابن الخشاب) النحوي واللغوي والأديب والمحدث والفقير (من علماء القرن السادس).
- ١٩ - الشيخ العارف الكامل محيي الدين بن العربي من كبار العلماء والعرفاء (القرن السابع).
- ٢٠ - المولى جلال الدين الرومي من أكابر الدوران وأعظم العرفان وكبار الفقهاء في القرن السابع.
- جدير بالذكر أن عدد العلماء والكبار يزيد على ما ذكرنا، لكن المقالة لا تسع أكثر من ذلك.

سرد أسماء صحابة رسول الله (ص) الذين رووا أحاديث المهدي عنه (ص):

- ١ - عثمان بن عفان.
- ٢ - علي بن أبي طالب.
- ٣ - طلحة بن عبيد الله.
- ٤ - عبد الرحمن بن عوف.
- ٥ - الحسين بن علي.
- ٦ - أم سلمة.
- ٧ - أم حبيبة.
- ٨ - عبد الله بن عباس.
- ٩ - عبد الله بن مسعود.
- ١٠ - عبد الله بن عمر بن الخطاب.
- ١١ - عبد الله بن عمرو بن العاص.
- ١٢ - أبو سعيد الخدري.
- ١٣ - جابر بن عبد الله الأنصاري.
- ١٤ - أبو هريرة.
- ١٥ - أنس بن مالك.
- ١٦ - عمار بن ياسر.
- ١٧ - عوف بن مالك.
- ١٨ - ثوبان مولى رسول الله (ص).
- ١٩ - قرّة بن إياس.
- ٢٠ - علي الملائني.
- ٢١ - حذيفة بن اليمان.
- ٢٢ - عبد الله بن الحارث جزء الزبيدي.
- ٢٣ - عمران بن حصين.
- ٢٤ - أبو الطفيل.
- ٢٥ - جابر بن ماجد الصدفي.
- ٢٦ - أبو أيوب الأنصاري.
- ٢٧ - أبو ثمامة الباهلي.
- ٢٨ - العباس بن عبد المطلب.
- ٢٩ - تميم الداري.
- ٣٠ - عائشة بنت أبي بكر.
- ٣١ - عمرو بن مروة الجهني.

و أسماء أئمة الحديث الذين أوردوا أحاديث وآثار المهدي ﷺ في كتبهم:

- ١ - أبو داود في السنن.
- ٢ - الترمذي في الجامع.
- ٣ - ابن ماجة في السنن.
- ٤ - النسائي في صغريا كبرى.
- ٥ - أحمد في المسند.
- ٦ - ابن حبان في الصحيح.
- ٧ - الحاكم في المستدرک.
- ٨ - أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف.
- ٩ - نعيم بن حماد في الفتن.
- ١٠ - الحافظ أبو نعيم في كتبه المهدي والحلية.
- ١١ - الطبراني في معاجمه الكبير والأوسط والصغير.
- ١٢ - الدار قطني في الأفراد.
- ١٣ - البارودي في معرفة الصحابة.
- ١٤ - أبو يعلى الموصلي في المسند.
- ١٥ - البزاز في المسند.
- ١٦ - الحارث بن أبي أسامة في المسند.
- ١٧ - الخطيب في تلخيص المتشابه وفي المفق والمفترق.
- ١٨ - ابن عساكر في تاريخ دمشق.
- ١٩ - ابن منده في تاريخ أصبهان.
- ٢٠ - أبو الحسن الحربي في الحربيات.
- ٢١ - تمام الرازي في الفوائد.
- ٢٢ - ابن جرير في تهذيب الآثار.
- ٢٣ - أبو بكر بن المقرئ في المعجم.
- ٢٤ - أبو عمرو الداني في السنن.
- ٢٥ - ابن أعثم الكوفي في الفتن.
- ٢٦ - الديلمي في مسند الفردوس.
- ٢٧ - أبو الحسن بن المنادير في الملاحم.
- ٢٨ - البيهقي في دلائل النبوة.
- ٢٩ - ابن الجوزي في التاريخ.
- ٣٠ - يحيى بن عبد الحميد في المسند.
- ٣١ - الرواياني في المسند.
- ٣٢ - ابن سعد في الطبقات.
- ٣٣ - ابن خزيمة.
- ٣٤ - الحسن بن سفيان.
- ٣٥ - عمر بن شبة.
- ٣٦ - أبو عوانة.
- ٣٧ - عبد أبي حميد.
- ٣٨ - عبد الرزاق الصنعاني.

سرد أسماء العلماء الذين صحّحوا وحسّنوا أحاديث المهدي عليه السلام:

- ١ - الإمام أبو داود صاحب السنن (م ٢٧٥ هـ).
- ٢ - الإمام أبو عيسى الترمذي صاحب الجامع (ت ٢٧٩ هـ).
- ٣ - الحافظ أبو جعفر العقيلي صاحب الضعفاء (ت ٣٢٣ هـ).
- ٤ - الإمام الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري (ت ٣٢٩ هـ) صاحب كتاب شرح المسند.
- ٥ - الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي (ت ٣٣٦ هـ).
- ٦ - الإمام ابن حبان السبتي صاحب الصحيح (ت ٣٥٤ هـ).
- ٧ - الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين الأبري السجزي صاحب مناقب الشافعي (ت ٣٦٣ هـ).
- ٨ - الإمام أبو سليمان الخطابي صاحب «معالم السنن» وغيره (ت ٣٨٨ هـ).
- ٩ - الإمام البيهقي صاحب «السنن الكبرى» وغيره (ت ٤٥٨ هـ).
- ١٠ - القاضي أبو بكر بن العربي صاحب «عارضه الأحوذى» (ت ٥٤٣ هـ).
- ١١ - القاضي عياض صاحب كتاب «الشفاء» (ت ٥٥٤ هـ).
- ١٢ - الإمام السهيلي صاحب «الروض الأنف» (ت ٥٨١ هـ).
- ١٣ - الإمام أبو الفرج بن الجوزي صاحب «كشف المشكل» (ت ٥٩٦ هـ).
- ١٤ - الإمام ابن الأثير صاحب «النهاية» و«جامع الأصول» (ت ٦٠٦ هـ).
- ١٥ - الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبد القوي المتدري (ت ٦٥٦ هـ).
- ١٦ - الإمام القرطبي المفسر المشهور صاحب «التذكرة» (ت ٦٧١ هـ).
- ١٧ - العلامة محمد بن أحمد بن علي القسطلاني (ت ٦٨٦ هـ).
- ١٨ - شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية صاحب «منهاج السنة النبوية» (ت ٧٢٨ هـ).
- ١٩ - الإمام أبو الحجاج المزي صاحب «تهذيب الكمال» (ت ٧٤٢ هـ).

- ٢٠ - الإمام الحافظ الذهبي صاحب «المنتقى من منهاج الاعتدال» (ت ٧٤٨ هـ).
- ٢١ - الإمام المحقق ابن قيم الجوزية صاحب «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» (ت ٧٥١ هـ).
- ٢٢ - الحافظ عماد الدين ابن كثير القرشي الدمشقي صاحب «نهاية البداية والنهاية» (ت ٧٧٤ هـ).
- ٢٣ - الحافظ نور الدين الهيثمي صاحب «موارد الظمان» و«مجمع الزوائد» (ت ٨٠٧ هـ).
- ٢٤ - الإمام شهاب الدين أحمد الكتاني البوصيري صاحب «مصباح الزجاجة في زوائي ابن ماجة» (ت ٨٤٠ هـ).
- ٢٥ - الحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني صاحب «فتح الباري» و«تهذيب التهذيب» و«المطالب العالية» وغيرها (ت ٨٥٢ هـ).
- ٢٦ - الحافظ السخاوي صاحب «فتح المغيث» (ت ٩٠٢ هـ).
- ٢٧ - الحافظ السيوطي صاحب تأليفات شتى، منها «العرف الوردي في أخبار المهدي» (ت ٩١١ هـ).
- ٢٨ - العلامة أبو الحسن السمهودي (ت ٩١١ هـ).
- ٢٩ - العلامة ابن حجر الهيتمي صاحب «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» (ت ٩٧٤ هـ).
- ٣٠ - العلامة ابن حجر الهيتمي صاحب «مرقاة المفاتيح» وغيره (ت ١٠١٤ هـ).
- ٣١ - العلامة المحدث عبد الرؤوف المناوي صاحب «فيض القدير» (ت ١٠٣١ هـ).
- ٣٢ - العلامة البرزنجي صاحب «الإشاعة لأشراط الساعة» (ت ١١٠٣ هـ).
- ٣٣ - العلامة أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي المحشي لابن ماجة (ت ١١٣٨ هـ).

□ المهدي الموعود برواية المصادر الحديثية

□ لأهل السنة والانتظار

□ في اعتقاد المذاهب الإسلامية وتلائم الأديان

عبد الجبار آخوند المراني

أقدم مقالي تحت عنوان المهدي عليه السلام في وجهة نظر الفرق و المذاهب الإسلامية وذلك يأتي في ستة فصول عليه السلام؛ الفصل الأول يتضمن وجهة نظر أهل السنة في حقانية ظهور المهدي عليه السلام، والفصل الثاني يشتمل على نسب المهدي عليه السلام والفصل الثالث يتطرق إلى صفات المهدي وشمائله، والفصل الرابع يتعلق بموضوع تزامن الظهور مع نزول عيسى عليه السلام، والفصل السادس يبحث في المهدي و المنتظرين.

الفصل الأول: رؤية أهل السنة

أهل السنة مجمعون على ظهور المهدي في وقت وشيك من القيامة ويعتقدون بتواتر الأخبار والأدلة الدالة على ظهوره، كما أنه باعتقادهم يجب تصديقه و مساعدته عند الظهور؛ إذ أن الذين رووا الأخبار والأحاديث المتعلقة بالظهور هم من أجلاء الصحابة كعلي - كرم الله وجهه - وأم سلمة - رضي الله تعالى عنها - وأبوسعيد الخدري وثوبان كما أنه تم استخراج الأحاديث على أيدي المحدثين الكبار كأبي داود والترمذي و ابن ماجة و الطبراني والإمام أحمد بن حنبل.

إن مولانا العلامة محمد عبدالعزيز في كتابه "نبراس" في شرح العقائد

النسفية يقول:

تواترت الأحاديث في خروج المهدي وأفردها بعض العلماء، وملخصها إنه من أهل بيت النبي (ص) وإنه يملك الأرض ويملاها بالعدل بعد ما ملئت بالجور و إنه يلاقي عيسى عليه السلام و بالجملة فالتصديق بخروجه واجب.

كتب أهل السنة:

إن ظهور المهدي عليه السلام لا يقتصر في كتب مذهب دون سواه من المذاهب الإسلامية وإنما الأحاديث و الأخبار الدالة على ظهوره لدى المسلمين كلهم كثيرة جداً بمن فيهم علماء أهل السنة من المفسرين والمحدثين والمؤرخين والنسابين ومؤلفي كتب المناقب وكذلك الأدباء وأهل اللغة ومؤلفي المجاميع وأصحاب الكشف والعرفان والشعراء وحتى مؤلفي كتب الجغرافيا و البلدان و الموسوعات؛ كل هؤلاء قاموا بذكر ونقل الأحاديث والموضوعات المعنية بظهور الإمام المهدي عليه السلام في مختلف كتبهم. إن كتب أهل السنة التي تتناول ذكر ونقل الأحاديث المتعلقة بظهوره عليه السلام يبلغ أربعين كتاباً على ما حققتُ فيها وقد لايسع وقت الأساتذة الكرام والسادة الحضور والسامعين المحترمين ذكرُ أسامي الكتب إلا أنه ولرعاية الإيجاز و على سبيل المثال نذكر بعضها:

الرسالة للإمام الشافعي - المسند لأحمد بن حنبل - صحيح البخاري - صحيح مسلم - سنن ابن ماجه - سنن أبي داود - جامع الترمذي - مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي - جامع الأصول لابن أثير - الفتوحات المكية لمحي الدين العربي - تذكرة خواص الأمة لابن الجوزي - الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي - المنار لمحمد عبده - الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي و... الخ

إن النبي (ص) بشر بظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان و ذكر خصاله وشمائله في قوله: لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي و اسم أبيه أبي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً.

تصریحات علماء أهل السنة:

١- ابن حجر الهيتمي الشافعي: لقد تواترت الأخبار على أن المهدي من هذه الأمة و أن عيسى عليه السلام سينزل من السماء فيقتدي صلواته بالمهدي عليه السلام: المهدي الموعود ج ٢ ص ٢٠٠.

٢- الشيخ عبد الحق الدهلوي: وردت الروايات العديدة المتواترة على أن المهدي من أهل بيت النبي (ص) و ذرية فاطمة (رض).

٣- أبو الفوز محمد امين البغدادي: اتفق العلماء على أن المهدي هو قائم آخر الزمان و أنه سيملاً الأرض قسطاً و عدلاً. هنالك الكثير من الأحاديث المعنية بالمهدي و بظهوره. سبانك الذهب في معرفة قبائل العرب ص ٧٨.

٤- الشيخ منصور علي الناصف: الباب السابع، حول الخليفة المهدي رضي الله عنه - قد اشتهر بين العلماء من المتقدمين و المتأخرين أنه سيظهر لا محالة في آخر الزمان رجلاً من أهل بيت النبي يُسمى مهدياً و يسيطر على البلدان الإسلامية جمعاء فيتبعه المسلمون كافة؛ يعامل الناس بالعدل كما أنه سبب لتعزیز دين الله؛ وحينئذ يظهر الدجال و فينزل عيسى المسيح من السماء و يعاون المهدي في قتل الدجال و يقتلونه. غاية المأمول ج ٥ ص ٦٣٣.

٥- الشيخ محمد عبده: مما يعرفه الخاصة و العامة من الناس أنه قد ورد في الأخبار و الأحاديث - عند عدّ علامات الساعة - أن رجلاً يُسمّى بالمهدي سيخرج من أهل بيت النبي (ص) و يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعدما ملئت جوراً و ظلماً. و في آخر أيامه ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء فيلغي الجزية و يقوم بكسر الصليب و قتل الدجال. تفسير المنارج ٦ ص ٥٧.

٦- الشاعر الذائع الصيت مختومقلي الذي كان يعيش قبل ٢٥٠ سنة و يمكن اعتباره معرّف الأدب التركماني إنما توكل على الله في جميع أشعاره و توسل إلى رسول الله و الأئمة الطاهرين من وُلده فيقول:

مختومقلي هر كيم دينگلسه جانندان بوايشلر اونگ گلر آخر زماندان
مهدي يردن چيقار عيسى آسمانندان دجال اول ايكي آر خراب ايلار
ديوان مختومقلي ص ١٠٩

المهدي في القرآن

قد فُسر بعض الآيات القرآنية بظهور الإمام المهدي عليه السلام في التفاسير المؤثقة لدى أهل السنة، نذكر بعض التفاسير لعلماء أهل السنة :

تفسير غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري - تفسير الكشف والبيان لأبي اسحاق الثعلبي - تفسير الكشاف لجماعة علماء أهل السنة - تفسير كشف الاسرار لرشيد الدين الميبدي - تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي - تفسير الدر المنثور لجلال الدين السيوطي - تفسير المنار للشيخ محمد عبده - تفسير روح البيان لإسماعيل حقي البُرسوي - تفسير روح المعاني لشهاب الدين الألوسي البغدادي - تفسير الجواهر لطنطاوي.

الفصل الثاني: نسب المهدي

كما ذكرنا آنفاً إن اتباع المذاهب الإسلامية بأسرهم يعتقدون بأن المهدي من ذرية و أهل بيت الرسول(ص) ومن أبناء فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله(ص) الكريمة إلا أنه وقع الخلاف فيما بينهم في أمرين:

الخلاف الأول: إن الشيعة تقول بأن المهدي إنما هو الإمام محمد بن الحسن العسكري الذي ولد بسنة ٢٥٦ للهجرة، لكنه و لأجل عدة مصالح غاب عن الأنظار و أما أهل السنة خلافاً للشيعة يعتقدون أنه لم يولد فيما مضى و إنما سيولد في وقت قريب من القيامة.

الخلاف الثاني: في نسبه إذا كان حسنياً أو حسينياً فيعتقد الشيعة بأن الإمام المهدي ﷺ حسيني أي من ذرية حسين بن علي و لكن لأهل السنة في هذه المسئلة قولان:

الأول وهو الراجح عندنا يقول بأنه من ذرية الإمام الحسن المجتبي رضي الله عنه معتمداً على حديث نقله أبو داود من الإمام علي كرم الله وجهه أنه ذات يوم ينظر الى ابنه الإمام حسن المجتبي فيقول: إن ابني هذا سيّد كما سمّاه رسول الله (ص) وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يُشبهه في الخلق. هامش النبراس ص ٥٢٤.

وأما الدليل الثاني لمن يقول بأنه من ذرية الإمام الحسن فهو ما نُقل عن بعض العلماء قوله في أرجحية كونه حسنيا حيث إن جدّه الإمام الحسن وفي محاولة لإخماد نار الفتنة تنازل عن حقه الواضح في خلافة المسلمين و غَضَّ النظر عنه فلذلك جعل الله في ذريته خلافة لا مثيل لها.

القول الثاني يقول بأن الإمام المهدي ﷺ حسني أباً و حسيني أمّاً والله اعلم بالصواب.

الفصل الثالث: سيماه في خلقه وخلقته

كما هو واضح من العنوان يمكن دراسة المسئلة من جهتين، الأولى في ملامح وجهه و مظهره و الثانية في خلقه و خصاله الروحية، هذا و كلتا الجهتين تمّ التصريح بهما في الأحاديث والأخبار.

أما مظهره الذي عبارة عن حالة قامته و ملامح وجهه جاء في حديث نُقل عن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله (ص) المهدي مني أجلى الجبهة و أقى الأنف. و أيضاً ورد عن الرسول (ص): المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي.

الفصل الرابع: التزامن مع نزول عيسى عليه السلام

مما تمّ التصريح به في الأحاديث فيما يخصّ بظهور الإمام المهدي عليه السلام، هو التزامن ظهوره مع نزول عيسى عليه السلام من السماء ثم اقتداء عيسى عليه السلام بالإمام المهدي عليه السلام.

حسب ما ينقل الطبراني: يلتقت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم عليه السلام كأنه يقطر من شعره الماء فيقول له المهدي تقدم صلّ بالناس فيقول إنما أقيمت الصلوة فيصلي خلف رجل من ولدي و هو المهدي. هامش تاج الأصول ج ٥ ص ٣١٢.

الفصل الخامس: دولته العالمية

على ما نُقل عن الأحاديث فيما يخصّ بقضية ظهوره، من الأمور المسلّمة أنه سوف لا يظهر بصفته مواطناً عادياً أو مبلغاً بحثاً و إنما ظهوره سيكون متزامناً مع بيعة جميع الناس معه وإقامة الحكومة الإسلامية بميزات فريدة لم يتحقق لها مثيل فيما مضى. سلطته العالمية ستكون إحدى ميزات دولته التي

تضمّ جميع بلدان العالم، هذا مما يكاد يتفق عليه جميع الفرق والمذاهب الإسلامية وهناك أخبار كثيرة بهذا المعنى أشرنا إليها في المقالة.

الفصل السادس : المهدي والمنتظرون

من الأصول الاعتقادية و الكلامية المشتركة والمجمع عليها عند المذاهب و الفرق الإسلامية كافة سواءً كان من الشيعة أو السنة وتواترت الأخبار والأحاديث فيه إنما هو القول بظهور رجل من آل الرسول (ص) وأبناء فاطمة بنت رسول الله رضي الله عنها في وقت قريب من القيامة وسيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً وهو ليس إلا الإمام المهدي الذي سبني مدينة فاضلة تحسر عليها القدامى و قد مرّ بالبشرية آلاف السنين و هي بانتظارها بحيث اعتبر النبيّ (ص) الانتظار هذا أفضل العبادات «أفضل العبادة انتظار الفرج».

وسبب ذلك يوضح من خلال الحديث الشريف: إذ إنه وبيناءه دولة عالمية سيحقق العدالة الاجتماعية و سيتم التوزيع العادل للثروة والأمن بكل ما تعنيه الكلمة من المعنى.

في ظلّ جوده و سخاوته ستسود القناعة قلوب الناس بحيث يرغب أكثر الناس حرصاً عن جمع المال و الثروة كما يدل عليه الحديث النبوي: «ويملاً الله قلوب أمة محمد غنيّ فلا يحتاج أحد الى أحد» مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٤٥١.

كذلك يعمّ الدين الإسلامي و أحكامه المتعالية أرجاء العالم ويستقر في أنحاء الدنيا، يجري كل الأمور مجرى العدالة و السنة النبوية فلا يبقى مجال للفوضى و الحرب و إراقة الدماء كما قال النبيّ (ص): «يعمل الناس بسنة نبيّهم و يلقي الإسلام بجرانه في الأرض» مشكاة ص ٤٧١.

أجر الإنتظار

الأجر إنما يتغير بتغير حجم المشاكل كماً وكيفاً فبالتالي من يعرف الإمام الموعود في عصر الغيبة عن وعى وبصيرة من إمامه ثم يفارق الدنيا قبل أن يدرك الإمام عليه السلام فهو مأجور عند الله أجر الشهادة والمرافقة للإمام فكل هذا أجرٌ من دافع عن دينه ووطنه.

فإذا صار الناس غير مكترثين بقضية الإنتظار و معرفة الإمام الموعود عليه السلام وظهوره والديانة فيؤدي إهمالهم هذا الى الطرد وعدم السماح لدخولهم في جبهة الحق عند النبي (ص) والأئمة الطاهرين.

قال رسول الله (ص): «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

روايات واحاديث عن ظهور الإمام المهدي (عج)

د. مهدي بن احمد بن صالح الصميدعي - ثم الحسيني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه

أما بعد :

فيجب أن يعتقد المسلم كل ما جاء في كتاب الله تعالى وكل ما صحت به السنة عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فيؤمن بذلك إيماناً جازماً. فمن ذلك ما جاء من أشراط... الساعة وخروج المهدي آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.. فتكثر الخيرات وتنزل البركات في زمنه ويفيض المال. وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة لهذه الأمة.

وهناك أحاديث صحيحة صححها الحافظ ذكر فيها المهدي باسمه وبصفاته، منها ما رواه أحمد والترمذي وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تذهب -أو لا تنقضي- الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المهدي مني.. أجلى الجبهة أقى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين. رواه أبو داود والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة. رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

وعن الإمام علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة. رواه أحمد وابن ماجه صححه أحمد شاكر والألباني.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتخرج الماشية وتعظم الأمة، يعيش سبعمائة أو ثمانمائة، -يعني حججاً-. رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

الحديث الأول: حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم ، حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً " .

رواه أبو داود (٢/٢٠٧) ، والترمذي ، وأحمد ، والطبراني في الكبير والصغير ، وأبو نعيم في " الحلية " ، والخطيب في " تاريخ بغداد " من طرق عن زر بن حبيش عن ابن مسعود. وقال الترمذي : " حسن صحيح " والذهبي : " صحيح " وهو كما قالوا.

وله طريق آخر عند ابن ماجة (٢/٥١٧) عن علقمة عن ابن مسعود به نحوه، وسنده حسن.

الحديث الثاني : عن الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- مرفوعاً نحوه وله عنه طريقان :

أخرج الأول أبو داود وأحمد ، وإسناده صحيح ، وأخرج الآخر ابن ماجة وأحمد ، وإسناده حسن الثالث : عن أبي سعيد الخدري ، وله طريقان أيضاً. الأول: أخرجه الترمذي ، و ابن ماجه ، و الحاكم ، وأحمد ، و حسنه الترمذي ، وقال الحاكم : " صحيح على شرط مسلم " ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا - وأخرج الطريق الثاني أبو داود ، و الحاكم و صححه ، وسنده حسن.

الرابع : عن أم سلمة ، وقد ذكرت لفظه وتخرجه عند الكلام على الحديث الثمانين من المقال العاشر من " الأحاديث الضعيفة ". وبقية الطرق قد ذكرها العلماء في كتب خاصة فليراجعها من أراد زيادة الاطلاع (١) وقد قال صديق حسن خان في " الإذاعة " : الأحاديث الواردة في الإمام المهدي على اختلاف رواياته كثيرة جداً تبلغ حد التواتر وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد ، وقد اضجع القول فيها ابن خلدون في كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر " حيث قال : محتجون في الباب بأحاديث خرجها الأئمة ، وتكلم فيها المنكرون لذلك ، وعارضوها ببعض الأخبار ، وللمنكرين فيها من المطاعن ، فإذا وجدنا طعناً في بعض

رجال الإسناد بغفلة أو سوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي تطرق ذلك إلى صحة الحديث وأوهن منها. إلى آخر ما قال ، وليس كما ينبغي فإن الحق الأحق بالاتباع ، والقول المحقق عند المحدثين المميزين بين الدار والقاع ، أن المعتبر في الرواية ورجال الأحاديث أمران لا ثالث لهما الضبط والصدق ، دون ما اعتبره أهل الأصول من العدالة وغيرها فلا يتطرق الوهن إلى صحة الحديث بغير ذلك " . ثم قال صديق خان : وأحاديث المهدي بعضها صحيح ، وبعضها ضعيف ، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار ، وأنه لا به في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ، ويستولي على الممالك الإسلامية ، ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره. وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال ، ويأتى بالمهدي في صلواته إلى غير ذلك ، وأحاديث الدجال وعيسى أيضاً بلغت مبلغ التواتر ولا مساغ لإنكارها كما بين ذلك القاضي العلامة الشوكاني - رحمه الله - في " التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح " ، قال (يعني الشوكاني) : " والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها : خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول ، وأما الآثار عن الصحابة المصروفة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك. انتهى. وقد جمع السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليماني الأحاديث القاضية بخروج المهدي وأنه من آل محمد - صلى الله عليه واله وسلم - وأنه يظهر في آخر الزمان ثم قال : ولم يأت تعيين زمنه إلا أنه يخرج قبل خروج الدجال. انتهى " . وخلاصة القول : إن

عقيدة خروج الامام المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه - صلى الله عليه واله وسلم - يجب الايمان بها لأنها من أمور الغيب ، والايمان بها من صفات المتقين كما قال تعالى : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب). وإن إنكارها لا يصدر إلا من جاهل أو مكابر. أسأل الله تعالى أن يتوفانا على الايمان بها وبكل ما صح في الكتاب والسنة ويحشرنا تحت لواء آل البيت والصحب الكرام وأن يهيننا منا وفينا وعلينا من يتخلق ويتصف بصفات المهدي عليه السلام ويكون شعاره العدل ومحاربة الظلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..